

سلسلة شُروح الحديثِ وَعُلُومِهِ لفضيلة الشيخ

هبة السائل

شرح

بلوغ المرام من أدلة الأحكام

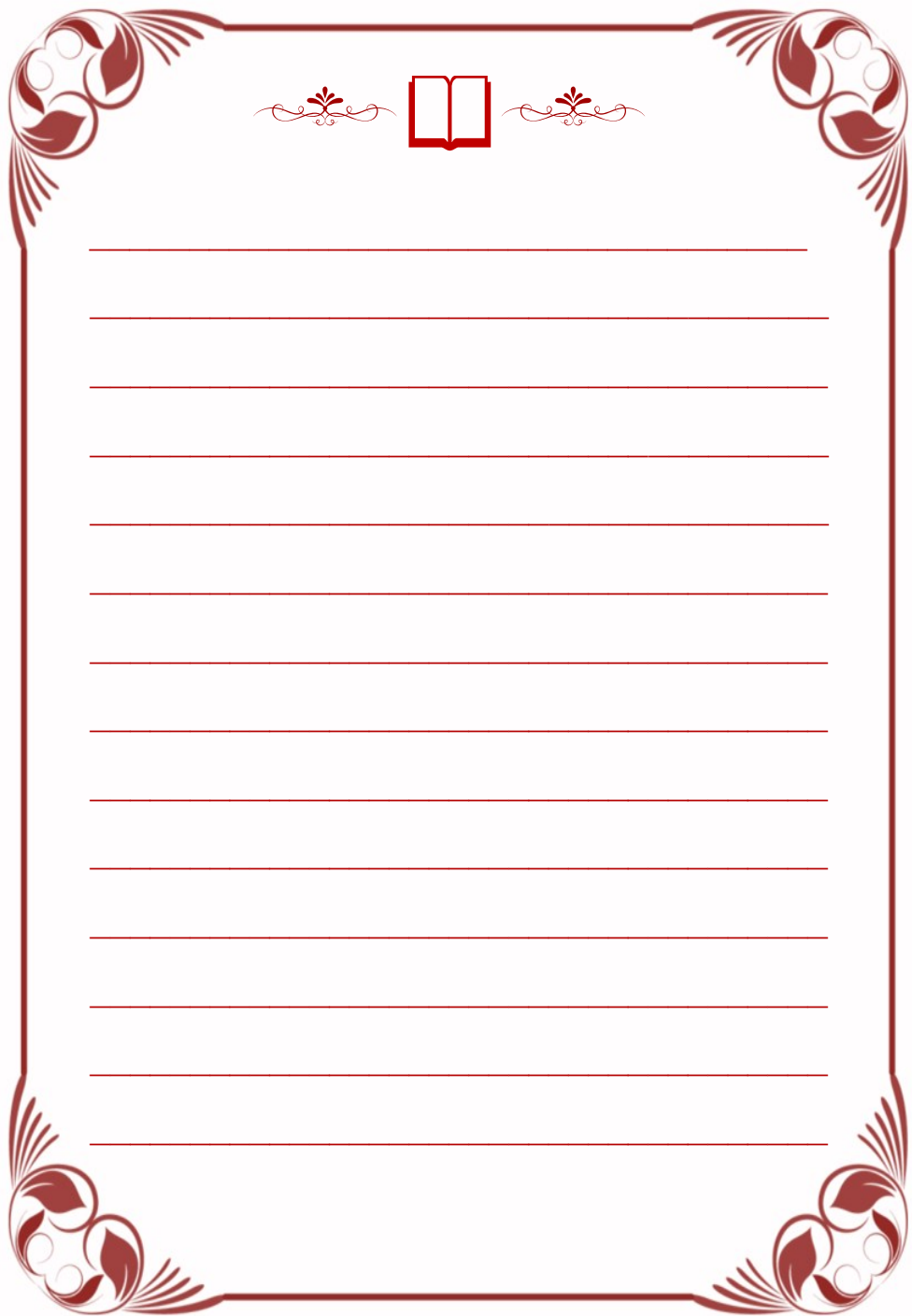
للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى (المجزي) البغدادي

كان الله في الدنيا والآخرة

كتاب الجامع

هَبْتِ السَّلَامِ
شَيْخ
بُلُوغِ الْمَكْرَامِ مِنْ أَدَلَّةِ الْأَحْكَامِ



هَيْبَةُ السَّلَامِ
شَيْخ
بُلُوغُ الْمَرَامِ مِنْ أدَلَّةِ الْأَحْكَامِ

المجلد العاشر

(كتاب الجامع)

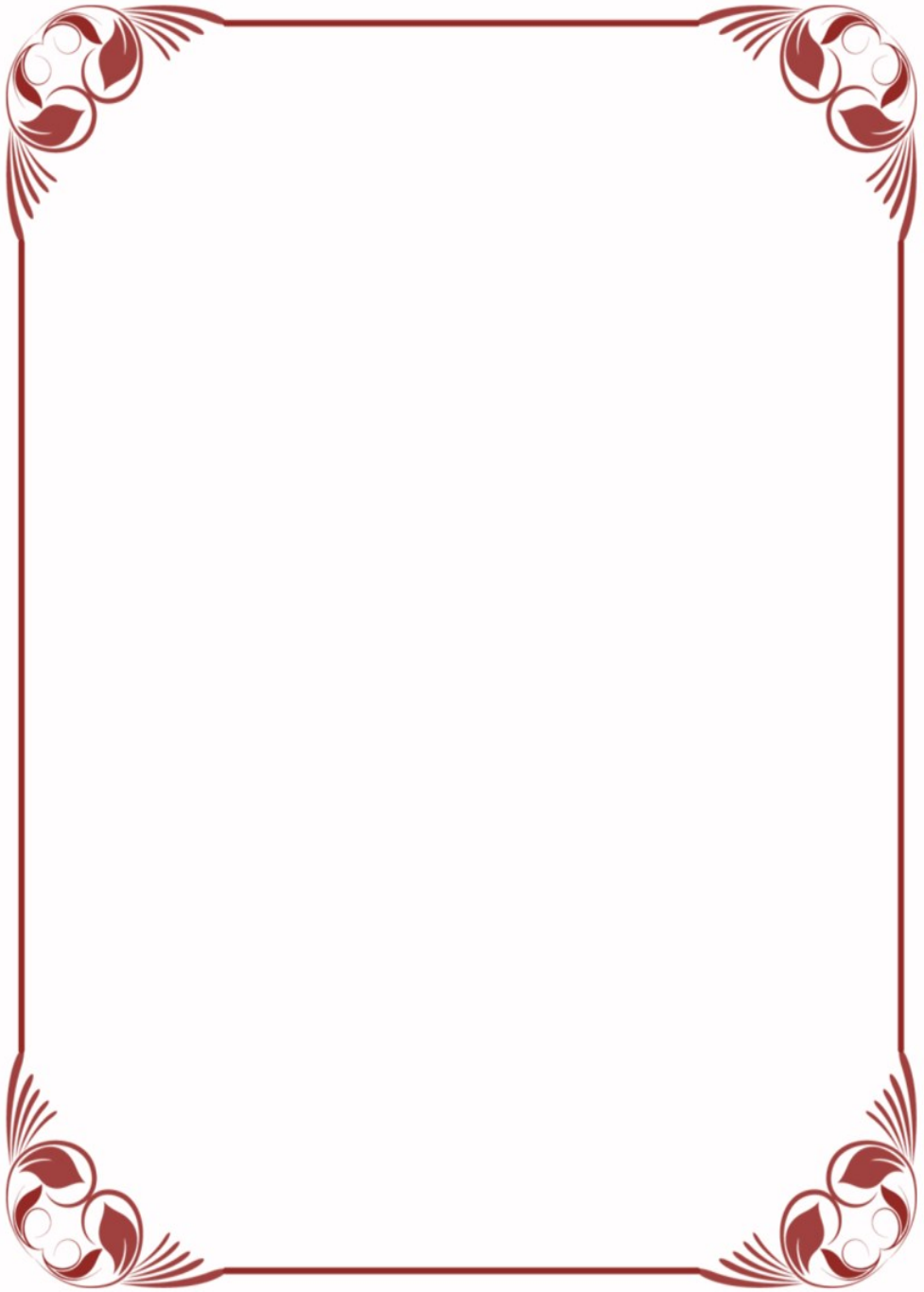
للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجبوري الأزدي

حقوق الطبع محفوظة



Abu Al-Hasan
Technical Formatting & Printing
للتسيق الفني والطباعة
Phone: +967 771532950



هَبْتِ السَّلَامِ
شَيْخ
بُلُوغِ الْمِرَامِ مِنْ أَدَلَّةِ الْأَحْكَامِ

المجلد العاشر

للشيخ الفاضل
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجوزي الزنكوري

الطبعة الثانية

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م



روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

<https://alzoukory.com>

https://t.me/A_lzoukory

[A_Alzoukorys](#)

<https://www.youtube.com/channel>

<https://www.facebook.com/649918028352367>

<https://chat.whatsapp.com/FglUKZ0nwzR5EYaguQttSz>



كتاب الجامع



كتاب الجامع - باب الأدب

[بَابُ الْأَدَبِ]

الشَّرْحُ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذا كتاب الجامع من بلوغ المرام، وسمي بذلك لأنه **الْجَامِعُ لِأَبْوَابِ سِتَّةٍ**: الْأَدَبِ، الْبِرِّ، وَالصَّلَاةِ، وَالزُّهْدِ، وَالْوَرَعِ، وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَالتَّرْغِيْبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالتَّذْكَرِ، وَالدُّعَاءِ. اهـ

ويأتي العلماء بهذا الكتاب في مصنفاتهم لتتمة المصنف، فإن أبواب العلم كثيرة، فإذا أراد المصنف أن يكتب في كل باب؛ طال الكتاب، وخرج المصنف عن المقصود، ووقع في الاسهاب والاطناب ولكنه في الغالب يذكر جملاً تشير إلى ما سواها، يستفيدها المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي.

وهذا الذي ينبغي لكل عالم، أو طالب علم، أن يحرص على دلالة الناس على جوامع العلوم فإن النبي ﷺ قال: **«أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ»** أخرجه مسلم^(١) عن أبي هريرة.

«وجوامع الكلم»: الكلمات اليسيرات التي يدخل تحتها معاني بليغات، والأحاديث القصيرات التي تدل على علوم كثيرات، فالسداد هو المطلوب .

وكما قيل:

فاتخذ من كل شيء أحسنه

إنما العلم كبحر زاخر

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣).



ما حوى العلم جميعاً أحد
لا ولو مارسه ألف سنة
باب الآداب: ذكر هذا الباب في بعض نسخ بلوغ المرام، وترتيب الأحاديث يدل
على ذلك .

وقل أن يترك الكلام في هذا الباب سواء في الكتب الجوامع:
كصحيح الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وصحيح الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وما في بابها من
كتب الأمهات.

أو الكتب المفردة: ككتاب الأدب المفرد للإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهو من أنفسها
وأجمعها، وإن لم يكن هو الوحيد في بابها.
ومن أنفسها أيضاً رياض الصالحين للنووي **رَحْمَةُ اللَّهِ** فقد جاء بخير كثير في كل باب
من أبواب الأدب، سواء كان مع الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو ما يكون بين المكلفين
والله الموفق.





بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم

١٤٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ): «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ^(١) وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

التَّشْرِيحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم.

والحديث في الصحيحين: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»^(٣).

ثم إن أحسن ما يتأدب به، ما جاء عن النبي ﷺ.

ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٤).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي

(١) «التسميت» بالسين المهملة، وأيضا بالمعجمة لغتان مشهورتان، وهو أن يقول للعاطس: يرحمك الله. يعني: بعد قول العاطس: الحمد لله.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢)، واتفقا عليه، بلفظ "خمس" أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، وحسنه الإمام الوادي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند (١٣٧٤).



عَلِمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتَيْتَنِي، فَاذْطَلَقَ الْأَخَّ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ،...»^(١).

وقد زكاه الله عزَّجَلَّ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من طريق سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يَسْأَلُهَا، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وفي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَمِيرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النَّغِيرُ» نَعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرَبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحررنا منه.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِيَّهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَتَكَشَّفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمْرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرٌ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ " (١).

قوله: «حَقٌّ»: تشمل الواجبات والمستحبات.

فما دلت الأدلة على الوجوب، وجب تأديته إلى الغير.
وما دلت على الاستحباب فعلى ما جاء.

يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨).

و في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِرَآثَةٍ» (٢).

و في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي جَحِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الْإِرْوَاءِ (١٦٥٥).



في الدنيا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَتَقَوْمٌ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَتَقَوْمٌ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا لِهَلِكٍ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّبِيلِ (٢/ ٦١١-٦١٤): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: مَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَيَكُونُ فِعْلُهُ إِمَّا وَاجِبًا، أَوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا؛ شَبِيهًا بِالْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ.

وَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَعْنَيْنِ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْوَاجِبِ كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. اهـ.

قوله: «الْمُسْلِمِ» المسلم: هو المستسلم لله عَزَّجَلَّ بالتوحيد، والمنقاد له بالطاعة، والمتبرئ من الشرك، وأهله.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨).

قوله: «عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»: لا يُرَادُ بِهِ الْحَصْرُ لِلْحَقُوقِ، وَإِنَّمَا نَبِهَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَهَمِّ وَأَشْهَرِ هَذِهِ الْحَقُوقِ.

قوله: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»: فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ، فَلْيَبَادِرْ بِقَوْلِهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

الله وبركاته .

﴿ بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم: ﴾

وهذا اللفظ يدل على وجوب الابتداء بالسلام.

والذي ذهب إليه جمهور العلماء أن الابتداء بالسلام مستحب، وليس بواجب

بينما الرد على المسلم واجب.

لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ .

﴿ بيان أفضل صيغة للسلام: ﴾

أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ففي سنن الإمام أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث **عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -**، قَالَ:

«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ** فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ:

«عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ،

فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»^(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث **أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -**: «أَنَّ رَجُلًا

مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «عَشْرُ حَسَنَاتٍ»،

فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ حَسَنَةً»، فَمَرَّ رَجُلٌ

آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح أبي داود وغيره. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١٠٢٤).



الْمَجْلِسِ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَوْشَكَ مَا نَسِيَ صَاحِبِكُمْ، إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَجْلِسَ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، وَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، مَا الْأَوْلَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١).

﴿ بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام:

وزيادة: "ومغفرته"، لم تثبت عن النبي ﷺ، فلا يؤتى بها .

واستدل بعض أهل العلم على زيادتها بقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ .

وأخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ: عن زيد بن أرقم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: «كنا إذا سلم النبي ﷺ علينا قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته»^(٢).

وفي مصنف عبد الرزاق (٣٠٦٢) عن إبراهيم جاء الربيع لن خيثم إلى علقمة يستشيرهُ أن يزيد فيها ومغفرته قال علقمة «إنما ننتهي إلى ما علمناه»

﴿ بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم:

ولو مر أناس كثر من جانب أناس، وسلم أحدهم، ورد عليه أحدهم، فإن هذا يجزئ عن الباقيين .

بخلاف العُطاس، فإن الرجل إذا عطس فحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، لزم جميع من سمعه أن يشمته .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٨٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ

المفرد (٧٦٢/٩٨٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤١٤).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٣٠ / ١ / ١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٤٩).



﴿ بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١).

﴿ بيان أن الراكب يسلم على الماشي:

كما جاء ذلك أيضًا في الصحيحين: «يُسَلِّمُ الرَّابِحُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٢).

بيان حكم إجابة الدعوة:

قوله: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ»: إجابة الدعوة في حق الوليمة واجب، وما سواها على الاستحباب.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكَ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٣).

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أبي موسى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَكُونُوا الْعَانِيَّ، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ»^(٤).

وفي الصحيحين: من حديث البراء بن عازب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ،

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٣٣)، ومسلم (٢١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٧٤).



وإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ
الدَّهَبِ، وَعَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ، أَوْ قَالَ: آيَةُ الْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمِيَاثِرِ وَالْقَسِيِّ، وَعَنْ لُبْسِ
الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَالْإِسْتَبْرَقِ^(١).

﴿ بيان حكم النصيحة لمن طلبها:

قوله: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ»: من طلب منك النصيحة وأنت قادر على ذلك
فيجب نصحه وتوجيهه.

والمستشار مؤتمن ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»^(٢).

وَشَأْنُ النَّصِيحَةِ عَظِيمٌ، فِي صَاحِبِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ: من حديث تَمِيمِ الدَّارِيِّ
-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على النصيحة، ففي الصحيحين: من
حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البجلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى
إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٤).

وإذا لم يطلب النصح فبحسبه، فقد يكون واجباً أو مستحباً .

لقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ
في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٤٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ .

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ إِثْمِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (١).

ولو قام الناس بهذا الأمر لفشا الخير وانتشر في المجتمع.

ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قامت على النصيحة .

يقول الله عَزَّوَجَلَّ عن نوح: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ عن هود: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ عن صالح: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾﴾ غير ذلك .

٤٥) حكم تشميت العاطس

قوله: «وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمَّتُهُ» .

يقال التشميت والتسميت: وكلاهما بمعنى واحد، وهو أن يقول لمن عطس

فحمد الله تعالى، يرحمك الله .

٤٦) يجب الله عَزَّوَجَلَّ العطاس ويكره الثأوب:

ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَطَّاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

﴿٤٥﴾ بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت:

في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُم»^(٢).

﴿٤٦﴾ بيان أن من عطس فلم يحمد الله عَزَّوَجَلَّ فلا يشمت:

في الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَمَّتْ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من طريق أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ، فَحَمِدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمَّتُوهُ»^(١).

﴿ بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين:

فإن كان العاطس من أهل الذمة، أو المعاهدين، وغيرهم. فتشيمته إن حمد الله يكون بقولنا: يهديكم الله.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُم»^(٢).

﴿ بيان حكم عيادة المريض:

قوله: «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ»: عيادة المريض مستحبة لما في ذلك من إدخال السرور على المسلم، والدعاء له وتطيب خاطره، وإذا كان المريض معدياً فلا تلزم زيارته. ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»^(٣).

📖 قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (٢١٣/١٤-٢١٤):

قَالَ جُمُهورُ الْعُلَمَاءِ: يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَهُمَا صَحِيحَانِ. قَالُوا: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنْ حَدِيثُ: «لَا عَدَوِي»، الْمُرَادُ بِهِ نَفْسِي مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وفي صحيح الأدب المفرد (٧٢٣/٩٤٠). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٨١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) وأخرجه مسلم (٢٢٣١).



تَزْعُمُهُ وَتَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْمَرَضَ وَالْعَاهَةَ تَعْدِي بِطَبْعِهَا لَا بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَمَّا حَدِيثُ: « **لَا يورد مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ** »، فَأُرْسِدَ فِيهِ إِلَى مُجَانِبَةِ مَا يَحْصُلُ الصَّرْرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ .
فَنَقَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعُدْوَى بِطَبْعِهَا وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الصَّرْرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ .

وَأُرْسِدَ فِي الثَّانِي إِلَى الْإِحْتِرَازِ مِمَّا يَحْصُلُ عِنْدَهُ الصَّرْرُ بِفِعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْرِهِ .
فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَصْحِيحِ الْحَدِيثَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ .

وَلَا يُوْثِرُ نَسِيَانَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِحَدِيثِ: « **لَا عدوى** » لَوْجَهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ نَسِيَانَ الرَّاوي لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ لَا يَقْدَحُ فِي صِحَّتِهِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ بَلْ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ .

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ ثَابِتٌ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ وَبْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَحَكَى الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ حَدِيثَ: « **لَا يورد ممرض** **على مصحح** » مَنْسُوخٌ بِحَدِيثِ: « **لَا عدوى** » وَهَذَا غَلَطٌ لَوْجَهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّسْخَ يُشْتَرَطُ فِيهِ تَعَدُّرُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ وَلَمْ يَتَعَدَّرْ بَلْ قَدْ جَمَعْنَا بَيْنَهُمَا .

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ مَعْرِفَةُ التَّارِيخِ وَتَأَخُّرُ النَّاسِخِ وَكَيْسَ ذَلِكَ مَوْجُودًا هُنَا .

وَقَالَ آخَرُونَ: حَدِيثُ: « **لَا عدوى** » عَلَى ظَاهِرِهِ .

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ إِبْرَادِ الْمُمْرِضِ عَلَى الْمُصِحِّ، فَلَيْسَ لِلْعُدْوَى بَلْ لِلتَّأْدِي بِالرَّائِحَةِ

الكريهة وقيح صورته وصورة المجذوم.
والصواب ما سبق وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ ﷺ.

﴿ اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ﴾

قوله: «وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»: فاتبع جنازته وصل عليها والأفضل أن يكون معها حتى تدفن، فإن في ذلك أجر عظيم.
كما تقدم في كتاب الجنائز، والله المستعان.





بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه

١٤٥٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَنْظَرُوا إِلَيَّ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ الحديث لبيان وجوب شكر الله عَزَّجَلَّ على نعمه.

وأن على الإنسان له أن يتأدب بالآداب الشرعية.

فينظر إلى من هو دونه: في الرزق، والجمال، والقوة، وفي جميع شأنه الدنيوي.

فإنه يعرف مقدار ما أنعم الله عَزَّجَلَّ به عليه من النعم الكثيرة الجليلة.

أما إذا نظر إلى من فوقه، فربما ازدري تلك النعمة التي هو عليها، وجعل يتطلع

إلى غيرها والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١).

ويجوز للإنسان أن يتمنى الخير بدون ازدراء النعمة، يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا

تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧).

قوله: «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ»: في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ

إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ﴾ [طه: ١٣١]

📖 قال الإمام الصنعاني رَحْمَةً لِلَّهِ في السبل (٢/ ٦١٤-٦١٥):

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، واللفظ المتفق عليه: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال

والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه» أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

قوله: «فَهُوَ أَجْدَرُ»: بِالْجِيمِ وَالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ فَرَاءٍ أَحَقُّ.

قوله: «أَنْ لَا تَزْدُرُوا»: تَحْتَقِرُوا.

قوله: «نِعْمَةٌ اللَّهُ عَلَيْكُمْ»: عِلَّةٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعًا.

الْحَدِيثُ إِرْشَادٌ لِلْعَبْدِ إِلَى مَا يَشْكُرُ بِهِ النُّعْمَةَ.

وَالْمُرَادُ بِمَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنَ النَّاطِرِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَى الْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ وَيَتَّقِلُ مِنْهُ إِلَى مَا فَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ إِنْعَامٍ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ فِي خَلْقِهِ نَقْصٌ مِنْ عَمَى أَوْ صَمَمٍ أَوْ بَكَمٍ وَيَتَّقِلُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الَّتِي تَجْلِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَا أُبْتَلِيَ بِالدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالِامْتِنَاعِ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنَ الْحُقُوقِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَ بِالْإِفْلَالِ وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِقَلَّةِ تَبَعَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ أُبْتَلِيَ بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَوْ بِالذَّيْنِ الْمُفْطَعِ وَيَعْلَمُ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَتَقَرَّبَ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ الْعَيْنُ.

وَمَا مِنْ مُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَيَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِلِيَّةٍ فَيَتَسَلَّى بِهِ وَيَشْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَرَى غَيْرَهُ أُبْتَلِيَ بِهِ.

وَيَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْرَطِينَ فَبِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ يَشْكُرُ مَا لِلَّهِ مِنَ النُّعْمِ.

وَبِالنَّظَرِ الثَّانِي يَسْتَحْيِي مِنْ مَوْلَاهُ وَيَقْرَعُ بَابَ الْمَتَابِ بِأَنَامِلِ النَّدَمِ.

فَهُوَ بِالْأَوَّلِ مَسْرُورٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ.

وَفِي الثَّانِي مُنْكَسِرُ النَّفْسِ حَيَاءً مِنْ مَوْلَاهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى

مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ». اهـ





بيان البر والإثم

١٤٥٤ - (وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان البر و الإثم .

وهذا من أعظم الآداب، التي ينبغي للمسلم معرفتها إذ أن البر يقرب من الله عَزَّجَلَّ، ويكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، وأعظم البر التوحيد، والإثم من أسباب البعد عن الله عَزَّجَلَّ، وأشدّه الشرك، ثم هو متفاوت كثيراً، والله المستعان .

قوله: «عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -».

النَّوَّاسِ: بفتح النون وتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَسِينِ مُهْمَلَةٍ.

ابْنُ سَمْعَانَ: بفتح السين المُهْمَلَةِ وَكسرها وبالعين المُهْمَلَةِ.

وَرَدَ سَمْعَانُ الْكِلَابِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَرَوَّجَهُ ابْنَتُهُ وَهِيَ الَّتِي تَعَوَّذَتْ مِنْ

النَّبِيِّ ﷺ - .

سَكَنَ النَّوَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْهُمْ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: نَسَبَتْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي الْقَاضِي عِيَّاضُ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كِلَابِيٌّ وَلَعَلَّهُ حَلِيفُ

الْأَنْصَارِ. أَفَادَهُ الْإِمَامُ الصَّنَعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّبِيلِ.

قوله: «قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -» فيه: سؤال أهل العلم فيما يشكل.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

قوله: «عَنِ الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾.

قوله: «وَالْإِثْمُ؟» الإثم: اسم جامع لكل ما يآثم به الإنسان إذا فعله. وسؤال النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنبي ﷺ ليس عن أعمال البر، وأعمال الإثم، وإنما سأل النبي ﷺ عن كيفية معرفة البر، ومعرفة الإثم؟

قوله: "فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ»".

﴿ بيان أقسام حسن الخلق:

وحسن الخلق، ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسن خلق مع الله عزَّجَلَّ.

ويكون ذلك بتوحيده وعدم الشرك به، وبطاعته وعدم معصيته.

وهذا هو معنى الإحسان المذكور في قوله ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ بَرَآكَ» .

الثاني: حسن الخلق مع الخلق ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة

الوجه.

﴿ بيان أن الصدق أساس البر.

والصدق هو أساس البر ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ



يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصُدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١).

﴿ بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله عزَّجَلَّ:

وهنيئًا لمن كان حسن الأخلاق، فإن صاحب حسن الخلق من أثقل الناس ميزانًا يوم القيامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٣).

﴿ بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي ﷺ:

وصاحب الخلق الحسن من أقرب الناس مجلسًا للنبي ﷺ يوم القيامة.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهُونَ؟ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

«الْمُتَكَبِّرُونَ»^(١).

وَالثَّرَّارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْدُو عَلَيْهِمْ.

﴿ بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس:

ففي الصحيحين: من طريق مسروق، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢).

﴿ بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(٣).

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في السبل (٢/٦١٥): قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصَّلَةِ، وَبِمَعْنَى الصَّدَقَةِ، وَبِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: حُسْنُ الْخُلُقِ مُخَالَقَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرُ وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ وَاحْتِمَالُهُمْ وَالْحَمْلُ عَنْهُمْ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالْإِسْتِطَالَةَ عَلَيْهِمْ وَمُجَانَبَةُ الْغِلْظَةِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ صحيح وضعيف الترمذي. وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٧): وحسنه في الصحيحة (٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، والحاكم (٣٢٤ / ٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي. وفي الصحيحة (٩٧٧).



وَحَكَى فِيهِ خِلَافًا هَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ أَوْ مُكْتَسَبٌ؟

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَةٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّخَلُّقِ وَالِإِقْتِدَاءِ بِغَيْرِهِ.
وَقَالَ الشَّرِيفُ فِي التَّعْرِيفَاتِ: قِيلَ حُسْنُ الْخُلُقِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ
الْمَحْمُودَةُ بِسُهُولَةٍ وَتَيْسَّرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى إِعْمَالِ فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ. اهـ
قِيلَ وَيَجْمَعُ حُسْنَ الْخُلُقِ قَوْلُهُ - ﷺ -: «طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَكَفُّ الْأَذَى وَبَدْلُ
الْمَعْرُوفِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وقوله: «وَالْإِيْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»:

أَيُّ تَحَرَّكَ الْخَاطِرُ فِي صَدْرِكَ وَتَرَدَّدَتْ هَلْ تَفَعَّلَهُ لِكُونِهِ لَا لَوْمَ فِيهِ أَوْ تَتْرَكُهُ خَشْيَةَ
اللَّوْمِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ النَّاسِ لَوْ فَعَلْتَهُ؟
فَلَمْ يَنْشِرْ بِهِ الصَّدْرُ وَلَا حَصَلَتْ الطَّمَأْنِينَةُ بِفِعْلِهِ خَوْفَ كَوْنِهِ ذَنْبًا.
وَيَفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي تَرْكُ مَا تَرُدَّدَ فِي إِبَاحَتِهِ.
وَفِي مَعْنَاهُ حَدِيثٌ: «دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَّا مَا لَا يَرِيْبُكَ»^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ
الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِلنَّفْسِ إِذْرَاكَ لِمَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ وَزَاجِرًا عَنْ فِعْلِهِ.

اهـ

(١) الحديث لم يخرج به البخاري في صحيحه، وقد جاء عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منهم: الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. والحديث صححه في الإرواء الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٢) وقال فيه: أما حديث الحسن: فأخرجه النسائي (٢٣٤/٢) والترمذي (٨٤/٢) والحاكم (٩٩/٤) والطيالسي (١١٧٨) وأحمد (٢٠٠/١) وأبو نعيم في "الحلية" (٢٦٤/٨) وزادوا جميعاً إلا النسائي "فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة". وإسناده صحيح، وسكت عليه الحاكم. وقال الذهبي: "قلت: سنده قوى".

بيان أنه لا يتناهى اثنان دون الثالث

١٤٥٥ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحْمَةً اللَّهُ هذا الحديث لبيان النهي عن تناهي اثنين دون الثالث لعله إدخال الحزن عليه.

وهذا حسن خلق رفيع تراعي فيه المشاعر، وأهمية إدخال السرور على المسلمين والنهي هنا للتحريم؛ لأنه الأصل في النهي، ولا صارف يصرفه إلى الكراهة. ولأن أذية المسلم محرمة، فلا يحوز للمسلم أن يؤدي أخاه، أو يتسبب في حزنه، وأذيته، يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينَا﴾^(٥٨).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةً اللَّهُ: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»^(٢).

والمناجاة: هي المحادثة على السرار، أي بصوت خافت لا يسمعه إلا من كان

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).



بجانبه .

قوله: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً»: خرج بهذا القيد: ما إذا كانوا اثنين، أو أكثر من ثلاثة، فلا يشملهم الحكم.

قوله: «فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ» أي: لا بد من إقبال بعضهم على البعض، والتحدث فيما بينهم جميعاً، وهذا إذا كانوا ثلاثة .

قوله: «حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ»: والعلة في ذلك من أجل أن ذلك يحزنه، أي يدخل عليه الحزن، ويؤدي إلى إساءة الظن.

ولا سيما إذا كانوا في مفازة، ربما ظن أنهم يتآمرون على قتله، أو ضربه.

أو أخذ ماله؛ فيبقى منهم على تخوف، وحذر شديد.

وفيه: سد ذرائع الشر، والحفاظ على الأخوة.

قوله: «مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» أي: يدخل عليه الحزن.

فهذه هي العلة من النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث؛ إن لم يكن غيرهم .

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٦١٦/٢): فِيهِ النَّهْيُ عَنِ تَنَاجِيِ

الْإِثْنَيْنِ إِذَا كَانَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ.

إِلَّا إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِإِنْتِفَاءِ الْعِلَّةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّهُ يُحْزِنُهُ انْفِرَادُهُ.

وَإِيهَامُ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يُؤْهَلُ لِلسَّرِّ، أَوْ يُوْهَمُ أَنَّ الْخَوْضَ مِنْ أَجْلِهِ.

وَدَلَّتِ الْعِلَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا أَرْبَعَةً فَلَا نَهْيَ عَنِ انْفِرَادِ اثْنَيْنِ بِالْمُنَاجَاةِ لِفَقْدِ

الْعِلَّةِ.

وظَاهِرُهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضْرٍ:

وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ عُمَرَ وَمَالِكٌ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.

وَادَّعَى بَعْضُهُمْ نَسَخَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ فَهِيَ فِي نَهْيِ الْيَهُودِ عَنِ التَّنَاجِي .
 كَمَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بَنٍ حَمِيدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨] قَالَ: "الْيَهُودُ".

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «كَانَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ -
 - مُوَادَعَةً. فَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ
 بَيْنَهُمْ حَتَّى يَظُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ
 خَشِيَهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ. فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَتَّهَوْا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨].»





بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه

١٤٥٦ - (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في السبل (٢/٦١٦-٦١٧):

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: "لَا يُقِيمَنَّ": بِصِيغَةِ النَّهْيِ مُؤَكَّدًا فَلَفْظُ الْخَبَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي آتَى بِهِ الْمُصَنِّفُ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَظَاهِرُهُ التَّحْرِيمُ. فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَوْضِعٍ مُبَاحٍ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِهِ لِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الطَّاعَاتِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَفَادَ حَدِيثُ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ فِيهِ حَقٌّ لِأَحَدٍ بِقُعودِهِ فِيهِ مِنْ مُصَلٍّ أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ فَارَقَهُ لِأَيِّ حَاجَةٍ ثُمَّ عَادَ وَقَدْ قَعَدَ فِيهِ أَحَدٌ أَنْ لَهُ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ.

وَأِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَقَالُوا: لَا فَرْقَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ أَنْ يَقُومَ وَيَتْرَكَ فِيهِ سَجَادَةً، أَوْ نَحْوَهَا، أَوْ لَا، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِهِ.

قَالُوا: وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ وَحَدَهَا دُونَ غَيْرِهَا.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) واللفظ له.



وَالْحَدِيثُ يَشْمَلُ مَنْ قَعَدَ فِي مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ لِتِجَارَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.
قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَنْ اِعْتَادَ فِي الْمَسْجِدِ مَحَلًّا يُدْرَسُ فِيهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ.
قَالَ الْغَزَالِيُّ: إِلَى الْأَبَدِ مَا لَمْ يُضْرَبْ.
وَأَمَّا إِذَا قَامَ الْقَاعِدُ مِنْ مَحَلِّهِ لِغَيْرِهِ؛ فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ جَوَازُهُ.
وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ لَهُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ لَا يَقْعُدُ
 فِيهِ".

وَحَمِلَ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَهُ تَوَرُّعًا لِحَوَازِ أَنَّهُ قَامَ لَهُ حَيَاءً مِنْ غَيْرِ طَيِّبَةِ نَفْسٍ. اهـ





بيان بعض آداب الأكل

١٤٥٧ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان أدب من آداب الطعام، وهو لعق الأصابع .

وبيانه أن لا يمسح الأكل يده حتى يلعقها بنفسه، أو يلعقها غيره؛ إن كان لا يحصل له التقزز والأذى من اللعق.

بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:

ذكر أهل العلم أن الحكمة في ذلك طلب بركة الطعام تكون في هذا الطعام الذي في يده، فإذا لعقها وقعت البركة فيه .
والنهي للتنزيه .

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا» أي: يلعقها بنفسه .

قوله: «أَوْ يُلْعِقَهَا» أي: غيره ممن لا يتقدر منه: كالزوجة، أو الابن، أو الخادم، وما أشبه ذلك .

والشاهد من الحديث: أن الإنسان يحافظ على النعمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .
وفيه: أنه ينبغي الحرص على طلب البركة، سواء كان ذلك بلعق يديه بعد الطعام

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١)، وهو عند البخاري بدون لفظ: «طعاما» وفي رواية أخرى لمسلم: «من الطعام».

أو بلعق الصحن التي أكل فيها أو الأكل من جوانب الصحن .

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلُ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلَ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَإِنَّ الْبَرَكََةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا»^(١).

ولفظ الإمام ابن ماجه في سننه بذكر الوسط: من حديث ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَخُذُوا مِنْ حَافَتِهِ، وَذَرُوا وَسْطَهُ، فَإِنَّ الْبَرَكََةَ، تَنْزِلُ فِي وَسْطِهِ».

٤٥ بيان حكم الأظعمة التي تكون جافة:

وأما الأظعمة الجافة التي لا يعلق بالأيدي منها شيء، فلا سبيل إلى لعق الأصابع.

٤٦ بيان أن عادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يأكل بثلاث أصابع:

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا»^(٢).

قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ في السبل (٢-٦١٧-٦١٨): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ تَعْيِينِ غَسْلِ الْيَدِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُ يُجْزَى مَسْحَهَا. وفيه دليل على أنه يجب لعق اليد أو إغافها الغير. وَعَلَّلَهُ فِي الْحَدِيثِ: «بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكََةُ».

كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكََةُ».

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن، وهو في الإرواء (١/١٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).



وَكَذَلِكَ أَمَرَ - ﷺ - بِالتَّقَاطِ اللَّقْمَةِ وَمَسْحِهَا وَأَكْلِهَا.

كَمَا فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا بِلَفْظٍ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ».

وَهَذِهِ الْأُمُورُ: مِنَ اللَّعَقِ وَالْإِلْعَاقِ وَلَعَقِ الصَّحْفَةِ وَأَكْلِ مَا يَسْقُطُ ظَاهِرُ الْأَوَامِرِ وَجُوبِهَا.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ، وَقَالَ: إِنَّهَا فَرَضٌ.

وَالْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ وَتُبُوتُ الْخَيْرِ.

وَالْمُرَادُ هُنَا: مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّغْذِيَةُ وَتَسْلَمُ عَاقِبَتُهُ مِنْ أَدَى وَيَقْوِي عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ قَدْ تَكُونُ: فِي لَعَقِ يَدِهِ، أَوْ لَعَقِ الصَّحْفَةِ، أَوْ أَكْلِ مَا يَسْقُطُ مِنْ لُقْمَةٍ؛ وَإِنْ كَانَ عَمَلٌ أَكَلَ السَّاقِطَ بِأَنَّهُ لَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ يَدُهُ هُوَ أَصَابِعُ يَدِهِ الثَّلَاثُ: كَمَا وَرَدَ «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ وَلَا يَزِيدُ الرَّابِعَةَ وَالْخَامِسَةَ إِلَّا إِذَا احْتَاجَهَا»، بِأَنْ يَكُونَ الطَّعَامُ غَيْرَ مُشْتَدِّ وَنَحْوَهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَكَلَ أَكَلَ بِخَمْسٍ»، وَهُوَ مُرْسَلٌ.

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْعَاقِ الْغَيْرِ أَصَابِعُهُ مِنْ زَوْجَةٍ، وَخَادِمٍ وَوَلَدٍ وَغَيْرِهِمْ. فَإِنْ تَنَجَّسَتْ اللَّقْمَةُ السَّاقِطَةُ فَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنْ نَجَاسَةٍ إِنْ أَمَكَنَّ، وَإِلَّا أَطْعَمَهَا حَيَوَانًا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ إِطْعَامِ الْمُتَنَجِّسِ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ فِعْلًا خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ. اهـ

بيان بعض آداب السلام

١٤٥٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: [قَالَ] رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَيْسَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»^(٢)).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان بعض آداب السلام.

وقد تقدم شيء من ذكر آدابه في شرح حديث حق المسلم على المسلم .

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ في السبل (٢-٦١٨-٦١٩): وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: إِنَّهُ لِلنَّدْبِ.

قَالَ: فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورُ بِالْإِبْتِدَاءِ فَبَدَأَ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرُ فَاعِلًا لِلسُّنَّةِ.

(قُلْتُ) وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَكَأَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْهُ الْإِتِّفَاقُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْبُدْءِ بِالسَّلَامِ.

وَالْحَدِيثُ فِيهِ شَرْعِيَّةُ إِبْتِدَاءِ السَّلَامِ مِنَ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: عَنِ الْمُهَلَّبِ: الْمَارِّينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فَسَقَطَتِ الْبُدْءُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ.

وفيه: شَرْعِيَّةُ إِبْتِدَاءِ الْقَلِيلِ بِالسَّلَامِ عَلَى الْكَثِيرِ؛ وَذَلِكَ لِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ أَوْ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ وَلَوْ إِبْتَدَأُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١ - ٦٢٣٤)، وهذا لفظه، وليس عند مسلم تسليم الصغير على الكبير.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٠) والبخاري (٦٢٣٢، ٦٢٣٣).



فَلَوْ مَرَّ جَمْعٌ كَثِيرٌ عَلَى جَمْعٍ قَلِيلٍ أَوْ مَرَّ الْكَبِيرُ عَلَى الصَّغِيرِ؟
قَالَ الْمُصَنِّفُ: لَمْ أَرْ فِيهِ نَصًّا، وَاعْتَبَرَ النَّوَوِيُّ الْمُرُورَ.

فَقَالَ: الْوَارِدُ يُبْدَأُ سِوَاءَ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَنَّ مَنْ مَشَى فِي الشَّوَارِعِ الْمَطْرُوقَةِ كَالسُّوقِ أَنَّهُ لَا يُسَلَّمُ إِلَّا عَلَى
الْبَعْضِ لِأَنَّهُ لَوْ سَلَّمَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَ لَتَشَاغَلَ بِهِ عَنِ الْمُهِّمِّ الَّذِي خَرَجَ لِأَجْلِهِ؛ وَخَرَجَ
بِهِ عَنِ الْعُرْفِ.

وفيه: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الرَّكِبِ عَلَى الْمَاشِي، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ لِلرَّكِبِ مَزِيَّةً عَلَى الْمَاشِي؛
فَعَوَّضَ الْمَاشِي بِأَنْ يُبْدَأَ الرَّكِبُ بِالسَّلَامِ احْتِيَاظًا عَلَى الرَّكِبِ، مِنْ الزَّهْوِ لَوْ حَازَ
الْفَضِيلَتَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَلَاقَى رَاكِبَانِ أَوْ مَاشِيَانِ:

فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا الْمَازِرِيُّ فَقَالَ: يُبْدَأُ الْأَدْنَى مِنْهُمَا عَلَى الْأَعْلَى قَدْرًا فِي الدِّينِ
إِجْلَالًا لِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ فَضِيلَةَ الدِّينِ مُرَغَّبٌ فِيهَا فِي الشَّرْعِ.

وَعَلَى هَذَا لَوْ تَلَقَى رَاكِبَانِ وَمَرْكُوبٌ أَحَدُهُمَا أَعْلَى فِي الْجِنْسِ مِنْ مَرْكُوبِ الْآخَرِ
كَالْجَمَلِ وَالْفَرَسِ فَيُبْدَأُ رَاكِبُ الْفَرَسِ، أَوْ يَكْتَفِي بِالنَّظَرِ إِلَى أَعْلَاهُمَا قَدْرًا فِي الدِّينِ.
فَيُبْدَأُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ.

وَالثَّانِي أَظْهَرُ كَمَا لَا يُنْظَرُ إِلَى مَنْ يَكُونُ أَعْلَاهُمَا قَدْرًا مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ
سُلْطَانًا يُخْشَى مِنْهُ.

وَإِذَا تَسَاوَى الْمُتَلَاقِيَانِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ:

فَكُلُّ مِنْهُمَا مَأْمُورٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يُبْدَأُ بِالسَّلَامِ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ
الْمُتَهَاجِرِينَ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ «الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَفْضَلُ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ الْأَعْرَابِيِّ الْمُزَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "لَا يَسْبِقُكَ أَحَدٌ بِالسَّلَامِ".

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ»، وَقَالَ: حَسَنٌ.

وَالطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَلْتَقِي فَأَيُّنَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ قَالَ أَطْوَعُكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى».





١٤٥٩ - (وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «يُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يَسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»^(١).
رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أدب من آداب السلام.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في السبل (٢-٦١٩-٦٢٠):

فيه: أَنَّهُ يُجْزَى تَسْلِيمُ الْوَاحِدِ عَنِ الْجَمَاعَةِ ابْتِدَاءً وَرَادًّا.

قَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَشَى مِنْ عُمُومِ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مَنْ كَانَ يَأْكُلُ، أَوْ يَشْرَبُ، أَوْ يُجَامِعُ، أَوْ كَانَ فِي الْخَلَاءِ، أَوْ فِي الْحَمَامِ، أَوْ نَائِمًا، أَوْ نَاعِسًا، أَوْ مُصَلِّيًا، أَوْ مُؤَدِّنًا، مَا دَامَ مُتَلَبِّسًا بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، إِلَّا أَنَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَمَامِ إِنَّمَا كُرِهَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِزَارٌ وَإِلَّا فَلَا كَرَاهَةَ.

📖 بيان حكم السَّلَامِ حَالِ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ:

وَأَمَّا السَّلَامُ حَالِ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ فَيُكْرَهُ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْصَاتِ، فَلَوْ سَلَّمَ لَمْ يَجِبِ الرَّدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ قَالَ الْإِنْصَاتُ وَاجِبٌ.
وَيَجِبُ عِنْدَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ سُنَّةٌ.
وَعَلَى الْوُجْهَيْنِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ.

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقي (١٧٩٤٦)، وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي ضعيف. وليس هو عند أحمد. وله شاهد: من مراسيل زيد بن أسلم، أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٥٦). وآخر من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البزار (٥٣٤)، وأبو يعلى (٤٤١). وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (٧٧٨).

﴿ بيان حكم السَّلَامِ عَلَى الْمُشْتَغِلِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْأَوْلَى تَرْكُ السَّلَامِ عَلَيْهِ فَإِنْ سَلَّمَ كَفَاهُ الرَّدُّ بِالْإِشَارَةِ.

وَإِنْ رَدَّ لَفْظًا اسْتَأْنَفَ الْإِسْتِعَاذَةَ وَقَرَأَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُشْرَعُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ. اهـ

﴿ بيان حكم سَلَامٍ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ:

وَيُنْدَبُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الْآيَةَ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَابْنُ شَيْبَةَ^(١): بِإِسْنَادٍ حَسَنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «يُسْتَحَبُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ». وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - نَحْوَهُ.

﴿ بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام:

فَإِنْ ظَنَّ الْمَارُ أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى الْقَاعِدِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَتْرُكُ ظَنَّهُ وَيُسَلِّمُ فَلَعَلَّ ظَنَّهُ يُخْطِئُ.

فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرُدِّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ. كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: لَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِتَأْثِيمِ الْآخَرِ فَهُوَ كَلَامٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةَ لَا تُتْرَكُ بِمِثْلِ هَذَا، ذَكَرَ مَعْنَاهُ النَّوَوِيُّ. وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَوَرُّطَ الْمُسْلِمِ فِي الْمَعْصِيَةِ أَشَدُّ مِنْ مَصْلَحَةِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَامْتِثَالَ حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْإِفْشَاءِ يَحْصُلُ مَعَ غَيْرِ هَذَا.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٨٣٥).



فَإِنْ قِيلَ هَلْ يَحْسُنُ أَنْ نَقُولَ: "رُدَّ السَّلَامَ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ"، قِيلَ نَعَمْ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَيَجِبُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِبْ، حَسَنٌ أَنْ يُحَلَّلَهُ مِنْ حَقِّ الرَّدِّ. اهـ



بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام

١٤٦٠ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان تحريم بدء أهل الذمة: من اليهود ومن النصارى بالسلام.

وذلك لإظهار قوة الإسلام .

وحديث الباب يدل على تحريم بدء أهل الذمة من اليهود، ومن النصارى بالسلام؛ لأنهم غير مستحقين له.

ولكن لو بدأوا هم بالسلام فيرد عليه بقوله: "وعليكم".

دون أي زيادة؛ لأنهم ربما قصدوا الدعاء وسب المسلم، كما كانت اليهود تفعل مع النبي ﷺ ويقولون: السام عليكم والسام الموت.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز بدء أهل الذمة بالسلام؛ لعموم أدلة السلام والذي يظهر أن العموم خاص في حق المسلم، وحديث الباب يدل على عدم بدئهم بالسلام.

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس عن علي، فلعله سبق قلم.



عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

وفي مسند الإمام البزار رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَمَّارِ بنِ ياسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِفْتَارِ، وَبَدْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»^(٢).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ عَمَّارٍ مَوْقُوفًا.

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).

قوله: «وَعَنْهُ» أي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «لَا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ» اليهود: هم أتباع موسى عليه السلام، ولكنهم قد حرفوا وبدلوا التوراة التي أنزلها الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه موسى عليه السلام. ولم يؤمنوا بنبينا محمد ﷺ، فهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا وقد وقعوا في الشرك الأكبر المخلد لأهله في نار جهنم.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ

(١) أخرجه مسلم (٥٤).

(٢) أخرجه البزار مرفوعًا (١٣٩٦)، وعلقه البخاري في صحيحه من قول عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا عليه (١٥/١)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٤٠) موقوفًا على عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحح الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وقفه على عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في تحقيق الإيمان لابن تيمية (ص ٩٣)، وفي تخريج الكلم الطيب (١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

أَبْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
 قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
 أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا
 إِلَٰهَا وَحِدًا ۗ إِلَٰهٌ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠-
 ٣١].

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا
 نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

قوله: «وَالنَّصَارَى» النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام، وقد حرفوا وبدلوا .
 حتى أصبحت الأناجيل ثمانية وسبعين إنجيلًا.

وهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا؛ لأنهم كفروا بنبوة نبينا محمد ﷺ.

وقد وقعوا في الشرك وانقسموا في عيسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم قالوا بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله عزَّجَلَّ.

الثاني: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله عزَّجَلَّ.

الثالث: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام إله ثالث، مع الله عزَّجَلَّ، ومع روح

القدس الذي هو أمه مريم الصديقة.

فجعلوا الآلة ثلاثة: الله عزَّجَلَّ، وعيسى، ومريم.

قاتلهم الله عزَّجَلَّ أنا يؤفكون.

يقول الله عزَّجَلَّ رداً عليهم في زعمهم الباطل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبِئِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾
 لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
 إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ أَنْظَرُ
 كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ نَنْظُرُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

لهذا فلا يقال في حق اليهود والنصارى بأنهم أصحاب ديانة سماوية كما يقوله البعض من جهلة المسلمين.

فالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، قد حصل لهما التحريف، والتدليل، من قبل اليهود والنصارى.

وما فيهما من الحق قد نسخ بالقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ.

إضافة إلى ما فيهم من الكفر، والشرك بالله عز وجل، في اعتقادهم في عزيز، وفي عيسى عليه السلام.

وإضافة إلى ذلك كفرهم بنبوته محمد ﷺ.

كل هذا يجعلهم من أهل النار خالدين فيها أبداً.

ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾، وغيرها من الآيات.

فالواجب على كل من أدرك زمن نبوة نبينا محمد ﷺ أن يؤمن به؛ وبقاؤه على

دينه السابق كفر بمحمد ﷺ.

٥٥ بيان أقسام أمة النبي ﷺ:

وتنقسم أمة النبي ﷺ إلى قسمين:

الأول: أمة الإجابة.

وهي من آمن بالنبي ﷺ وبما أنزل إليه.

الثاني: أمة الدعوة.

وهم من بلغتهم دعوة نبينا محمد ﷺ ولم يؤمن به، وكفروا برسالته، ونبوته، ومنهم: اليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الكفار والمشركين، حتى الملحدين بالله عزَّوجلَّ.

وقد لعن اليهود والنصارى على السنة أنبيائهم عليهم السلام.

يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

قوله: «بالسلام»: فلا يجوز بدء اليهود، والنصارى بالسلام.

سواء كانوا من أهل الذمة، والمعاهدين، أو كان المسلم يعيش في بلادهم. وإذا خشي على نفسه منهم، له أن يسلم عليهم بتحيتهم المعروفة بلغتهم؛ حتى يدفع الشر، والأذى عن نفسه.

قوله: «وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاصْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أُصْبِقِهِ».



وهذا يكون في حال قوة أهل الإسلام، وعزته.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢/ ٦٢١): ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ. وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، إِذْ أَصْلُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ.

وَحِكْيِي عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَِّّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ لَهُمْ بِالسَّلَامِ.
وَلَكِنْ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ.

وَرَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وَغَيْرُهُ.

حَكَى الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنْ جَمَاعَةٍ جَوَّازَ ذَلِكَ لَكِنْ لِلضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ.
وَبِهِ قَالَ عَلْقَمَةُ وَالْأَوْزَاعِيُّ.

وَمَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ.

يَقُولُ: إِنْ سَلَّمَ عَلَى ذِمِّي ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ بَانَ لَهُ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ فَيَبْغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: رُدَّ عَلَيَّ سَلَامِي.

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يُوحِشَهُ وَيُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ.

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَرِدَّهُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. اهـ

وَفِي قَوْلِهِ: "فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضِيْقِهِ": دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ رَدِّهِمْ عَنْ وَسْطِ الطَّرْفَاتِ إِلَى أَضِيْقِهَا وَتَقَدَّمَ فِيهِ الْكَلَامُ. اهـ



بيان بعض آداب العطاس

١٤٦١ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بِالْكُمِ»^(١)). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان بعض آداب العطاس.

وإذا عطس في الأولى فحمد الله عَزَّجَلَّ؛ فإنه يشمت، ويقال له: يرحمك الله كما في

حديث الباب .

وفي صحيح الإمام مسلم: من طريق أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَحَمِدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتَهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»^(٢)، ولغيره من الأدلة.

وإذا زاد على ثلاث لا يلزم تشميته

ففي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشَمِّتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَرْكُومٌ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٢٥١)، وابن عساكر في



وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يشمت إلا في الأولى .

واستدلوا بما في صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ» ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ»^(١).

قوله: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ» أي: من المسلمين: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، من الكبار، والصغار.

قوله: «فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»: الأصل في الأمر الوجوب، ولكنه هنا للإرشاد، فالصحيح حمد العاطس: من المستحبات، وليس من الواجبات.

قوله: «وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ»: وهذا على الوجوب، لكل من سمعه .

ففي صحيح الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّنَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ، فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّنَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

قوله: «فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بِالْكُمِ».

وفي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُسَمِّتِ الْآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَهَذَا

" تاريخ دمشق " (٢ / ٣٩١ / ٢)، بلفظ: " إذا عطس أحدكم فليشتمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مَرْكُومٌ، ولا يشمت بعد ذلك ". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ (١٣٣٠)، وفي صحيح الجامع (٦٨٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ»^(١).

﴿ بيان حكم من عطس ولم يحمد الله: ﴾

وفي الحديث أن من عطس ولم يحمد الله، أنه لا يشمت .

﴿ وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟ ﴾

الذي يظهر أنه لا يلزم أن يذكر لأن النبي ﷺ لم يذكره .

وإن ذكره، فمن باب التعاون على البر والتقوى .

واستدل العلماء بهذا الحديث الذي في الباب على فضيلة العطاس .

وأنه سبب لإزالة كثير من الجراثيم التي تخرج مع الرذاذ وقت العطاس وإذا كتم الإنسان العطاس ربما أصيب بجلطة .

وفيه: أن حال المسلم كله على خير فالعاطس يحمد الله **عَزَّجَلَّ** على أن سلمه من هذا المرض .

وأخوه الذي سمعه يقول له: يرحمك الله .

فيدعو له بالرحمة، والسلامة من الأمراض والأسقام، وبمغفرة الذنوب، وستر

العيوب وهو يرد عليه، بقوله: **«يهديكم الله ويصلح بالكم»** .

قوله: «يهديكم الله» أي: يدعو له بالهداية إلى كل خير، وأن يجنبه الله كل شر وضير

وضرر .

قوله: «ويصلح بالكم» أي: يصلح لكم الحال الذي أنتم عليه كما قال تعالى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمُمْ ﴾ [محمد: ٥] .



(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١)، ومسلم (٢٩٩١) .



بيان النهي عن الشرب قائماً

١٤٦٢ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان بعض آداب الشرب، ومنها: النهي عن الشرب قائماً، وفيه زيادة «فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ».

والحديث ضعفه بعض أهل العلم؛ ففي إسناده عمر بن حمزة ضعيف.

ففي صحيح مسلم: من حديث أنسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِماً»، قَالَ قَتَادَةُ: فُقُلْنَا فَالْأَكْلُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ أَشْرٌ أَوْ أُخْبِتُ»^(٢).

وفي صحيح مسلم: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً»^(٣).

بيان حكم الشرب جالساً:

قوله: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً»: المستحب الشرب جالساً، فقد صرف نهي النبي ﷺ بفعله، ففي صحيح مسلم: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ مِنْ رَمَزَمٍ مِنْ دَلْوٍ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ»^(٤).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث كَبْشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٤).

(٣) أخرجه مسلم باللفظين (٢٠٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢٧).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهَا»^(١).

وفعلت ذلك تبتغي بركة النبي ﷺ كما جاء ذلك مصرحاً به في سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث كَبْشَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَطَعْتُ فَمِ الْقِرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَهَ، مَوْضِعَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ»^(٢).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النهي عن الشرب قائماً للتحريم.

وما جاء في حديث ابن عباس، وكبشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ، محمول على الحاجة .

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذَا رُمَتْ تَشْرَبُ فَاقْعُدْ تَفْزُ
وَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبَهُ قَائِمًا
بِسُنَّةِ صَفْوَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ
وَلَكِنَّهُ لِيَبَانَ الْجَوَازِ

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كُنَّا نَأْكُلُ

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ»^(٣).



(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٢٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٨٠)، وابن ماجه (٣٣٠١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.

وكان في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ ثم تراجع عنه في أحاديث معلقة ظاهرها الصحة



بيان بعض آداب اللبس

١٤٦٣ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِذَا أَنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلِتَكُنَّ الْيُمْنَى أَوْ لَهَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(١)).

١٤٦٤ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحَدِيثَ لِبَيَانِ بَعْضِ آدَابِ اللِّبْسِ.

ومنها: لبس النعال، وخلعهما.

بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال:

وحديث الباب يدل على استحباب البدء باليمين عند لبس النعال، وبالبدء بالشمال عند خلعهما والأمر في الحديث للإرشاد.

وذلك لإكرام اليمين في اللبس، والخلع؛ لما لها من الفضل، والتقديم.

وقد كان النبي ﷺ يحب التيمن.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمَنُ، فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

قوله: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ»: على سبيل الاستحباب، كما تقدم بيان ذلك.

قوله: «وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنْ الْيُمْنَى أَوْلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»: وفيه بيان لشرف اليمين وتقديمها عند اللبس، والنزع.

وقد تكلمنا على أحكام اليمين في شرحنا على عمدة الأحكام، عند حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول...» وهو متفق عليه.

﴿ بيان أن المنتعل كالراكب: ﴾

في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةِ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْبِرُوا مِنَ النَّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ»^(١).

﴿ بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس: ﴾

لما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْتَعَلَ الرَّجُلُ وَهُوَ قَائِمٌ»^(٢).
لأن لبسه حال القيام قد يؤدي إلى سقوطه.

وهذا الحكم في الخفاف وما يقوم مقامها من الجوارب، والنعال الضيقة التي تحتاج إلى استخدام الأيدي في اللبس، ويشق لبسها للقائم.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٧٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.



📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢/ ٦٢٢-٦٢٣):
 وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِنْتِعَالِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ».
 وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «اسْتَكْبَرُوا مِنَ النَّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا
 انْتَعَلَ».

أَيُّ يُشْبِهُ الرَّاكِبَ فِي خِفَّةِ الْمَشَقَّةِ وَقَلَّةِ النَّصَبِ وَسَلَامَةِ الرَّجُلِ مِنْ أذى الطَّرِيقِ،
 فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا لَمْ يُحْمَلْ عَلَى الْإِيجَابِ فَهُوَ لِلِاسْتِحْبَابِ. اهـ

قوله: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلِيُنْعِلَهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعَهُمَا جَمِيعًا».

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢-٦٢٣-٦٢٤): ظَاهِرُ النَّهْيِ
 التَّحْرِيمِ عَنِ الْمَشْيِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ.

وَحَمَلُهُ الْجُمْهُورُ عَلَى الْكِرَاهَةِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْقِرِينَةَ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ^(١) عَنْ عَائِشَةَ
 - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ «رُبَّمَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَمَشَى فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ
 حَتَّى يُصْلِحَهَا». إِلَّا أَنَّهُ رَجَّحَ الْبُخَارِيُّ وَفَقَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ رَزِينٌ: عَنْهَا - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَنْتَعِلُ قَائِمًا
 وَيَمْشِي فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ».

وَاخْتَلَفُوا فِي عِلَّةِ النَّهْيِ:

فَقَالَ قَوْمٌ: عِلَّتُهُ أَنَّ النَّعَالَ شَرِعتْ لِرِجْلَيْ الرَّجُلِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَوْكٍ
 وَنَحْوِهِ فَإِذَا انْفَرَدَتْ إِحْدَى الرَّجْلَيْنِ احتَاجَ الْمَاشِي أَنْ يَتَوَقَّى لِإِحْدَى رِجْلَيْهِ مَا لَا
 يَتَوَقَّى لِلْأُخْرَى.

فَيَخْرُجُ لِذَلِكَ عَنِ سَجِيَّةِ مِشِيَّتِهِ وَلَا يَأْمَنُ مَعَ ذَلِكَ الْعِثَارَ.
 وَقِيلَ: إِنَّهَا مِشِيَّةُ الشَّيْطَانِ.

(١) أخرجه الترمذي (١٧٧٧).

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْكَرَاهَةُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّهْرَةِ فِي الْمَلَابِسِ.
 وَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى
 يُصْلِحَهَا».

وَتَقَدَّمَ مَا يِعَارِضُهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَيَحْمَلُ عَلَى النَّدْبِ.
 وَقَدْ أَلْحَقَ بِالنَّعْلَيْنِ كُلِّ لِبَاسٍ شَفْعٌ كَالْخُفَّيْنِ:
 وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ^(١): مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي
 نَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا خُفٍّ وَاحِدٍ».

وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.
 وَعِنْدَ أَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.
 وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.
 وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَكَذَا إِخْرَاجُ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكُمِّ دُونَ الْأُخْرَى وَالْإِزْتِدَاءُ عَلَى
 أَحَدِ الْمَنْكَبَيْنِ دُونَ الْآخَرِ.
 (قُلْتُ) وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ وَلَمْ تُعَلِّمِ الْعِلَّةَ حَتَّى يُلْحَقَ بِالْأَصْلِ،
 فَالْأَوْلَى الْإِفْتِصَارُ عَلَى مَحَلِّ النَّصِّ. اهـ



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦١٧).



حكم الإسبال والخيلاء

١٤٦٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الإسبال في الثياب والخيلاء. فكلاهما من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بعدم نظر الله عَزَّجَلَّ إليه يوم القيامة.

بيان حكم الإسبال:

الإسبال له حالان:

الأولى: أن يجر إزاره تحت الكعبين، بغير خيلاء فهذا محرم؛ لما جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَنَارٍ»^(٢).

الثانية: أن يجمع مع الاسبال الخيلاء فيجتمع في حقه كبيرتان: كبيرة الإسبال، وكبيرة الخيلاء.

ومن لبسه فوق الكعبين بدون إسبال لكن مع الخيلاء يأثم على الخيلاء.

قوله: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ»: فيه إثبات النظر لله عَزَّجَلَّ إلا أنه لا ينظر إلى من هذا حاله.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في النيل (٢/ ١٣٢-١٣٣): الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوْبِ خِيَلَاءَ.

وَالْمُرَادُ بِجَرِّهِ: هُوَ جَرُّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِهِ - ﷺ -: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِرَارِ فِي النَّارِ» كَمَا سَيَأْتِي.

وَوَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْبَالَ مُحَرَّمٌ عَلَى الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِمَا فِي صِيغَةِ مَنْ فِي قَوْلِهِ مَنْ جَرَّ مِنَ الْعُمُومِ.

وَقَدْ فَهَمَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَتْ الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذِيولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِيْنَهُ شِبْرًا فَقَالَتْ: إِذَا يَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: فَيُرْخِيْنَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدُنَّ عَلَيْهِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ^(١).

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ الْإِسْبَالِ لِلنِّسَاءِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السَّنَنِ.

وَوَظَاهِرُ التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهِ: «خِيَلَاءَ»، يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّ جَرَّ الثَّوْبِ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي هَذَا الْوَعِيدِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَفْهُومُهُ أَنَّ الْجَارَّ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَلْحَقُهُ الْوَعِيدُ، إِلَّا أَنَّهُ مَذْمُومٌ. قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ الْبُؤَيْطِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ عَنِ الشَّافِعِيِّ: لَا يَجُوزُ السَّدُّ فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا لِلْخِيَلَاءِ، وَلِغَيْرِهَا خَفِيفٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِأَبِي بَكْرٍ أَنْتَهَى.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ وَيَقُولُ: لَا أَجْرُهُ خِيَلَاءَ، لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا أَنْ يُخَالَفَهُ إِذْ صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَمْسَلُهُ، لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ كَيْسَتْ فِي.

فَإِنَّهَا دَعْوَى غَيْرِ مُسَلِّمَةٍ، بَلْ إِطَالَةٌ ذَيْلِهِ دَالَّةٌ عَلَى تَكْبَرِهِ أَنْتَهَى.

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥٣٣٦) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٣١).



وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرُّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخِيْلَاءَ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَيَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اعْتِبَارِ التَّقْيِيدِ بِالْخِيْلَاءِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ فِيهِ «وَارْفَعِ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ آبَيْتَ فَالَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيْلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيْلَةَ». اهـ

قوله: «خِيْلَاءٌ» خِيْلَاءٌ: بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمَدِّ الْبَطْرِ وَالْكَبْرِ.

وهذا شامل الرجال، والنساء.

ولكن رخص للنساء كما سبق في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنْ يَرْخِيَنَّهُ ذِرَاعًا، وَلَا يَزِدَنَّ عَلَى ذَلِكَ».

❦ الرد على من استدل بحديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيْلَاءً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شَقِيئِي إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَسْتُ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيْلَاءً»^(١).

فلا يدخل في هذا الحكم من يتعاهد إزاره.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّبَلِ (٢/ ٦٢٤-٦٢٥):

وَالْمُرَادُ بِالذِّرَاعِ: ذِرَاعُ الْيَدِ وَهُوَ شِبْرَانِ بِالْيَدِ الْمُعْتَدَلَةِ.
وَالْمُرَادُ جَرُّ الثَّوْبِ: عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ «مَا أَسْفَلَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤).

الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ».

وَتَقْيِيدُ الْحَدِيثِ بِالْخَيْلَاءِ: دَالٌّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَنْ جَرَّهُ غَيْرَ خَيْلَاءٍ دَاخِلًا فِي

الْوَعِيدِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ مَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ^(١) وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: أَنَّهُ «قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ

: - إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خَيْلَاءٌ».

وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِبَارِ الْمَفَاهِيمِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّ جَرَّهُ لِغَيْرِ الْخَيْلَاءِ مَذْمُومٌ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ صَرَّحَتْ السُّنَّةُ أَنَّ أَحْسَنَ الْحَالَاتِ أَنْ يَكُونَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ كَمَا أَخْرَجَهُ

التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٢) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ «كُنْتُ أَمْشِي وَعَلَيَّ بُرْدٌ أَجْرُهُ فَقَالَ لِي

رَجُلٌ: ازْفَعْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَبْتَعَى وَأَنْقَى فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقُلْتُ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ

مَلْحَاءٌ فَقَالَ: مَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ؟ قَالَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ».

وَأَمَّا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.

وَمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ حَرَامٌ إِنْ كَانَ لِلْخَيْلَاءِ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهَا فَقَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ:

إِنَّهُ مَكْرُوهٌ.

وَقَدْ يُتَجَهَّ أَنْ يُقَالَ إِنْ كَانَ الثَّوْبُ عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ لَكِنَّهُ يَسْأَلُهُ فَإِنْ كَانَ لَا عَنْ قَصْدٍ

كَالَّذِي وَقَعَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْوَعِيدِ.

وَإِنْ كَانَ الثَّوْبُ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ جِهَةِ الْإِسْرَافِ مُحَرَّمٌ لِأَجْلِهِ،

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤) وأبو داود (٤٠٨٥) والنسائي (٥٣٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١) والنسائي (٩٦٨٢).



وَلِأَجْلِ التَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ، وَلَا جُلَّ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ النَّجَاسَةُ.
وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ، فَيَقُولُ لَا أَجْرُهُ خِيَلَاءَ؛
 لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ اللَّفْظُ أَنْ يُخَالَفَهُ إِذَا صَارَ حُكْمُهُ أَنْ
 يَقُولَ لَا أُمَّثِلُهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي فَائِنَهَا دَعْوَى غَيْرِ مُسَلِّمَةٍ بَلْ إِطَالَةٌ ذِيْلِهِ دَالَّةٌ
 عَلَى تَكْبُرِهِ. اهـ

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرَّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخِيَلَاءَ وَلَوْ لَمْ
 يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَيْعٍ^(١): عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِ رَفَعَهُ «إِيَّاكَ وَجَرَ
 الْإِزَارِ فَإِنَّ جَرَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ».

وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(٢): مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَفِي قِصَّةِ لِعَمْرٍو بْنِ
 زُرَّارَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ».

وَحُكْمُ غَيْرِ الثَّوْبِ وَالْإِزَارِ حُكْمُهُمَا:

وَكَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ شُعْبَةُ مُحَارِبَ بْنَ دِثَارٍ قَالَ شُعْبَةُ أَذْكَرَ الْإِزَارَ؟ قَالَ مَا خَصَّ إِزَارًا
 وَلَا قَمِيصًا وَمَقْصُودُهُ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالثَّوْبِ يَشْمَلُ الْإِزَارَ وَغَيْرَهُ.

وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ^(٣): عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ
 اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَفِيهِ مَقَالٌ.

(١) (١٠ / ٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبراني (٧٩٠٩)

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤) والنسائي (٥٣٣٤) وابن ماجه (٣٥٧٦).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَإِسْبَالُ الْعِمَامَةِ الْمُرَادُ بِهِ إِسْبَالُ الْعَذْبَةِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ^(١): مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَرْخَى طَرْفَ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ».

وَكَذَلِكَ تَطْوِيلُ أَكْمَامِ الْقَمِيصِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمُعْتَادِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ إِسْبَالًا مُحَرَّمًا.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنِ الْعُلَمَاءِ كَرَاهَةَ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الْعَادَةِ وَعَلَى الْمُعْتَادِ فِي اللَّبَاسِ مِنَ الطُّوْلِ وَالسَّعَةِ.

(قُلْتُ) وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِالْمُعْتَادِ مَا كَانَ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ. اهـ



(١) أخرجه النسائي وهو ضعيف (٥٣٤٦) وهو في مسلم (١٣٥٩).



بيان بعض آداب الأكل

١٤٦٦ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان وجوب الأكل والشرب باليمين، للمستطيع. حديث الباب يدل على وجوب الأكل والشرب باليمين، وعلى تحريمه بالشمال؛ لأن في ذلك تشبهاً بالشیطان.

وفيه: بيان أن اليمين هي المقدمة في: الأكل، والشرب، والأخذ، والعطاء، والطهور، والغسل، والكتابة، واللباس، وفي جميع الشأن.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ، فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرَجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيئُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^(١).

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ»: والأكل باليمين واجب.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: "فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ"^(٢).

بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:

ومن عجز أن يأكل، أو يشرب بيمينه؛ فيجوز له الأكل والشرب بشماله.

يقول الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وغيرها من الأدلة.

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لَطْعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ»^(٣).

قال النووي في رياض الصالحين: باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو

من باب التكريم

كالوضوء والغسل والتميم، ولبس الثوب والنعل والخف والسرائيل ودخول المسجد، والسواك، والاكْتِحَالِ، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وتنف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل، والشرب، والمُصَافِحَةِ، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود.



وَيُسْتَحَبُّ تَقْدِيمُ الْيَسَارِ فِي ضِدِّ ذَلِكَ، كَالَاْمْتِخَاطِ وَالْبَصَاقِ عَنِ الْيَسَارِ، وَدُخُولِ الْخَلَاءِ، وَالخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَلْعِ الْخُفِّ وَالنَّعْلِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالثَّوْبِ، وَالْاِسْتِنْجَاءِ وَفِعْلِ الْمُسْتَقْدِرَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

قوله: «وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ» أي: أن الشرب حكمه حكم الأكل .

قوله: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ» فيه: دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب.

وفيه: دليل على أنه لا يجوز التشبه بأهل الشر: لا بالشياطين، ولا بالكفار والمشركين، ولا بالملحدين، ولا بالمبتدعة الضالة المنحرفين.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]..

فإذا كان التشبه بهم ممنوع في هذا الباب فمن باب أولى التشبه بهم في الشريكات، والبدع والمحدثات، والخرافات والحكم بغير ما أنزل الله **عَزَّجَلَّ**، واللباس والزينة، ولا في شيء من المخالفات .

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابنِ عُمَرَ - **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **ﷺ**: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

قوله: «وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أي: أن حكم الشرب هو حكم الأكل.

قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ في السبل (٢/٦٢٦): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِالشِّمَالِ.

فَإِنَّهُ عَلَّمَهُ بِأَنَّهُ فِعْلُ الشَّيْطَانِ وَخُلُقُهُ وَالْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ بِتَجَنُّبِ طَرِيقِ أَهْلِ الْفُسُوقِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال فيه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللهُ**: حسن صحيح.

فَضْلًا عَنِ الشَّيْطَانِ.
وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَالشُّرْبُ بِهَا لَا أَنَّهُ بِالشَّمَالِ
مُحَرَّمٌ.
وَقَدْ زَادَ نَافِعٌ: "الْأَخْذَ وَالْإِعْطَاءَ". اهـ





بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها

١٤٦٧ - (وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرْفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَشْيَاءِ الْإِبَاحَةُ.

فيجوز للإنسان أن يأكل، ويشرب، ويلبس ما شاء، ما لم يأت دليل على تحريمه.

قوله: «وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ»: وهو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي أن عمرو يروي الحديث عن أبيه شعيب، وشعيب يروي الحديث عن جده عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وليس عن أبيه محمد. وقد تقدم أن هذه السلسلة حسنة.

قوله: «كُلْ وَاشْرَبْ وَالْبَسْ» أي: كل مما رزقك الله عَزَّوَجَلَّ؛ ما لم يكن حراماً

ومما حرم على الرجال في اللبس: الحرير، والذهب، وغير ذلك.

ومما حرم على الرجال والنساء في اللبس: ما فيه خيلاء.

ومما حرم الرجال في اللبس أن يطيل الثوب ويجعله أسفل من الكعبين.

ومما حرم على النساء في اللبس أن تطيل لباسها أكثر من ذراع؛ لأن النبي ﷺ لم

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٣٧٥)، وأحمد (٦٦٩٥، ٦٧٠٨)، وسنده حسن، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٥٧٨٣) بصيغة الجزم، وأخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٥٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ السُّنَنِ (٢٥٥٩)، والمشكاة (٤٣٨١)، وصحيح الجامع (٤٥٥٥).

يرخص لهن إلا في الذراع فقط، وهكذا.

ومما حرم عليهم جميعاً ما فيه تشبه بالكفار، وبالمشركين.

قوله: «وَتَصَدَّقْ» أي: على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين.

وأفضل الصدقة ما يكون على ذوي القربى؛ فإنها تعتبر صدقة، وصلة.

قوله: «فِي غَيْرِ سَرْفٍ» أي: في غير إسراف؛ لأن الإسراف والتبذير محرم.

فالمسرف لا يجبهه الله عَزَّوَجَلَّ يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾.

والمبذر أخاً للشيطان يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ

السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ

كفوراً ﴿٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

٥٥ يان الفرق بين الإسراف والتبذير:

والفرق بين الإسراف والتبذير:

أن الإسراف: يكون في المآكل، والمشارب؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** في الآية جعل الإسراف

في المآكل، وفي المشرب.

والتبذير: يكون عام: في المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمراكب،

وغير ذلك.

قوله: «وَلَا مَخِيلَةَ» المخيلة: من الخيلاء وهو البكر والأشر والبطر.

ففي مسند الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث ابن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - يَقُولُ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «مَنْ تَعَظَمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ



عَضْبَانٌ^(١).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) **وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** (١٩) [لقمان: ١٨-١٩].

📖 **قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّبِيلِ (٢/٢٦٦):** دَلَّ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمُشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالتَّصَدُّقِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِسْرَافِ: مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ. وَالْحَدِيثُ مَا أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].
وفيه: تَحْرِيمُ الْخِيَلَاءِ وَالْكِبْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِفَضَائِلِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ. وَفِيهِ مَصَالِحُ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِنَّ السَّرْفَ: فِي كُلِّ شَيْءٍ مُضَرٌّ بِالْجَسَدِ، وَمُضَرٌّ بِالْمَعِيشَةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَافِ. فَيُضَرُّ بِالنَّفْسِ إِذَا كَانَتْ تَابِعَةً لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ. **وَالْمَخِيلَةُ:** تَضُرُّ بِالنَّفْسِ حَيْثُ تُكْسِبُهَا الْعُجْبَ، وَتَضُرُّ بِالْآخِرَةِ حَيْثُ تُكْسِبُ الْإِثْمَ، وَبِالدُّنْيَا حَيْثُ تُكْسِبُ الْمَقْتَمَ مِنَ النَّاسِ.

وَقَدْ عَلَّقَ الْبُخَارِيُّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - **«كُلُّ مَا شِئْتَ وَاشْرَبْتَ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرْفٌ وَمَخِيلَةٌ»**. اهـ



(١) أخرجه أحمد (٥٩٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ (٤٢٧/٥٤٩)، وَفِي الصَّحِيحَةِ (٥٤٣)، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ لِلْإِمَامِ الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٨).

باب البر والصلة

[بَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ]

الشرح

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢/٢٢٦-٢٢٧):

الْبِرُّ: بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

وَالْبِرُّ بِفَتْحِهَا: الْمُتَوَسُّعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى.

وَالصَّلَةُ: بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مَصْدَرٌ وَصَلَهُ كَوَعَدَهُ عِدَّةً.

فِي النَّهَائِيَةِ: تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى

الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَالرِّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ.

وَكَذَلِكَ إِنْ تَعَدَّوْا وَأَسَاءُوا وَضِدُّ ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ. اهـ

❦ بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

الله ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

وَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ

رَحِمَهُ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥).



٤٥ بيان أعظم البر:

في صحيح الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث عبد الله بن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»^(١).

٤٦ بيان تحريم قطيعة الأرحام:

وقد نهى الله **عَزَّجَلَّ** عن قطيعة الأرحام، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ** ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]..

فاستحقوا اللعن والطرده من رحمة الله **عَزَّجَلَّ**، والصمم في آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، والعمى في أبصارهم عن رؤية الحق واتباعه، كل هذا بسبب الإفساد في الأرض، وبسبب قطيعة الرحم.

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَّعَكَ قَطَّعْتُهُ»^(٢).

وفي الصحيحين: من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٨).

يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١).

فالواجب على الإنسان أن يبذل البر لذويه، ابتداء من الأبوين.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ وغيره: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبْوَاهُ الْكَبِيرِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: " وَأَطْنَتْهُ قَالَ: أَوْ أَحَدُهُمَا "

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي بِنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ»^(٣).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَجُلًا آتَاهُ فَقَالَ: "إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: حسن صحيح. وحسنه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند (١٢٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٠٢٧). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.



بيان عظم حق الوالدين:

ويبين ذلك أن الله عزوجل يقرن في كثير من الآيات يقرن الله **عَزَّجَلَّ** حقه بحق الوالدين، وذلك لأمر:

الأمر الأول: بيان عظم حق الوالدين علينا، فحقهما عظيم.

الأمر الثاني: لأن الوالدين لهما الفضل علينا بعد الله **عَزَّجَلَّ**.

حيث يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] ..

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ .

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ .

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنبَأْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرُزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَعْتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿ بيان حق النبي ﷺ ﴾

فقد يقول قائل: ذكر الله عزَّجَلَّ حق الوالدين بعد حقه، فأين حق النبي ﷺ؟
فالجواب: أن حق النبي ﷺ يدخل في حق الله عزَّجَلَّ؛ لأنه هو المبلغ عن الله عزَّجَلَّ، وهو المعلم، والأسوة الحسنة.
ولا يستطيع أحد من الناس أن يطيع الله عزَّجَلَّ حق طاعته، ويوحده حق توحيده، إلا إذا اتبع ما جاء في الكتاب، والسنة الثابتة عن النبي ﷺ.

﴿ بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير

معصية:

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥]..

فأخبرنا الله عزَّجَلَّ بأن طاعة الوالدين تكون بالمعروف، أي في غير معصية الله عزَّجَلَّ، فمن باب أولى الكفر والشرك بالله عزَّجَلَّ.

ومع ذلك يعاملان بالرفق، واللين، والتواضع، وحسن الأخلاق.

ومن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكُمْ الْبِرُّ كَذَلِكُمْ الْبِرُّ»^(١).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٩٢٩)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٩١٣).



وأخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي خَلْقِ أفعال العباد: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ بِالْقُرْآنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ التُّعْمَانِ، كَذَلِكُمْ الْبِرُّ كَذَلِكُمْ الْبِرُّ».

ومن حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(١) أخرجه مسلم .

ثم إن الأب والأم قد يكون في التعامل معهما بعض المشقة، ولا سيما إذا كبر سنهما، ورق عظمهما.

والوالد يرى ولده دائماً في مرتبة البنوة .

فمهما ارتفع الولد سواء كان ذلك في العلم الشرعي، أو في العلم الدنيوي .

فهو ما يزال عندهما ولد، وابن .

فقد يحسن الولد إلى والديه، ومع ذلك فقد يرى منهما بعض الأعراض، وبعض الجفاء فيجب عليه أن يصبر على الوالدين .

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤).

وقد نهى الله عزَّجَلَّ من التأفف منهما يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣).

فإذا كان الله عزَّجَلَّ قد نهى عن التأفف، وهو أقل درجات الأذى للوالدين .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

فمن باب أولى تحريم كل أذية قولية أكبر منه: سواء كانت بالسب، والشتم، واللعن، أو غير ذلك.

ومن باب أولى الأذية الفعلية: كالضرب، أو الحبس، أو القتل .

فقد جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

فقد كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يستبعدون أن يشتم، أو يلعن، أو يسب الرجل والديه مباشرة.

فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا الحكم يشمل حتى من يتسبب في سبهما من الناس .

أما في زماننا هذا: فقد وجد من يسب أبويه ويلعنهما، ومن يضرهما، بل ومن يقتلها والعياذ بالله عَزَّجَلَّ.

وأما رفع الأصوات عليهما، والمنة عليهما، ورد أو امرهما، وغير ذلك فهو أكثر من أن يحصى، فحدث ولا حرج.

فإن كثيراً من الأبناء يعاملون آباءهم، وأمهاتهم، معاملة البعيد عنهم.

فربما تجد من أحدهم أنه يلين جانبه لأخيه، أو لصحابه، أو لجاره.

فإذا ما دخل إلى البيت؛ فإذا به وحش كاسر، فلا بد أن نروض أنفسنا، على بر

آبائنا، وعلى أمهاتنا وذلك في حياتهما: بالإحسان إليهما.

وبعد موتهما: بالدعاء لهما، وإكرام صاحبهما، لما في ذلك من البركة.

وكما تدين تدان، فأنت اليوم ابن، وغداً أباً.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).



وما كان منك مع أبيك، سيكون من ابنك معك.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من طريق المُغِيرَةَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ عَنْ عَمِّهِ، - ضرار بن الأزور - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَرَفَةَ، فَأَخَذْتُ بِرِمَامِ نَاقَتِهِ أَوْ خَطَامِهَا، فَدَفَعْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: " دَعُوهُ فَأَرَبُ مَا جَاءَ بِهِ " فَقُلْتُ: نَبِّئْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " لَيْسَ كُنْتُ أَوْجَزْتَ فِي الْخُطْبَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَوَلْتَ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتُوهُ إِلَيْكَ، وَمَا كَرِهْتَ لِنَفْسِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلَّ عَنْ زِمَامِ النَّاقَةِ " (١).



(١) أخرجه أحمد (١٦٧٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (١٤٧٧).

بيان فضيلة البروصلة الأرحام

١٤٦٨ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضيلة البروصلة الأرحام.

قوله: «مَنْ أَحَبَّ».

وفي رواية أخرى: «من سره».

وكلاهما بمعنى واحد، فكنا نحب، ونسر بالبركة في الرزق، والعمر، والأولاد.

قوله: «أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ» أي: يوسع له في رزقه، ويبارك له فيه؛ لأن الرزق

الضيق، سبب لضيق الصدور.

يُبْسَطُ: مُغَيَّرٌ صِيغَتُهُ أَي يَبْسُطُ اللَّهُ.

أفاده الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ،

وَالجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ الشُّؤْمُ، وَالْمَرْأَةُ الشُّؤْمُ،

وَالْمَسْكِنُ الضَّيْقُ، وَالْمَرْكَبُ الشُّؤْمُ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، بلفظ: «من سره أن يبسط له»

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٠٣٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٧٨)، وصححه

الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليقات الحسان (٤٠٢١): وفي الصحيحة (٢٨٢).



قوله: «وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ».

قيل: يؤخر أجله.

وَأَنْ يُنْسَأَ: بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ مُخَفَّفَةً أَيْ يُؤَخَّرَ لَهُ.

فِي أَثَرِهِ: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ فَرَاءً أَيْ أَجَلِهِ.

﴿ بيان الجواب عن الإشكال: ﴾

ولكن يشكل هذا مع قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

وقوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿ ٣٤ ﴾.

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الأجل له وقت معلوم حدده الله عَزَّجَلَّ.

وقد ألف الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ رسالة في هذا الباب، ردّاً على رسالة وصلته من

أبناء الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

وملخص ذلك: أن العمر الذي هو في اللوح المحفوظ لا يزداد فيه ولا ينقص؛ لأنه

مثبت على ما في علم الله عَزَّجَلَّ.

وأما الذي في يد الملك، فقد يكون على الحالين:

إن وصل رحمه فقد يطال له في عمره، ويؤخر له في أجله، فيكون عمره كذا وكذا.

وإن لم يصل رحمه، فلا يؤخر في أجله، ولا يزداد في عمره، فيكون عمره كذا وكذا.

مع أنه في علم الله عَزَّجَلَّ واحد، ولكن التغيير والزيادة تحصل من الملائكة.

وقيل: يبارك له في عمره، وفي ذكره، وكفى ذلك.

﴿ قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ في السبل (٢/٦٢٧-٦٢٨): ﴾

قَالَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ كِنَايَةٌ عَنِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ بِسَبَبِ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَعِمَارَةِ



وَقْتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصِيَانَتِهِ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مَا جَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ».

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ: الْعِلْمُ الَّذِي يُتَفَعَّلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِتَأْلِيفٍ وَنَحْوِهِ وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْفُ الصَّالِحُ.

وَتَانِيهِمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالْعُمْرِ. وَالَّذِي فِي الْآيَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ.

كَأَنَّ يُقَالُ لِلْمَلِكِ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَصِلُ أَوْ يَقْطَعُ فَالَّذِي فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَالَّذِي يُقَالُ مَثَلًا إِنَّ عُمَرَ فُلَانٍ مِائَةٌ إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ، وَإِنْ قَطَعَهَا فَسِتُونَ.

وَقَدْ سَبَقَ مَثَلًا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ فِيهِ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ: بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ، وَمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ وَأَمَّا الَّذِي فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ الْبَتَّةَ.

وَيُقَالُ لَهُ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ، وَيُقَالُ لِلْأَوَّلِ الْقَضَاءُ الْمُعَلَّقُ.

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ الْبَلِيُّ: فَإِنَّ الْأَثَرَ مَا يَتَّبِعُ الشَّيْءَ فَإِذَا أُخِّرَ حَسُنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الذِّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ فَقْدِ الْمَذْكَورِ وَرَجَحَهُ الطَّبِيعِيُّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْفَائِقِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(١) فِي الصَّغِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أُنْسِيَ لَهُ فِي أَجَلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤) وفي سنده سليمان بن عطاء.

زِيَادَةٌ فِي عُمُرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤) ﴿[الأعراف: ٣٤] وَلَكِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الذُّرِّيَّةُ الصَّالِحَةُ يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وَأَخْرَجَهُ فِي الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى.
وَجَزَمَ ابْنُ فُورَكٍ: بَانَ الْمُرَادُ بِزِيَادَةِ الْعُمُرِ نَفْيُ الْآفَاتِ عَنِ صَاحِبِ الْبِرِّ فِي فَهْمِهِ وَعَقْلِهِ.

قَالَ غَيْرُهُ: فِي أَعْمٍ مِنْ ذَلِكَ وَفِي عِلْمِهِ وَرِزْقِهِ. وَلِابْنِ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ كَلَامٌ يَقْضِي بَانَ مُدَّةَ حَيَاةِ الْعَبْدِ وَعُمُرِهِ هِيَ مَهْمَا كَانَ قَلْبُهُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ ذَاكِرًا لَهُ مُطِيعًا غَيْرَ عَاصٍ فَهَذِهِ هِيَ عُمُرُهُ.
 وَمَتَى أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَاشْتَعَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاةِ عُمُرِهِ.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى أَنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَجَلِهِ أَيُّ يُعَمَّرُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِذِكْرِهِ وَأَوْقَاتُهُ بِطَاعَتِهِ وَيَأْتِي تَحْقِيقُ صَلَاةِ الرَّحِمِ. اهـ

قوله: «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أي: عليه أن يصل **رَحْمَةَ اللَّهِ**؛ حتى يتحصل على ما ذكر في الحديث: من البركة في الرزق، والعمر.

﴿ بيان أن الواصل ليس بالمكافئ: ﴾

وليس الواصل بالمكافئ.

ففي صحيح الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعَهُ الْأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ**، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ - عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).



بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه

١٤٦٩ - (وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١). يَعْنِي: قَاطِعٌ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب.

﴿ بيان معنى الحديث: ﴾

قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

والحديث في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»^(٢).

﴿ قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٣): قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَلَا خِلَافَ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَالَ وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ تَشْهَدُ لِهَذَا وَلَكِنَّ الصَّلَةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرَكُ الْمُهَاجِرَةَ وَصِلَتُهَا بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌ لَوْ وُصِلَ بَعْضُ الصَّلَةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتُهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا وَلَوْ قَصَرَ عَمَّا يَقْدَرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صِلَتُهَا فَقِيلَ هُوَ كُلُّ رَحِمٍ مَحْرَمٌ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَى حُرِّمَتْ مُنَاكَحَتُهُمَا فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ وَنَحْوِهِ وَجَوَّازِ ذَلِكَ فِي بَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَقِيلَ هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ فِي الْمِيرَاثِ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، والتفسير عند مسلم لسفيان بن عيينة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

يَسْتَوِي الْمَحْرَمُ وَعَيْرُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ الصَّوَابُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي أَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا وَحَدِيثُ إِنْ أَبَرَ الْبَرَّ أَنْ يَصِلَ أَهْلَ وَدُّ أَبِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا مَحْرَمِيَّةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبَلِ (٢/٦٢٨-٦٢٩):

وَاعْلَمَ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صَلَاتُهَا:

فَقِيلَ: هِيَ الرَّحِمُ الَّتِي يَحْرُمُ النِّكَاحُ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا حَرَّمَ عَلَى الْآخَرَ.

فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأُخْوَالِ.

وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ التَّقَاطُعِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْ كَانَ مُتَّصِلًا بِمِيرَاثٍ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - ﷺ -: "ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ".

وَقِيلَ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرَ قَرَابَةٌ سِوَاءَ كَانِ يَرِثُهُ أَوْ لَا. اهـ





بما تقع قطيعة الرحم

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا بِأَيِّ شَيْءٍ تَحْصُلُ الْقَطِيعَةُ لِلرَّحِمِ:
فَقَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: تَكُونُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الرَّحِمِ.
وَقَالَ غَيْرُهُ: تَكُونُ بِتَرْكِ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ أَمْرَةً بِالصَّلَةِ نَاهِيَةً عَنِ
 الْقَطِيعَةِ فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.
 وَالصَّلَةُ نَوْعٌ مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ غَيْرٌ وَاحِدٍ، وَالْقَطِيعَةُ ضِدُّهَا وَهِيَ
 تَرْكُ الْإِحْسَانِ.
 وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ^(١): مِنْ قَوْلِهِ - ﷺ - : «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيِّ وَلَكِنَّ
الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».
 فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الصَّلَةَ إِنَّمَا هِيَ مَا كَانَ لِلْقَاطِعِ صِلَةً رَحِمِهِ وَهَذَا عَلَى رِوَايَةٍ
 قَطَعَتْ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهِيَ رِوَايَةٌ.
 فَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي شَرْحِهِ: الْمُرَادُ الْكَامِلَةُ فِي الصَّلَةِ.
وَقَالَ الطَّبِيُّ: مَعْنَاهُ لَيْسَ حَقِيقَةُ الْوَاصِلِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِصِلَتِهِ مَنْ يُكَافِيُّ صَاحِبَهُ
 بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِهِ.
وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: لَا يُلُومُ مِنْ نَفْيِ الْوَاصِلِ ثُبُوتُ الْقَطْعِ، فَهُمْ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:
 "وَاصِلٌ وَمُكَافِيٌّ وَقَاطِعٌ".
فَالْوَاصِلُ: هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ وَلَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٠٨) وأصله في مسلم (٢٥٥٦).

وَالْمُكَافِئُ: هُوَ الَّذِي لَا يَزِيدُ فِي الْإِعْطَاءِ عَلَيَّ مَا يَأْخُذُهُ.
وَالْقَاطِعُ: الَّذِي لَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ.
قَالَ الشَّارِحُ: وَبِالْأَوْلَى مَنْ يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ أَنَّهُ قَاطِعٌ.
قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَكَمَا تَقَعُ الْمُكَافَأَةُ بِالصَّلَاةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كَذَلِكَ تَقَعُ بِالمُقَاطَعَةِ
مِنَ الْجَانِبَيْنِ فَمَنْ بَدَأَ فَهُوَ الْقَاطِعُ، فَإِنْ جُوزِيَ سُمِّيَ مَنْ جَازَاهُ مُكَافِئًا. اهـ





بيان بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

١٤٧٠ - (وَعَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان بعض المحرمات المكروهات:

ومنها: تحريم عقوق الأمهات، ويدخل في ذلك عقوق الآباء؛ إلا أن عقوق الأمهات أعظم إثمًا؛ لأن المرأة ضعيفة تتألم أكثر من الرجل، وتتأذى أكثر منه.

ومنها: تحريم وأد البنات، ويدخل في ذلك من يقتل أولاده من الذكور والبنات خوف الفقر، أو العار، كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

ومنها: تحريم منع الرجل لما أوجب الله عليه من: النفقات، أو الزكاة الواجبة.

ويدخل في ذلك تحريم أن يسأل الإنسان لنفسه ما ليس له .

ومنها: تحريم كثرة الكلام في الباطل .

وفي غير فائدة؛ لأنه ربما جر إلى المحرم: كالغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء، والطعن في الأنساب، وغير ذلك من المحرمات.

ومنها: كراهة كثرة السؤال في الأمور المختلفة التي قد توقع الإنسان في الشبهات.

ويدخل في ذلك السؤال الذي يراد منه إحراج العالم كسؤال التعجيز، أو السؤال الذي يكون فيه العناد للحق، وغير ذلك.

ومنها: إضاعة المال وصرفه في أمور لا تنفع صاحبه، ويدخل في ذلك الإسراف

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

والتبذير وهو من المحرمات، بل من الكبائر كما تقدم .

﴿ الفرق بين المحرم والمكروه في اصطلاح الأصوليين :

المحرم: هو ما يثاب تاركة امتثالاً، ويستحق العقوبة فاعله.

المكروه: هو ما لا يثاب فاعله، ويثاب تاركة امتثالاً.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ»: ويدخل في ذلك عقوق الآباء كما تقدم.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»^(١).

قوله: «وَوَادَّ الْبَنَاتِ» الواد: قتل البنات وهن أحياء.

وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك لأمرين:

الأمر الأول: خشية العار .

الأمر الثاني: خشية الفقر .

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكويد: ٨-٩].

ويقول الله عَزَّجَلَّ محرماً ذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ﴾.

ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ

كَانَ خَطَأً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٣١].

قوله: «وَمَنْعًا وَهَاتِ» أي: يمنع ما أوجب الله عَزَّجَلَّ وسؤال ما لا يجوز له.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).



قوله: «وَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: وهذا فيما لا ينفع صاحبه .

أما إذا كان الكلام في أمر محرم في الشرع، فهو هنا محرم، والحديث في حق الكلام المباح، ولكنه يكثر منه حتى يضيع وقته فيما لا ينفعه .

وفي الكلام الذي قد يؤدي إلى غضب الرب سبحانه وتعالى .

ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

وفي لفظ في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديثِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرَزِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»^(٣).

وجاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: من حديثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ... الحديث وفيه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُؤْلِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهُ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهُ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

قوله: «وَكثْرَةُ السُّؤَالِ»: سواء كان المسألة المحرمة لأموال الناس.

فالشرع لم يحل المسألة إلا في أمور ثلاث.

كما جاء ذلك في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «تَحَمَلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمِ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً رَجُلٍ، تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمَسِّكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالُهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا"»^(٢).

قوله: «وإِضَاعَةُ الْمَالِ»: وهي إنفاق المال في غير أوجه الحق؛ فإن الإنسان سيسأل

عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

ففي الترمذي: من حديث أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ»

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٤٤).



فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبَلِ (٢-٦٢٩-٦٣٢):

الْأُمَّهَاتُ: جَمْعُ أُمَّةٍ لُغَةً فِي الْأُمِّ وَلَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْقِلُ، بِخِلَافِ أُمِّ فَاِنِّهَا

تَعْمُ.

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْأُمُّ هُنَا: إِظْهَارًا لِعِظَمِ حَقِّهَا وَإِلَّا فَالْأَبُ مُحَرَّمٌ عُقُوقُهُ.

وَصَابِطُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمِ كَمَا نُقِلَ خِلَاصَتُهُ عَنِ الْبُلْقِينِيِّ: وَهُوَ أَنْ يَحْصُلَ مِنَ الْوَالِدِ

لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِيْذَاءٌ لَيْسَ بِالْهَيْئِ عُرْفًا.

فَيُخْرَجُ مِنْ هَذَا مَا إِذَا حَصَلَ مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ فَخَالَفَهُمَا بِمَا لَا يُعَدُّ فِي

الْعُرْفِ مُخَالَفَتُهُ عُقُوقًا فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.

وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ مَثَلًا عَلَى الْأَبَوَيْنِ دَيْنٌ لِلْوَالِدِ أَوْ حَقٌّ شَرْعِيٌّ فَرَفَعَهُ إِلَى الْحَاكِمِ فَلَا

يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.

كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ: "شِكَايَةُ الْأَبِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فِي احتِجَاجِهِ

لِمَالِهِ فَلَمْ يَعُدَّ النَّبِيُّ - ﷺ - شِكَايَتَهُ عُقُوقًا".

(قُلْتُ): فِي هَذَا تَأْمُلُ فَإِنَّ قَوْلَهُ - ﷺ - «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»: دَلِيلٌ عَلَى نَهْيِهِ عَنِ

مَنْعِ أَبِيهِ عَنِ مَالِهِ وَعَنْ شِكَايَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الصَّابِطِ: فَعَلَى هَذَا، الْعُقُوقُ أَنْ يُؤْذِيَ الْوَالِدَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ بِمَا لَوْ فَعَلَهُ

مَعَ غَيْرِ أَبَوَيْهِ كَانَ مُحَرَّمًا مِنْ جُمْلَةِ الصَّغَائِرِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً.

أَوْ مُخَالَفَةً الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَوْفُ عَلَى الْوَالِدِ مِنْ فَوَاتِ نَفْسِهِ أَوْ

عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ.

أَوْ مُخَالَفَتُهُمَا فِي سَفَرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمَا وَلَيْسَ بِفَرَضٍ عَلَى الْوَالِدِ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي ضَعِيفٍ وَصَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ.

أَوْ فِي غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا لَيْسَ لَطَلَبِ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ كَسْبٍ .
 أَوْ تَرَكَ تَعْظِيمَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ ، أَوْ قَطَّبَ فِي وَجْهِهِ
 فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ الْغَيْرِ مَعْصِيَةً فَهُوَ عُقُوبٌ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ .

وقوله: «وَوَادُّ الْبَنَاتِ»: بِسُكُونِ الهمزة وهو دَفْنُ الْبِنْتِ حَيَّةً وَهُوَ مُحَرَّمٌ .
وَخَصَّ الْبَنَاتِ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ مِنَ الْعَرَبِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 كَرَاهِيَةً لَهُنَّ ، يُقَالُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ التَّمِيئِيُّ .
 وَكَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ مُطْلَقًا خَشْيَةَ الْفَاقَةِ وَالنَّفَقَةِ .

وقوله: «مَنْعًا وَهَاتٍ»: الْمَنْعُ مَصْدَرٌ مِنْ مَنْعَ يَمْنَعُ وَالْمُرَادُ مَنْعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ لَا
 يُمْنَعَ ، وَهَاتٍ فِعْلٌ أَمْرٌ مَجْزُومٌ وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ طَلَبَهُ .
وقوله: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: يُرَوَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حِكَايَةً لِلْفِعْلِ .

وَرُوي مُنَوَّنًا وَهِيَ رِوَايَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ ، قِيلًا وَقَالَ ، عَلَى النِّقْلِ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ إِلَى
 الْإِسْمِيَّةِ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ .

وَالْمُرَادُ بِهِ: نَقَلَ الْكَلَامَ الَّذِي يَسْمَعُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَيَقُولُ قِيلَ كَذَا وَكَذَا بِغَيْرِ تَعْيِينِ
 الْقَائِلِ وَقَالَ فَلَانٌ كَذَا وَكَذَا .

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِسْتِعَالِ بِمَا لَا يَعْنِي الْمُتَكَلِّمَ وَلِكُونِهِ قَدْ يَتَضَمَّنُ الْغَيْبَةَ
 وَالنَّمِيمَةَ وَالْكَذِبَ وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ قَلَمًا يَخْلُو عَنْهُ .
وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ :

أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَصْدَرَانِ لِلْقَوْلِ نَقُولُ قُلْتُ قَوْلًا وَقِيلًا .

وَفِي الْحَدِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى كَرَاهَةِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ .

ثَانِيهَا: إِزَادَةُ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا لِتُخْبِرَ عَنْهَا فَتَقُولُ: قَالَ فَلَانٌ: كَذَا
 وَقِيلَ لَهُ كَذَا .



وَالنَّهْيُ عَنْهُ: إِمَّا لِلزَّجْرِ عَنِ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِمَا يَكْرَهُهُ الْمَحْكِيُّ عَنْهُ.
ثَالِثُهَا: أَنَّ ذَلِكَ فِي حِكَايَةِ الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ قَالَ فُلَانٌ كَذًا وَقَالَ
فُلَانٌ كَذًا.

وَمَحَلُّ كَرَاهَةِ ذَلِكَ: فِي أَنْ يُكْثَرَ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الزَّلَلِ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ
يُنْقَلُ بِغَيْرِ تَبَيُّتٍ فِي نَقْلِهِ لِمَا يَسْمَعُهُ وَلَا يَحْتَأْطُ لَهُ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ:
«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.
قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ إِرَادَةَ كُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ.

قوله: «وَكثْرَةُ السُّؤَالِ»: هُوَ السُّؤَالُ لِلْمَالِ، أَوْ عَنِ الْمُسْكَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ، أَوْ
مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ أَوْلَى وَتَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ مَسْأَلَةُ الْمَالِ.
«وَقَدْ نَهَى عَنِ الْأَغْلُوطَاتِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَهِيَ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُغْلَطُ بِهَا الْعُلَمَاءُ
لِيَزِلُّوا فَيَنْتِجُ بِذَلِكَ شَرٌّ وَفِتْنَةٌ.

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهَا لِكَوْنِهَا غَيْرَ نَافِعَةٍ فِي الدِّينِ وَلَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِيمَا لَا يَنْفَعُ.
وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ السَّلَفِ كَرَاهَةُ تَكْلُفِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ وَقُوعُهَا عَادَةً
أَوْ يَنْدُرُ وَقُوعُهَا جَدًّا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّنَطُّعِ وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ الَّذِي لَا يَخْلُو صَاحِبُهُ عَنِ
الْخَطَأِ.

وَقِيلَ: كَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنِ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةُ سُؤَالِ إِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ
عَنْ تَفَاصِيلِ حَالِهِ، وَكَانَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْئُولُ.

❦ بيان التشديد في إضاعة المال:

وقوله: «وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»: الْمُتَبَادَرُ مِنَ الْإِضَاعَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِعَرَضٍ دِينِيٍّ وَلَا دُنْيَوِيٍّ.
وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْإِنْفَاقِ.
وَقَيْدُهُ بَعْضُهُمْ بِالْإِنْفَاقِ فِي الْحَرَامِ.

وَرَجَّحَ الْمُصَنِّفُ أَنَّهُ مَا أَنْفَقَ فِي غَيْرِ وُجُوهِهِ الْمَأْدُونِ فِيهَا شَرْعًا سَوَاءً كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَفِي التَّبْدِيرِ تَفْوِيتُ تِلْكَ الْمَصَالِحِ إِمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْمَالِ أَوْ فِي حَقِّ غَيْرِهِ.

قَالَ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةٌ وَجُوهُ:

الْأَوَّلُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ.

الثَّانِي: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مَا لَمْ يُفَوِّتْ حَقًّا آخَرَ أَهَمَّ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْفِقِ فِيهِ.

وَالثَّلَاثُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ يَلِيْقُ بِحَالِ الْمُنْفِقِ وَبِقَدْرِ مَالِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِإِضَاعَةٍ وَلَا إِسْرَافٍ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِيْمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ عُرْفًا فَإِنْ كَانَ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ إِمَّا حَاضِرَةً أَوْ مُتَوَقَّعَةً فَذَلِكَ لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

وَصَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فَقَالَ فِي قِسْمِ الصَّدَقَاتِ: هُوَ حَرَامٌ.

وَتَبِعَهُ الْغَزَالِيُّ، وَجَزَمَ بِهِ الرَّافِعِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْغَارِمِ.

وَقَالَ الْبَاجِي مِنْ الْمَالِكِيَّةِ: إِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِيعَابُ جَمِيعِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ.

قَالَ: وَيُكْرَهُ كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا لِحَادِثِ كَصَيْفٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ وِلِيْمَةٍ.

وَالْإِنْفَاقُ عَلَى كَرَاهَةِ الْإِنْفَاقِ فِي الْبِنَاءِ الزَّائِدِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ

انْصَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالِغَةِ فِي الزَّخْرَفَةِ وَكَذَلِكَ احْتِمَالُ الْعَبْنِ الْفَاحِشِ فِي الْمُبَايَعَاتِ



بِلا سَبَبٍ.

وَقَالَ السُّبْحِيُّ فِي الْحَلِيَّاتِ: وَأَمَّا إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي الْمَلَاذِّ الْمُبَاحَةِ فَهُوَ مَوْضِعُ
اِخْتِلَافٍ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [٦٧] [الفرقان: ٦٧].

أَنَّ الزَّائِدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنْفِقِ إِسْرَافٌ.
وَمَنْ بَدَلَ مَالًا كَثِيرًا فِي عَرْضٍ يَسِيرٍ فَإِنَّهُ يَعُدُّهُ الْعُقْلَاءُ مُضَيِّعًا. **انْتَهَى.**
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الزَّكَاةِ عَلَى التَّصَدُّقِ بِجَمِيعِ الْمَالِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ. **اهـ**



بيان أن رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد

١٤٧١ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ أَنَّ رِضَاءَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَأَنَّ سَخَطَ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ.

قد أعل حديث الباب بالوقف، ولم يثبت حتى موقوفاً، والمعنى صحيح.

﴿ بيان حكم طاعة الوالد: ﴾

فإن كان أمر الوالد في غير معصية الله عَزَّجَلَّ، فيجب على الولد طاعته. وكذلك لو كان أمر الوالد في طاعة الله عَزَّجَلَّ، فيجب طاعته. وإنما لا يطاع الوالد إذا كان أمره في معصية الله عَزَّجَلَّ.

ففي الصحيحين: من حديث عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ »^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، بلفظ: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (٧٢٤٩)، وفي إسناده عطاء العامري مجهول. واختلف في رفعه ووقفه، ورجح الترمذي وقفه، والموقوف فيه الرجل المذكور. وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: "طاعة الله طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد"، عند الطبراني (٢٢٥٥)، وفي إسناده أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفي، وإسماعيل بن عمرو، وكلاهما ضعيف. وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الصَّحِيحَةِ (٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).



وفي رواية في الصحيحين: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

قوله: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة الرضا لله **عَزَّجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية.

قوله: «وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة السخط لله **عَزَّجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلال الله **عَزَّجَلَّ**، وليست كصفات المخلوقين.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْسُ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠).

فثبت صفتي: "الرضا، والسخط"، على ما يليق بجلال الله **عَزَّجَلَّ**، وبعظمته، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّبِيلِ (٢/٦٣٢-٦٣٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ إِرْضَاءِ الْوَالِدِ لِوَالِدَيْهِ وَتَحْرِيمِ إِسْخَاطِهِمَا فَإِنَّ الْأَوَّلَ فِيهِ مَرْضَاةُ اللَّهِ وَالثَّانِي فِيهِ سَخَطُهُ.

فَيُقَدَّمُ رِضَاهُمَا عَلَى فِعْلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ.

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «أَنَّه جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ - ﷺ - فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحْيِي وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: ففِيهِمَا فَبَجَاهِدْ»^(١).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(٢): مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ هَاجَرْتُ قَالَ: هَلْ لَكَ أَهْلٌ بِالْيَمَنِ؟ فَقَالَ: أَبَوَايَ قَالَ أَذْنَا لَكَ؟ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَاسْتَأْذِنُهُمَا فَإِنْ أَذْنَا لَكَ فَبَجَاهِدْ وَإِلَّا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٠).

فَبَرَّهُمَا» وَفِي إِسْنَادِهِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْجِهَادِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.
وَأِلَيْهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَالْأَمِيرِ حُسَيْنٍ ذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ، وَالشَّافِعِيُّ.
فَقَالُوا: يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ، إِلَّا فَرَضَ الْعَيْنِ: كَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا
تُقَدَّمُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا الْأَبَوَانِ بِالْإِجْمَاعِ.
وَذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْمُنْدُوبِ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ مَا
لَمْ يَتَضَرَّرَا بِسَبَبِ فَقْدِ الْوَالِدِ.
وَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّهُ يَتَّبَعُ رِضَاهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ
فِي ذَلِكَ سَخَطُ اللَّهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قُلْتُ: الْآيَةُ إِنَّمَا هِيَ فِيمَا إِذَا حَمَلَاهُ عَلَى الشَّرِكِ وَمِثْلُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْكِبَائِرِ.
وَفِيهِ: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُطِيعُهُمَا فِي تَرْكِ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْعَيْنِ، لَكِنَّ الْإِجْمَاعَ خَصَّصَ
فَرَضَ الْعَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَعَارَضَ حَقُّ الْأَبِ وَحَقُّ الْأُمِّ فَحَقُّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ؛ لِحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ^(١): «قَالَ
رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي قَالَ أُمَّكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ
أَبُوكَ».

فَإِنَّهُ دَلَّ عَلَى تَقْدِيمِ رِضَا الْأُمِّ عَلَى رِضَا الْأَبِ.
قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: مُقْتَضَاهُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمِّ ثَلَاثَةٌ أَمْثَالِ مَا لِلْأَبِ.
قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ثُمَّ الْوَضْعِ ثُمَّ الرَّضَاعِ.
قُلْتُ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).



وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴿ [الأحقاف: ١٥].

وَمِثْلَهَا ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤].

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الْأُمَّ تَفْضُلُ عَلَى الْأَبِ فِي الْبِرِّ.

وَنَقَلَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَخِ وَالْجَدِّ مَنْ أَحَقُّ بِبِرِّهِ مِنْهُمَا؟

فَقَالَ الْقَاضِي: الْأَكْثَرُ الْجَدُّ وَجَزَمَ بِهِ الشَّافِعِيُّ وَيُقَدَّمُ مَنْ أَدَلَّى بِسَبَبَيْنِ عَلَى مَنْ أَدَلَّى

بِسَبَبٍ.

ثُمَّ الْقَرَابَةُ مِنْ ذَوِي الرَّحِمِ وَيُقَدَّمُ مِنْهُمْ الْمَحَارِمُ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، ثُمَّ

الْعَصَبَاتِ ثُمَّ الْمُصَاهِرَةَ ثُمَّ الْوَلَاءَ ثُمَّ الْجَارَ.

وَأَشَارَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ الْبِرُّ دَفْعَةَ وَاحِدَةٍ.

وَوَرَدَ فِي تَقْدِيمِ الزَّوْجِ: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ

عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ قَالَ:

زَوْجُهَا قُلْتُ: فَعَلَى الرَّجُلِ: قَالَ أُمُّهُ»^(١).

وَلَعَلَّ مِثْلَ هَذَا مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا حَصَلَ التَّضَرُّرُ لِلْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ يُقَدَّمُ حَقُّهُمَا عَلَى

حَقِّ الزَّوْجِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَحَادِيثِ. اهـ.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩١٠٣) والحاكم (٧٢٢٤).



بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه

١٤٧٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن إيمان المسلم لا يكمل حتى يحب لأخيه، أو لجاره، ما يحب لنفسه.

قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

فيه: الحلف بدون استحلاف؛ لتأكيد الأمر المحلوف عليه.

وفيه: إثبات صفة اليد لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ» أي: لا يكمل إيمانه.

فليس المراد نفي الإيمان، بحيث أنه يكفر والعياذ بالله عَزَّوَجَلَّ كما يقول ذلك الخوارج، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم من أهل البدع والتكفير.

قوله: «حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» أي: من الخير.

على ما جاء في بعض الروايات.

ففي سنن الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أنسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي (٥١٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف النسائي، وفي الصحيحة (٧٣).



وفي صحيح مسلم: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

بيان أعظم الحقوق

١٤٧٣ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -
 أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ:
 «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ
 حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أعظم الحقوق.

قوله: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود
 الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان من كبار فقهاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان من القراء الذي أرشد النبي ﷺ إلى القراءة عنهم.

قوله: «قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -»: فيه: سؤال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي ﷺ عما
 ينفعهم في أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم.

قوله: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» فيه: أن الذنوب تتعاضد وتتفاضل بعضها عن بعض.

فمنها الشرك والكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومنها الشرك الأصغر، ومنها البدع، ومنها

الكبائر، ومنها أكبر الكبائر، ومنها ما هو دون ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا
 السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).



النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١٣).

قوله: «قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلَقَكَ»».

الند: هو المثل، والنظير، والشبيه، والكفء، والسمي، ونحو ذلك.

فالشرك: أن تجعل لله **عَزَّوَجَلَّ** مثيلاً، ونظيراً، وشبيهاً، وكفتاً، سميّاً، وهو الذي خلقك ورزقك، وأنعم عليك النعم الظاهرة والباطنة.

وغير الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يستطيع أن يخلق، ولا يرزق.

فهذا من أجمع معاني الشرك، ولا سيما هو تفسير أعلم الخلق بربه نبينا محمد **ﷺ**.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ

لَهُ سَمِيّاً﴾^(١٥).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٢).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾^(١١١).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤).

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** مبيناً لنا حال المشركين يوم القيامة: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾^(٩٦)

تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأُمُجِرُونَ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

﴿٩٩﴾ فَمَالَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ [الشعراء: ٩٦-١٠١].

قوله: "قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»:" فيه أن فقتل النفس المحرمة بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد جاء ذلك مبيناً في كثير من الأدلة.

ويزاد إثماً إلى إثمه: إن كان المقتول ولده، وقتله مخافة أن يأكل ويطعمهم معه.

قوله: "قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»:" وفيه الزنى من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وبعد القتل بغير حق للنفس المعصومة، ولكن الزنى في حق الجار يزداد إثماً، مع إثم الزنى نفسه، لأن حق الجار عظيم.

ففي مسند الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث المِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟» قَالُوا: حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِأَمْرَأَةٍ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟" قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: "لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ"^(١).



(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٤)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح الجامع (٢٥٤٩). وحسنه الإمام الوداعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الصحيح المسند (١١٤١).



من الكبائر شتم الوالدين

١٤٧٤ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ. يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

الشَّحْ

ساق المصنف رحمه الله الحديث؛ لبيان أن سب الوالدين من الكبائر؛ وذلك لما يجر إليه من العقوق وإدخال الهم عليهما.

قال النووي رحمه الله: وَأَمَّا قَوْلُهُ قَالَ أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا فَمَعْنَاهُ قَالَ هَذَا الْكَلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَّا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ فَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الْعَقِّ وَهُوَ الْقَطْعُ وَذَكَرَ الْأَزْهَرِيُّ أَنَّهُ يُقَالُ عَقَّ وَالِدَهُ يَعُقُّهُ بِضَمِّ الْعَيْنِ عَقًّا وَعُقُوقًا إِذَا قَطَعَهُ وَلَمْ يَصِلْ رَحِمَهُ وَجَمَعَ الْعَاقُ عَقَقَةً بَفَتْحِ الْحُرُوفِ كُلِّهَا وَعَقَقَ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْقَافِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْمُحْكَمِ: رَجُلٌ عَقَّقَ وَعَقَّقَ وَعَقَّ وَعَاقٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الَّذِي شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ لِوَالِدِهِ هَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمَ شَرَعًا فَقَلَّ مَنْ ضَبَطَهُ وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ أَقِفْ فِي عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَفِيمَا يَخْتَصَّانِ بِهِ مِنَ الْحُقُوقِ عَلَى ضَابِطٍ أَعْتَمَدَهُ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ طَاعَتُهُمَا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرَانِ بِهِ وَيَنْهَيَانِ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ حَرَّمَ عَلَى الْوَلَدِ الْجِهَادَ بغيرِ اذْنِهِمَا لِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمَا مِنْ تَوَقُّعِ قَتْلِهِ أَوْ قَطْعِ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ وَلِشِدَّةِ تَفْجُعِهِمَا عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ أُلْحِقَ بِذَلِكَ كُلُّ سَفَرٍ يَخَافَانِ فِيهِ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ هَذَا كَلَامُ الشَّيْخِ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

أبي محمد وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ فِي فَتَاوِيهِ العُقُوقُ المُحَرَّمُ كُلُّ فِعْلٍ يَتَأَذَى بِهِ الوَالِدُ أَوْ نَحْوُهُ تَأَذًى لَيْسَ بِالِهَيِّنِ مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنَ الأَفْعَالِ الوَاجِبَةِ قَالِ وَرُبَّمَا قِيلَ طَاعَةُ الوَالِدَيْنِ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ مَا لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ وَمُخَالَفَةٌ أَمْرُهُمَا فِي ذَلِكَ عُقُوقٌ وَقَدْ أُوجِبَ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ طَاعَتَهُمَا فِي الشُّبُهَاتِ قَالِ وَلَيْسَ قَوْلٌ مَنْ قَالِ مِنْ عُلَمَائِنَا يَجُوزُ لَهُ السَّفَرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَفِي التَّجَارَةِ بغيرِ إِذْنِهِمَا مُخَالِفًا لِمَا ذَكَرْتُهُ فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مُطْلَقٌ وَفِيمَا ذَكَرْتُهُ بَيَانٌ لِتَقْيِيدِ ذَلِكَ المُطْلَقِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ**» قَوْلُ الزُّورِ أَوْ شَهَادَةُ الزُّورِ فَلَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ المُتَبَادِرِ إِلَى الأَفْهَامِ مِنْهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّرْكَ أَكْبَرُ مِنْهُ بِلا شَكٍّ وَكَذَا القَتْلُ فَلَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ وَفِي تَأْوِيلِهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَحَدُهَا أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الكُفْرِ فَإِنَّ الكَافِرَ شَاهِدٌ بِالزُّورِ وَعَامِلٌ بِهِ وَالثَّانِي أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى المُسْتَحِيلِ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَافِرًا وَالثَّلَاثُ أَنَّ المُرَادَ مِنَ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي نَظَائِرِهِ وَهَذَا الثَّلَاثُ هُوَ الظَّاهِرُ أَوْ الصَّوَابُ فَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى الكُفْرِ فَضَعِيفٌ لِأَنَّ هَذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الزَّجْرِ عَنِ شَهَادَةِ الزُّورِ فِي الحُقُوقِ وَأَمَّا قُبْحُ الكُفْرِ وَكَوْنُهُ أَكْبَرَ الكَبَائِرِ فَكَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ وَلَا يَتَشَكَّكُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ فِي ذَلِكَ فَحَمْلُهُ عَلَيْهِ يُخْرِجُهُ عَنِ الفَائِدَةِ ثُمَّ الظَّاهِرُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الحَدِيثِ وَإِطْلَاقُهُ وَالقَوَاعِدُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي كَوْنِ شَهَادَةِ الزُّورِ بِالحُقُوقِ كَبِيرَةً بَيْنَ أَنْ تَكُونَ بِحَقِّ عَظِيمٍ أَوْ حَقِيرٍ وَقَدْ يُحْتَمَلُ عَلَى بُعْدِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ الإِحْتِمَالُ الَّذِي قَدَّمْتُهُ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ فِي أَكْلِ تَمْرَةٍ مِنْ مَالِ اليَتِيمِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا عَدُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ مِنَ الكَبَائِرِ**» فَدَلِيلٌ صَرِيحٌ لِمَذْهَبِ العُلَمَاءِ كَافَّةً فِي كَوْنِهِ كَبِيرَةً إِلا مَا حَكِيَ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالِ: لَيْسَ هُوَ مِنَ الكَبَائِرِ قَالِ وَالأَيَةُ الكَرِيمَةُ فِي ذَلِكَ إِتْمَا وَرَدَّتْ فِي أَهْلِ بَدْرٍ خَاصَّةً وَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ الجَمَاهِيرُ أَنَّهُ باقٍ وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا قَوْلُهُ فَكَانَ مُتَكَبِّرًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ



يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ فَجَلُّوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِاهْتِمَامِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ وَهُوَ يُفِيدُ تَأْكِيدَ تَحْرِيمِهِ وَعِظَمَ قُبْحِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ لَيْتَهُ سَكَتَ فَإِنَّمَا قَالُوهُ وَتَمَنَّوْهُ شَفَقَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرَاهَةً لِمَا يُزْعِجُهُ وَيَغْضِبُهُ وَأَمَّا عَدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّحْرَ مِنَ الْكِبَائِرِ فَهُوَ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِنَا الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ وَمَذْهَبِ الْجَمَاهِيرِ أَنَّ السِّحْرَ حَرَامٌ مِنَ الْكِبَائِرِ فَعَلُهُ وَتَعَلَّمَهُ وَتَعَلَّمِيْمُهُ.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: إِنَّ تَعَلَّمَهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ بَلْ يَجُوزُ لِيُعْرَفَ وَيُرَدَّ عَلَى صَاحِبِهِ وَيُمَيِّزَ عَنِ الْكِرَامَةِ لِلْأَوْلِيَاءِ وَهَذَا الْقَائِلُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَحْمِلَ الْحَدِيثَ عَلَى فِعْلِ السِّحْرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» إِلَى آخِرِهِ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَسَبَّبَ فِي شَيْءٍ جَازَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الشَّيْءُ وَإِنَّمَا جَعَلَ هَذَا عُقُوقًا لِكَوْنِهِ يَحْصُلُ مِنْهُ مَا يَتَأَذَى بِهِ الْوَالِدُ تَأَذًى لَيْسَ بِالْهَيْئِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِّ الْعُقُوقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَفِيهِ قَطْعُ الذَّرَائِعِ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ بَيْعِ الْعَصِيرِ مِمَّنْ يَتَّخِذُ الْخَمْرَ وَالسَّلَاحَ مِمَّنْ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ



تحريم هجر المسلم فوق ثلاث

١٤٧٥- (وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) (١).

الشرح

ساق المصنف رحمه الله الحديث في بيان تحريم هجر المسلم فوق ثلاثة أيام. وورخص في الثلاثة الأيام حتى يذهب حظ النفس، وهذا الحكم ليس مخصوص، بأهل البدع فإنهم يهجرون مطلقاً إلى أن يتوبوا، والله أعلم.

قال النووي في شرح مسلم: قوله: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ» قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ الْهَجْرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَإِبَاحَتُهَا فِي الثَّلَاثِ:

الأول: بِنَصِّ الْحَدِيثِ.

والثاني: بِمَفْهُومِهِ قَالُوا وَإِنَّمَا عَفِيَ عَنْهَا فِي الثَّلَاثِ لِأَنَّ الْأَدَمِيَّ مَجْبُولٌ عَلَى الْغَضَبِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَعَفِيَ عَنِ الْهَجْرَةِ فِي الثَّلَاثَةِ لِيَذْهَبَ ذَلِكَ الْعَارِضُ وَقِيلَ إِنَّ الْحَدِيثَ لَا يَقْتَضِي إِبَاحَةَ الْهَجْرَةِ فِي الثَّلَاثَةِ وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ لَا يُحْتَجُّ بِالْمَفْهُومِ وَدَلِيلِ الْخُطَابِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا» وَفِي رِوَايَةٍ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا هُوَ بِضَمِّ الصَّادِ وَمَعْنَى يَصُدُّ يُعْرِضُ أَيُّ يُوَلِّيهِ عُرْضَهُ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَهُوَ جَانِبُهُ وَالصُّدُّ بِضَمِّ الصَّادِ وَهُوَ أَيضًا الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» أَيُّ هُوَ أَفْضَلُهُمَا

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).



وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَمَنْ وَافَقَهُمَا أَنَّ السَّلَامَ يَقْطَعُ الْهِجْرَةَ وَيَرْفَعُ الْأَثْمَ فِيهَا وَيُزِيلُهُ وَقَالَ أَحْمَدُ وَبْنُ الْقَاسِمِ الْمَالِكِيُّ إِنْ كَانَ يُؤْذِيهِ لَمْ يَقْطَعِ السَّلَامَ هِجْرَتَهُ قَالَ أَصْحَابُنَا وَلَوْ كَاتَبَهُ أَوْ رَأَسَلَهُ عِنْدَ غَيْبَتِهِ عَنْهُ هَلْ يَزُولُ إِثْمُ الْهِجْرَةِ وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا لَا يَزُولُ لِأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمَهُ وَأَصْحَاهُمَا يَزُولُ لِزَوَالِ الْوَحْشَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ**» قَدْ يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَقُولُ الْكُفَّارُ غَيْرُ مُخَاطَبِينَ بِفُرُوعِ الشَّرْعِ وَالْأَصْحَحُ أَنَّهُمْ مُخَاطَبُونَ بِهَا وَإِنَّمَا قِيدَ بِالْمُسْلِمِ لِأَنَّهُ الَّذِي يَقْبَلُ خِطَابَ الشَّرْعِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ. اهـ



بيان أن كل معروف صدقة

١٤٧٦ - (عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن كل معروف صدقة، والمعروف يشمل التوحيد وما دونه إلى إزالة الأذى عن الطريق، وهي صدقة يتصدق بها المكلف على نفسه، ويلقى مكرمتها يوم القيامة.

قال المناوي في فيض القدير: (كل معروف صدقة) أي كل ما يفعل من أنواع البر وثوابه من تصدق بالمال والمعروف لغة: ما عرف وشرعا.

قال ابن عرفة الطاعة: ولما تكرر الأمر بالصدقة في الكتاب والسنة مالت إليها القلوب فأخبرهم بأن كل طاعة من قول أو فعل أو بذل صدقة يشترك فيها المتصدقون حثا منه للكافة على المبادرة إلى فعل المرء طاقته وسميت صدقة لأنها من تصديق الوعد بنفع الطاعة عاجلا وثوابها آجلا (وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة) لأنه ينكف بذلك عن السؤال ويكف من ينفق عليه، (وما وقى به المرء المسلم عرضه) أي يعطيه الشاعر ومن يخاف لسانه وشره (كتب له به صدقة) أي دفع به النقيصة عن عرضه بذكر ما يهتضم به في نفسه وفي أسلافه فإنه صدقة لأن صيانة العرض من جملة الخيرات لما أنه يحرم على الغير كالدّم والمال.

قال ابن بطال: وأصل الصدقة ما يخرج المرء من ماله متطوعا به وقد يطلق على الواجب لتحري صاحبه الصدق في فعله ويقال لكل ما يحابي به المرء من حقه صدقة

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢١).



لأنه تصدق بذلك على نفسه قال عبد الحميد الهاللي: قلت لابن المنكدر: ما وقى الرجل به عرضه قال: يعطي الشاعر أو ذا اللسان (وكل نفقة أنفقها المسلم فعلى الله خلفها والله ضامن إلا نفقة في بنیان أو معصية) ظاهر هذا أنه لا يشترط في حصول الثواب نية القربة لكنه مقيد في أخبار آخر بقوله وهو يحتسبها فيحمل المطلق على المقيد.

وفيه: أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة فإن نفقة الزوجة من ملاذ الدنيا المباحة ووضع اللقمة في فمها إنما يكون عند الملاعبة وهي أبعد الشيء عن الطاعة وأمور الآخرة ومع ذلك فقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه يثاب عليه ثواب الصدقة ففي غير هذه الحالة أولى. اهـ



بذل المعروف

١٤٧٧- (عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(١)).

الشرح

ساق المصنف رحمه الله الحديث؛ لبيان بذل المعروف، وأنه لا يحتقر وإن قل في نظر صاحبه.

قال المناوي في فيض القدير: «ولا تحقرن» بفتح المثناة فوق وكسر القاف وفتح الراء وشد النون أي لا تستصغرن يقال حقره واحتقره واستصغره قال الزمخشري: تقول أي العرب هو حقير فقير هو حافر ناقر وفي المثل من حقر حرم وفلان خطير غير حقير **«من المعروف»** أي ما عرفه الشرع والعقل بالحسن **«شيئا»** أي كثيرا كان أو حقيرا **«ولو»** قال الطيبي: هذا شرط يعقب به الكلام تميما ومبالغة.

وقال أبو حيان: هذه الواو لعطف حال على حال محذوفة بتضمنها السابق تقديره لا تحقرن من المعروف شيئا على كل حال كائنا ما كان ولو **«أن تفرغ»** بضم الفوقية وكسر الراء تصب يقال أفرغت الشيء صببته إذا كان يسيل **«من دلوك»** إنائك الذي تستسقي به من البئر **«في إناء»** أي وعاء **«المستسقي»** طالب السقيا يعني ولو أن تعطي مريد الماء ما حزته أنت في إنائك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف وتقدم الأحوج فالأحوج والدلو معروف ويستعار للتوصل إلى الشيء بأي سبب كان قال:

وليس الرزق في طلب حثيث ولكن ألق دلوك في الدلاء

«وأن تلقى» أي ولو أن تلقى **«أخاك»** أي تراه وتجتمع به وفي رواية لأبي داود بدله وإن تكلم أخاك قال الطيبي: مصدر وعامله محذوف تقديره كلم أخاك تكلما فلما

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).



حذف الفعل أضيف المصدر إلى الفاعل وأراد بالأخ المسلم وإن لم يكن ابن أحد أبويه وقيل له أخوه لأنه لا بسه من قبل أن دينه كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة وذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام ذكره الزمخشري وأصله للراغب حيث قال: هو المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو أحدهما أو الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في قبيلة أو دين أو صنعة أو معاملة أو مودة أو غيرها من المناسبات {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} أي لمشاركيهم في الكفر وقوله {يَأْتِيَهُمْ هَرُونَ} يعني في الصلاح لا النسبة وقولهم أخا تميم وقولهم أخا عاد وسماه أخا تنبئها على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه «**ووجهك**» أي والحال أن وجهك «**إليه منبسط**» أي منطلق بالسرور والانشراح قال حبيب بن ثابت: من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مقبل عليه بوجهه.

ونظم هذا الحديث كنظم الجمان وروض الجنان وفيه كما قال الغزالي رد على كل عالم أو عابد عبس وجهه وقطب جبينه كأنه مستقذر للناس أو غضبان عليهم أو منزه عنهم ولا يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الخد حتى يصعر ولا في الظهر حتى ينحني ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلب، أما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم {وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ} . اهـ



اصطناع المعروف

(وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»^(١)).

الشرح

ساق المصنف رحمه الله الحديث؛ لبيان أهمية اصطناع المعروف، ومن ذلك: زيادة شيء من الماء على اللحم حتى يكثر المرق ويهدي لجاره ويحسن إليه. فعلى المسلم: أن يتعاهد الجيران لا سيما في زمن الحاجة وحتى وإن لم تكن هنالك حاجة فلا بأس أن يعطوا لا سيما إن كانت هناك ضيافة سعة فيوسع على الجيران ويشعرون بالألفة، ويُسأل عنهم بين الحين والآخر: يا فلان كيف حالك؟ كيف الأهل والأولاد؟ أين أنت ما نراك؟ ومن هذا الكلام الذي يُدخل السرور على الإنسان.

وفي الحديث: الْوَصِيَّةُ بِالْجَارِ وَبَيَانُ عِظَمِ حَقِّهِ وَفَضِيلَةُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. ويذكرون أن رجلاً كان له دار فأصبته حاجة فعرض داره للبيع، فأعطي فيها مبلغاً فقال: زيدوا مثله قالوا: لماذا؟ قال: هذا ثمن البيت ومثله ثمن جاري، فعلم جاره بالقضية، فدفع عنه الدين.

- وقال الشاعر في "الأنوار الساطعات لآيات جامعات" (١ / ١٨١):

يلومونني أن بعث بالرخص منزلي ولم يعلموا جاراً هناك يُنغصُ
فقلت لهم كفوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخصُ
فكانوا يفرحون بالجار الطيب ويستأون من جار السوء، فلو كان جارك من

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٥).



الأخيار تُسافِرُ وأنت مطمئن على بيتك، وأولادك، يسأل عنهم، ربما إن احتاجوا خرج في حاجتهم وإن مرض الصغير، ذهب به إلى المستشفى، بينما إذا كان الجار سيئًا يذهب المسافر وقلبه مشمئز يخشى من جاره أن ينتهك حُرْمَهُ، أو يؤذي أبنائه، إلى غير ذلك، فالإنسان يحرص على أداء الحقوق إلى الجيران.



فضل تفريح كربات المسلمين

١٤٧٦- (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف الحديث؛ لبيان فضل تفريح كربات المسلمين ونحوها، وتمام الحديث: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». وقد قلت في شرحي على الأربعين النووية:

هذا حديث عظيم حوى جَمَلًا مما ينبغي المسلم من أخيه المسلم من المبادرة إلى تفريح كربتته، وإلى تنفيس هممه، وإلى تيسير أمره، وإلى ستر عيبه، وإلى إعانة أخيه، وما في هذه المذكورات من المنافع على العبد نفسه في الدنيا والآخرة. والجزاء من جنس العمل، وكم هي الأحاديث التي يُخبر بها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجزاء من جنس العمل ومنها: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»^(٢)، ويقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ»^(٣). - وفي هذا الحديث جَمَلًا مما يدل ذلك:

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦١٣).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٢٤).



أولها قوله: **(«مِنْ نَفْسٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»)**: والكربة هم وحزن يأخذ بالذات، وما يلحقهم من الفتن والبلاء، فمن سعى في كثيرة منها الديون، وقلة ذات اليد، وما يلحقهم من الفتن والبلاء، فمن سعى في تنفيس كُرب المؤمنين، كان ذلك من تنفيس كُربته يوم القيامة، مع الفرق العظيم فإن كربة الدنيا تزول إما بتغيير حال.

فمن كانت كُربته من البيت الضيق عسى أن يأتي البيت الواسع، وإن كانت كُربته من قلة ذات اليد عسى أن يأتي الرزق الطيب الواسع، وإن كانت كُربته من جارٍ سيئ عسى أن يأتي الجار الحَيِّر، وإن كانت كُربته من زوجةٍ مؤذية عسى أن يُخَلِّفَ بغيرها من الزوجات الطيبات، وإن كانت كُربته من ولدٍ عاق عسى الله أن يصلحه أو ييسر بغيره، وإن كانت كُربته من حاكم ظالم عسى أن يغير الله عَزَّجَلَّ الحال، المهم أن كُرب الدنيا زائلة وليست بشيء أمام كُرب الآخرة، ومع ذلك لما كان الله عَزَّجَلَّ هو الكريم الأكرم أكرم المؤمن بأضعاف أضعاف بل لا مقارنة على عمله.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِقَتَاةٍ: إِذَا آتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»**^(١).

فهذا تجاوز عن شخص في الدنيا في أمرٍ ربما كان في قطعة قماش، أو كيلو من الأرز، أو البطاط، أو الطماط، أو نحو ذلك من الأطعمة والملبوسات فيتجاوز الله عنه يوم القيامة تَجَاوَزَ الخالق المالك، القاهر، الظاهر عن العبد المحتاج، الضعيف، الفقير، فالجزاء من جنس العمل.

وهذا يدل دلالة عظيمة على كرامة الله عَزَّجَلَّ لعباده المؤمنين ومنها ما جاء في مسلم من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ**

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٤٨٠).

آدمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»^(١)، فالله عَزَّوَجَلَّ يُكْرِمُ من يُكْرِمُ أوليائه، فليكن هذا دينك أيها المسلم.

قوله: («وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»): المعسر من

لَحِقَهُ عُسْرٌ إِمَّا بِدَيْنٍ أَوْ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: {فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ} [سورة البقرة: ٢٨٠]؛ فإذا كان الإنسان في عُسْرٍ وَضِيقٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ إِلَى مَيْسَرَةٍ لِقَضَاءِ دِينِهِ، وَمَنْ سَعَى فِي تَيْسِيرِ أَمْرِهِ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة: ٢٦١].

- وفيه: أن الشيء بسببه، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه أن يفرج كُرْبَ المكروبين من المؤمنين، وييسر أمر المعسرين، ومع ذلك قضى قضاءً كونياً أن يكون تفريح الكُرب وتيسير الأمور بأسبابها، ولا يمنع أن الله عَزَّوَجَلَّ يُكْرِمَ من شاء من أوليائه بما يُسمى بكرامات الأوليائه.

لكن هذا في حالاتٍ يشتد عليه العسر والضييق حتى لا يجد ملجأً إلا إلى الله عَزَّوَجَلَّ فعند ذلك قد تأتيه الكرامة بغير سببٍ ظاهر، وربما كان من أعظم أسباب الكرامة

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٩).



"الدعاء" وغير ذلك من الأسباب.

- وفيه: أن فعل الخير سببٌ لخيري الدنيا والآخرة، ومن ذلك حديث أنس عند مسلمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمَلَ حَسَنَةً أَطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدْخُرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»^(١)، فالله هو الكريم، العظيم، الأكرم، المعطي، الغني الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ومن أعظم التيسير: التيسير على المُعْسِرِينَ لا سيما في باب الدَّيْنِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^(٢).

وهكذا التيسير في شؤون الدعوة، والفتوى، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»^(٣).

وهذا الدين دين يُسَّرُ فينبغي للناس أن يُرْفِقُوا بأنفسهم حتى لا تقع عليهم الأغلال والآصار التي كانت على من قبلهم.

قوله: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: في هذا بيانٌ من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الواجب ستر عورات المسلمين، وعدم التتبع لها، فإن في ذلك مفسد عظيمة، منها فضح المؤمن، والمؤمن أمر بستره والتجاوز عنه، والعفو عنه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٤).

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حذر من التجسس وتتبع العورات لما في ذلك من

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨٠٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠٠٦)، عن عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩)، ومسلم حديث رقم: (١٧٣٤)، عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٨٨)، عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضيحة المسلم فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَجَاءَ عَنِ الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»^(١).

فإذا رأيت من مسلم خطأ من الأخطاء فعليك النصيح، والتوجيه، مع الستر وعدم السعي في إشاعة الفاحشة، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [سورة النور: ١٩].

والعجيب أن تجد أن أحرص الناس على كشف عورات المسلمين هم أصحابهم، ومن يجالسوهم، ممن ينبغي أن يكون أشد حرصاً على كتم الأسرار فإن المجالس بالأمانات هذا إذا لم يكن الأمر يتعلق بالدين أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين في التحذير من بدعة، أو شرٍ فلا بأس بذلك فإن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذهب ينظر شأن ابن صَيَّادٍ ليعرف شره، ويكون فيه التحذير مما هو قادم عليه من الشر، لكن الواقع أن الناس يتكلمون في أصحابهم وإخوانهم وجلسائهم بما لا يسلمون منه، فَمِنْ سَتَرِ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أيما ستر! سترٌ عظيم أن يستر الله عَزَّوَجَلَّ عيبك عن أعين الناظرين.

وفي "مسلم" عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ،

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٣٢).



فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيُقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيُقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ^(١).

- وما منا إلا وله عيب وكما قال القحطاني:

والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني

- وذكر بعض السلف: أن قومًا سكتوا عن أعراض غيرهم فستر الله أعراضهم، وإن قومًا تكلموا في أعراض غيرهم فما ماتوا حتى ابتلوا فيما عيروا به الناس.

- ولِعِظَمِ سِتْرِ الْمُسْلِمِينَ قَضَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنْ الْفَاحِشَةَ لَا تَثْبِتُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ، وَيُعْلَظُ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ، حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَا الْمَيْلِ فِي الْمُكْحَلَةِ، فَلَا يَكْفِي أَنْ يَشْهَدَ بِأَنَّهُ رَأَاهُ مَعَهَا، أَوْ رَأَاهُ فِي حَضْنِهَا، حَتَّى يَشْهَدَ بِثُبُوتِ الْوَاقِعَةِ ثُبُوتًا لَا شُبُهَةَ فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَتِمَّ الشَّهَادَةُ جُلِدُوا سِتْرًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

- وَيُذَكَّرُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ حِينَ ذَكَرُوا فِيهِ مَا ذَكَرُوا وَجَاءَ الشُّهُودُ، كَانَ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِسِتْرِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَلَفَتْ شَهَادَةُ بَعْضِ الشُّهُودِ فَجَلَدَهُمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ التَّمَسَّ الْعِذْرَ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لَهُ أَوْ سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَاهُ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا فَاتْهَمُوهُ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ، فَهُوَ مِنْ خَيْرَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا تكلم الرجل في أمراته مما ينبغي فيه الستر عوقب بالملاعنة منها، والفراق أبدًا حتى لا يقول: كذبت عليها وأردت كذا، ووقعت في كذا.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٠).

- وينبغي للإنسان: أن لا يجاوزه إلا ضرورة ولهذا أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُدرأ الحدود بالشبهات فما بالك بتتبع العورات.

فإذا فعل رجل معصية فيما بينه وبين الله فأظهرها الله عَزَّوَجَلَّ عليك فلا تذهب وتشيعها مع أن الأمر، يحتاج إلى ستر وتجاوز، مع بذل النصيحة فإذا عَلِمَ من هذا الشخص أن شره مستطير وأن فساده عريض، فعند ذلك لا بأس أن يُحذَّر الناس بالطريقة التي تصلح فإن كان التحذير سِرًّا حُذِرَ سِرًّا وإن كان فساده في الدين حُذِرَ منه كما يُحذَّر من أهل البدع، وفي الحديث: **«إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»**^(١).

- وينبغي: أن ندعوا الله عَزَّوَجَلَّ بستر عيوبنا فإنها كثيرة ومن يسلم: مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ

قوله: **«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**: إي ومن أسباب عون الله تعالى للعبد أن يكون في عون أخيه، فمن أعان أخاه على أمر من الأمور ويا حبذا أن تكون من معالي الأمور أعانه على طلب العلم، وعلى التفرغ للعبادة والتأليف، والتصنيف، أو الزواج، أو بناء البيت، أو شراء المركب، أو أعانه حتى على تحميل المتاع، فإن كل ذلك من أسباب عون الله عَزَّوَجَلَّ للعبد ومن الصداقات العظيمة التي تُقَرِّب المؤمن من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.



(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٤٨٨)، عن سلمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



أجر الدلالة على الخير

(وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف الحديث لبيان فضل الدلالة على الخير، وأفضل ذلك: الدعوة إلى الإسلام والسنة، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» فِيهِ فَضِيلَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ وَالْمُسَاعَدَةَ لِفاعِلِهِ وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لِمَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَغَيْرِهِمْ وَالْمُرَادُ بِمِثْلِ أَجْرِ فَاعِلِهِ أَنَّ لَهُ ثَوَابًا بِذَلِكَ الْفِعْلِ كَمَا أَنَّ لفاعِلِهِ ثَوَابًا وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ قَدْرُ ثَوَابِهِمَا سَوَاءً. اهـ



(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨٩٣).

المكافأة على المعروف

١٤٨١- (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَنَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ)

الشرح

ساق المصنف رحمه الله الحديث؛ لبيان تعيين المكافأة على المعروف.

قال في عون المعبود: «مَنْ اسْتَعَاذَ» أَي مَنْ سَأَلَ مِنْكُمْ الإِعَاذَةَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ» قَالَ الطَّبِيُّ: أَي مَنْ اسْتَعَاذَ بِكُمْ وَطَلَبَ مِنْكُمْ دَفْعَ شَرِّكُمْ أَوْ شَرِّ غَيْرِكُمْ قَائِلًا بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَ عَنِّي شَرِّكَ فَأَجِيبُوهُ وَادْفَعُوا عَنْهُ الشَّرَّ تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَالْتَقْدِيرُ مَنْ اسْتَعَاذَ مِنْكُمْ مُتَوَسِّلًا بِاللَّهِ مُسْتَعِظًا بِهِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْبَاءُ صِلَةً اسْتَعَاذَ أَي مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ بَلْ أَعِيدُوهُ وَادْفَعُوا عَنْهُ الشَّرَّ فَوَضَعَ أَعِيدُوا مَوْضِعَ ادْفَعُوا وَلَا تَتَعَرَّضُوا مُبَالَغَةً «فَأَعْطُوهُ» أَي تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللَّهِ وَشَفَقَةً عَلَى حَقِّ اللَّهِ «وَمَنْ دَعَاكُمْ» أَي إِلَى دَعْوَةٍ «فَأَجِيبُوهُ» أَي إِنْ لَمْ يَكُنْ مَانِعٌ شَرْعِيٌّ «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا» أَي أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ إِحْسَانًا قَوْلِيًّا أَوْ فِعْلِيًّا «فَكَافِئُوهُ» مِنَ الْمُكَافَأَةِ أَي أَحْسِنُوا إِلَيْهِ مِثْلَ مَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ» أَي بِالْمَالِ وَالْأَصْلِ تُكَافِئُونَ فَسَقَطَ النُّونُ بِلا نَاصِبٍ وَجَازِمٍ إِمَّا تَخْفِيفًا أَوْ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِينَ كَذَا ذَكَرَهُ الطَّبِيُّ وَالْمُعْتَمَدُ الْأَوَّلُ

(١) (صحيح) أخرجه البيهقي (٧٨٩٠)، وأخرجه أبو داود (١٦٧٢)، (٥١٠٩) والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد

(٥٣٦٥)، (٥٧٤٣)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح أبي داود

(١٤٦٩)، وفي الصحيحة (٢٥٣).



لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى الْحِفْظِ مُعَوَّلٌ وَنَظِيرُهُ كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ عَلَى مَا رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ «فَادْعُوا لَهُ» أَيِّ لِلْمُحْسِنِ يَعْنِي فَكَافَتْهُ بِالِدُّعَاءِ لَهُ «حَتَّى تَرَوْا» بِضَمِّ التَّاءِ أَيِّ تَظُنُّوا وَبِفَتْحِهَا أَيِّ تَعْلَمُوا أَوْ تَحْسَبُوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» أَيِّ كَرَّرُوا الدُّعَاءَ حَتَّى تَظُنُّوا أَنَّ قَدْ آدَيْتُمْ حَقَّهُ.

وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّنَاءِ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَبْنُ حِبَّانَ، فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ لِأَحَدٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَدْ آدَى الْعِوَضَ وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ كَثِيرًا. اهـ



باب الزهد والورع

[بَابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ]

الشَّرْحُ

الورع: هو ترك ما يضر في الآخرة.

والزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

فعلى هذا يكون الزهد أعلى درجة من الورع.

لأن الورع: هو ترك المحرم؛ فهو الذي يضر في الآخرة.

أما الزهد: هو ترك كل شيء لا ينفع صاحبه يوم القيامة، ولو كان الشيء وقيل:

العكس، أن الورع أعلى من الزهد.

وقيل: بأن الزهد والورع بمعنى متقارب.

فكل عمل لا يقربك من الله **عَزَّجَلَّ** فتركه من الورع والزهد.

وهذا الباب أوسع من باب الحلال والحرام.

فيدخل في باب الورع ترك كثير من المشتبهات؛ حتى وإن كنا لا نعلم بحرمتها

ورعا .

بل ربما يترك بعض الحلال خشية أن يوصل إلى الحرام، أو لشبهة فيه.

وقد ألف العلماء رحمة الله عليهم قديماً في هذا الباب ومن أنفسهم ذلك.

" الزهد"، للإمام أحمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

والزهد، للإمام عبد الله بن المبارك **رَحْمَةُ اللَّهِ**، والزهد، للإمام وكيع بن الجراح

رَحْمَةُ اللَّهِ.

وذكر في المسانيد، والجوامع، كثيراً مما يتعلق في هذا الباب.

وهذا الباب من المهمات؛ لأن الإنسان إذا لم يحصل له الزهد عن كثير من ملذات

الدنيا؛ ربما جره ذلك إلى الوقوع في كثير من البليات، والمصائب، والمعاصي، والمحرمات.

بل قد يجره ذلك إلى الوقوع في الكبائر، وربما وقع في الشركيات والخرفات، وفي البدع والكفر بالله **عَزَّوَجَلَّ**.

فإذا تعلق قلب الإنسان بالدنيا أخلد إليها وصار من أصحابها .

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيكِ ۗ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ۗ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]..

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ [يونس: ٢٤٢٥]..

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ ۗ ﴿٢٠﴾ [الغُرُورِ]..

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ

أَقْرَار ﴿٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٣٣﴾.

والأدلة في الباب كثيرة جداً، كما سنرى مما يسوقه المصنف رَحِمَهُ اللهُ.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١).

والحديث ضعيف، من طريق خالد بن عمرو القرشي كذاب وضاع، ولكن معناه صحيح.

قال العقيلي: " ليس له من حديث الثوري أصل، وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به خالد هذا ".
وعلى كل فمعناه صحيح؛ لأن من زهد في الدنيا، لازم عمل الآخرة؛ فأحبه الله عزَّ وجلَّ.

ومن زهد فيما عند الناس، ولم ينافسهم على أمور الدنيا؛ أحبه الناس .
وذلك أن الناس يزهدون فيمن يسألهم أموالهم، ويزاحمهم وينافسهم في أمور الدنيا.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٩٤٤).



يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾

[محمد: ٣٦-٣٧]..

وكلما كان الإنسان بعيداً عن شأنهم، كان حب الناس له أعظم، وكان تقدير الناس له أجل.

لأنهم يعرفون أن هذا الرجل ليس صاحب دنيا، وليس له همة في تحصيلها .
وكم أفسدت الدنيا من علماء؛ لما زاحموا أصحاب الكراسي على كراسيهم،
وأصحاب المناصب على مناصبهم، وأصحاب الدنيا على دنياهم .
ولن يستقيم حال العبد إلا بالزهد والورع.

﴿ بيان أقسام العلم:

وينقسم العلم أربعة أقسام:

الأول: ربع العبادات.

الثاني: ربع الاعتقادات.

الثالث: ربع المعاملات.

الرابع: ربع الزهديات والورع.

﴿ بيان أن تحريم ما أحل الله عزَّجَلَّ ليس من الزهد:

وليس من الزهد، والورع، تحريم ما أحل الله **عَزَّجَلَّ** من الطيبات من الرزق، قال
الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

[الأعراف: ٣٢]، وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ

عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنُّ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه (١).

وإنما كان هذا حال الرهبان، والقساوسة، وغلاة الصوفية، ومن إليهم من أهل البدع والخرافات. إذ أن كثيراً من الصوفية يحرمون المكاسب، ويلبسون ثياب الصوف في الصيف، ولثياب رقيقة في الشتاء، زعما منهم أن هذا من الورع، والزهد، ولا والله إنما هو من البدع.

بيان أن نبينا محمد ﷺ أعظم الناس زهداً وورعاً الزهاد:

وأعظم الناس زهداً وورعاً هو نبينا محمد ﷺ، ولم ينقل عنه مثل هذا عنه. بل ولم يفعله صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أزهد الناس في هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ.

ولا فعله التابعون لهم، ولا أتباع التابعين، وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، والعلم، والفضل، والإيمان.

ومع ذلك فقد جاء في مسلم: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرٌ الْحَقُّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» (٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

كما جاء ذلك في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ - وهو مالك بن نضلة الجشمي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ أَمْرٌ بِهِ فَلَا يَقْرِبُنِي وَلَا يُضَيِّقُنِي فَيَمُرُّ بِي أَفَأَجْزِيهِ؟ قَالَ: «لَا، أَقْرِهِ» قَالَ: وَرَأَيْتَ رَثَّ الثِّيَابِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ أَعْطَانِي اللهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: «فَلْيُرِّ عَلَيْكَ»^(١).

وفي لفظ النسائي: «فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيُرِّ عَلَيْكَ أَنْتَرِ نِعْمَةَ اللهِ وَكَرَامَتِهِ»^(٢).

وفي سنن الإمام النسائي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّوْا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»^(٣).

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: "بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ أَخْذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتَيْتُهُ، فَفَعَلْتُ فَآتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَدَ إِلَيَّ الْبَصْرُ ثُمَّ طَاطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيَغْنِمُكَ اللهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً»، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أَسْلِمَ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعَمَ الْمَالِ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»^(٤).



- (١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٠٩٩).
- (٢) أخرجه النسائي (٥٢٢٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف النسائي.
- (٣) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف النسائي.
- (٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢٩٩/٢٩٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٠٠٦).

بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات

١٤٨٢ - (عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ (١) وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان البعد عن المشتبهات .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ١٩٤): قَوْلُهُ ﷺ: «الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» مَعْنَاهُ: أَنَّ الْحَلَالَ الْمَحْضَ بَيْنَ لَا اسْتِثْبَاهَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ الْمَحْضُ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أُمُورٌ تُشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ الْقِسْمَيْنِ هِيَ. فَأَمَّا الْحَلَالَ الْمَحْضُ: فَمِثْلُ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الزُّرُوعِ، وَالثَّمَارِ وَبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَشُرْبِ الْأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَلِبَاسِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، أَوْ الصُّوفِ أَوْ الشَّعْرِ، وَكَالِنِكَاحِ، وَالتَّسْرِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اكْتِسَابُهُ بِعَقْدٍ صَحِيحٍ كَالْبَيْعِ، أَوْ بِمِيرَاثٍ، أَوْ هِبَةٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالْحَرَامُ الْمَحْضُ:

(١) في المخطوط زيادة "فقد".

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

مِثْلُ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالِدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَلِبَاسِ الْحَرِيرِ لِلرِّجَالِ، وَمِثْلُ الْأَكْسَابِ الْمُحَرَّمَةِ كَالرَّبَا وَالْمَيْسِرِ وَثَمَنِ مَا لَا يَحِلُّ بَيْعُهُ، وَأَخَذِ الْأَمْوَالِ الْمَغْضُوبَةِ بِسَرِقَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ تَدْلِيْسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُشْتَبَهُ: فَمِثْلُ بَعْضِ مَا اخْتَلَفَ فِي حَلِّهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ، إِمَّا مِنَ الْأَعْيَانِ كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَالضَّبِّ، وَشُرْبِ مَا اخْتَلَفَ فِي تَحْرِيمِهِ مِنَ الْأَنْبِذَةِ الَّتِي يُسَكَّرُ كَثِيرُهَا، وَلُبْسِ مَا اخْتَلَفَ فِي إِبَاحَةِ لُبْسِهِ مِنْ جُلُودِ السَّبَاعِ وَنَحْوِهَا، وَإِمَّا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَسَائِلِ الْعَيْنَةِ وَالتَّوْرُقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَ الْمُشْتَبِهَاتِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَعَيْرُهُمَا مِنَ الْأَيْمَةِ. وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْكِتَابَ، وَبَيَّنَّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: كُلُّ شَيْءٍ أَمْرًا بِهِ أَوْ نَهْوًا عَنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ (الآيَةِ: ١٧٦) الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْضَاعِ: ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦) [النساء: ١٧٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وَوَكَّلَ بَيَانَ مَا أَشْكَلَ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وَمَا قُبِضَ ﷺ حَتَّىٰ أَكْمَلَ لَهُ وَوَلَّامَتِهِ الدِّينَ، وَلِهَذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ بِعَرَفَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ بَسِيرَةٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ بَيْضَاءِ نَفِيَّةٍ لَيْسَ عَلَيْهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ». وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ

يُحَرِّكُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا . اهـ

قوله: «النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»: صحابي أنصاري، من صغار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأمه: عمرة بنت رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وله قصة في باب الهبة.

ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ»^(١).

قوله: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ»: وذلك لتأكيد السمع من النبي ﷺ.

وأنه أخذ الحديث من النبي ﷺ مشافهة، وهذا أرفع أنواع الشمل .

قوله: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ» أي: واضح معروف في الكتاب، والسنة، لا إشكال فيه .

قوله: «وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ» أي: واضح، لا إشكال فيه، يعلمه معلوم أنه حرام .

قوله: «وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ»: وربما كان اشتباهها إلى احل، أو إلى الحرمة .

فمن الورع البعد عن مثل هذه المشتبهات؛ لما قد تؤدي إليه من التبعات، والوقوع في المحرمات .

قوله: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»: والمعنى أن كثيرًا من الناس لا يعلمون حكم

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧، ٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).



المشبهات.

وهناك من حكمها، ولا سيما أهل العلم، والطلبة الذين فتح الله عليهم بالعلم الشرعي الذي يستطيعون به أن يميزوا بين الحلال والحرام .
فمن علم حلها فلا حرج عليه في تعاطيها؛ ومن علم حرمتها فعليه اجتنابها.
ومن لم يتبين فيها الحل، أو الحرمة، وأصبح متردداً فيها، فالمتيقن البعد عنها؛ احتياطاً من الوقوع في المحرمات وهو لا يدري .
وعليه أن يسأل عنها أهل العلم، فهم الذين يميزون بين الحرام، والحلال، والأمور المشبهة.

قوله: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ» أي: جعل بينها وبينه وقاية، بحيث لا يغشاها، ولا يأتيها.

قوله: «فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ».

ومعناه: أن من وقع في الشبهات قد يلحقه الضرر في دينه، وعرضه.

فالضرر في الدين: من حيث يضعف، وينقص إيمانه .

والضرر في عرضه: من حيث أن الناس قد يتكلمون فيه .

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنِ أَبِيهِ الشَّرِيدِ

بن سويد الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِيِ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عَرْضَهُ، وَعُقُوبَتُهُ»^(١).

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «يُحِلُّ عَرْضَهُ يُعَلِّظُ لَهُ، وَعُقُوبَتُهُ يُحَسِّسُ لَهُ».

قوله: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» أي: أن من وقع في الشبهات كاد أن

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ

يقع في الحرام، هذا هو المعنى من الحديث، ويعرف ذلك من سياقه .
لأن الشبهات تجر صاحبها إلى الوقوع في المحرمات، فمن تساهل ووقع في
الشبهات، ولم يستبرأ لدينه وعرضه .

ومما يدل على هذا المعنى من أن المراد: أنه يكاد أن يقع في المحرمات .

قوله: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»: فصرح النبي ﷺ بهذا
اللفظ أنه لم يقع فيه بعد، ولكنه يوشك أن يقع فيه؛ لقربه من المحرمات .
والحمى: هو الذي يمنع فيه الناس من الرعي الصيد، ونحوه .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى» أي: أن لكل ملك، أو رئيس، أو شيخ قبيلة، له
حمى خاص؛ يجعله لبقره، أو غنمه، أو إبله، أو يجعله لحوائج المسلمين.

قوله: «أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» أي: أن الله عزَّجَلَّ جعله حماه المحارم، فمن وقع
في المحرمات، فقد وقع في حمى الله عزَّجَلَّ .
فلا يجوز لأحد من الناس أن يقع في محارم الله عزَّجَلَّ .

**قوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ
الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»:** وهذا في دليل على أن القلب فيه صلاح الباطن،
والظاهر.

وأن القلب هو ملك الجسد وقائده، فإن كان القلب صالحًا كان سائر الجسد
كذلك، وإن كان القلب فاسدًا كان سائر الجسد كذلك.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ



وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلًّا، وَلَا حَسَدًا»^(٢).

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^(٣) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ^(٤) [محمد: ٢٩-٣٠].



(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وفي الصحيحة (٩٤٨).

بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم

١٤٨٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(١)).
أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ تَعَاسَةِ عَبْدِ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ.
وَالْحَدِيثُ لَهُ قِصَّةٌ: فِيهِ صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ
أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَبِكَ فَلَا أَنْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ
أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ، مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ
فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ
يُشَفَّعْ»^(٢)، وَقَالَ: «فَتَعَسَّ»: كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَاتَّعَسَهُمُ اللَّهُ، طُوبَى: فَعَلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ،
وَهِيَ يَاءٌ حُوِّلتْ إِلَى الوَاوِ وَهِيَ مِنْ يَطِيبُ " .

فالحال يحمل على احتمالين:

الأول: إما أن النبي ﷺ دعا على من كان هذا حاله، ودعاء النبي ﷺ مستجاب في الغالب.

الثاني: وإما أن يكون أخبر خبراً، وخبر النبي ﷺ صدق .

وشبه الحريص على جمع الدنيا بعباد الدرهم، ؛ لأنه فرط فيها خلق من أجله،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٥) وزاد «والخميصة» .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) .



وانشغل بجمع الدراهم، والدنانير، وبالتجارة وغيرها.

كان الواجب عليه أن يعبد الله **عَزَّجَلَّ**، وأن لا يفرط في ذلك.

قوله: «تَعَسَّ»: دعاء بالتعاسة، وهو أي سقط، والمراد هنا هلك. وقيل ضد سعد أي

شقي .

قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ» الدينار: هو من الذهب.

والدينار يقدر بالجرامات: بأربعة جرامات وربع.

قوله: «وَالدَّرْهَمِ» الدرهم: من الفضة.

قوله: «وَالْقَطِيفَةِ» القטיפفة: هي نوع من اللباس، والأقمشة المزينة والملونة، وتكون

في الغالب غليظة وهي معروفة باسمها إلى يومنا هذا.

قوله: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِي» أي: مما ذكر من حطامها رضي بالدنيا؛ لأنها مراده .

قوله: «وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»: لأن حرصه الأكبر هو في تحصيل الدنيا، ملذاتها، ولا

هم له في الدار الآخرة، وفيما يقربه من الله **عَزَّجَلَّ** بالأعمال الصالحة.

فالحديث يحث على الزهد، والورع، والحرص على ما ينفع؛ لأن الدنيا لا تدوم

لصاحبها.

قال الحافظ الفتح (١١ / ٢٥٤): قَالَ بِنِ الْأَبْبَارِيِّ التَّعَسُّ الشَّرُّ قَالَ تَعَالَى

فَتَعَسَّا لَهُمْ أَرَادَ أَلْزَمَهُمُ الشَّرُّ وَقِيلَ التَّعَسُّ الْبُعْدُ أَيُّ بُعْدًا لَهُمْ وَقَالَ غَيْرُهُ قَوْلُهُمْ تَعَسَّا

لِفُلَانٍ نَقِيضُ قَوْلِهِمْ لِعَالِهِ فَتَعَسَّا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْعَثْرَةِ وَلَعَا دُعَاءٌ لَهُ بِالِانْتِقَاشِ قَوْلُهُ عَبْدُ

الدِّينَارِ أَيُّ طَالِبُهُ الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ الْقَائِمُ عَلَى حِفْظِهِ فَكَأَنَّهُ لِدَلِكِ خَادِمُهُ وَعَبْدُهُ

قَالَ الطَّبِيُّ قِيلَ خُصَّ الْعَبْدُ بِالذِّكْرِ لِيُؤَدَّنَ بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا كَالْأَسِيرِ

الَّذِي لَا يَجِدُ خَلَاصًا وَلَمْ يَقُلْ مَالِكُ الدِّينَارِ وَلَا جَامِعُ الدِّينَارِ لِأَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الْمَلِكِ



وَالْجَمْعُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَقَوْلُهُ إِنَّ أُعْطِيَ الْخَ يُؤْذِنُ بِشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ غَيْرُهُ جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُمَا لِشَغْفِهِ وَحِرْصِهِ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لَهُوَاهُ لَمْ يَصْدُقْ فِي حَقِّهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ فَلَا يَكُونُ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا قَوْلُهُ وَالْقَطِيفَةُ هِيَ الثَّوْبُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ وَالْخَمِيصَةُ الْكِسَاءُ الْمُرْبَعُ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ بَلَفَظَ تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعَسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ وَقَوْلُهُ وَانْتَكَسَ أَيَّ عَاوَدَهُ الْمَرَضُ فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَفْسِيرِ التَّعَسِ بِالسُّقُوطِ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا قَامَ مِنْ سَقَطْتِهِ عَاوَدَهُ السُّقُوطُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى بَانْتَكَسَ بَعْدَ تَعَسَ انْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ . اهـ





بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل

١٤٨٤ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقْمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ". (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث للحث على الزهد في الدنيا. وأن حال الإنسان في الدنيا، كحال الغريب، أو كحال العابر سبيل، إلى الدار الآخرة.

والغريب: حاله أنه لا يستقر.

فلا ينبغي لعاقل أن ينخدع بالدنيا، وأن يغتر بها؛ لأنه مهما عمر فيها سيرحل عنها، وسيترك ما ورائه لغيره.

وكذلك الغريب لا يبني له بيتاً في بلاد الناس، وإنما يحرص كل الحرص على أن يبني له بيتاً في بلده.

ونحن في هذه الحياة الدنيا غرباء، فلا ينبغي لنا أن نشغل بها، وننسى الدار الآخرة التي هي دارنا الحقيقية.

يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤)

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَقَوْمٍ إِنَّمَا هَـذِهِ أَلْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٩) [غافر: ٣٩].

قوله: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَنْكِبِي» المنكب: ما بين الكتف والرقبة. وفعل ذلك النبي ﷺ ليكون أوقع في نصحه، وأبلغ في إيصال الفائدة إليه.

قوله: «كُنْ فِي الدُّنْيَا» أي: في عمرك اليسير الذي ستعيشه في هذه الدنيا. وسميت الدنيا ؛ لدناءتها، فهي دار تفتى ولا تبقى لأهلها وقيل سميت بذلك لقربها.

قوله: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» أي: غير موطنه، فالإنسان في الدنيا غريب؛ لأنها ليست بدار مقام له، وإنما هي دار ممر إلى الدار الحقيقية، الدار الآخرة، دار الحيوان. فمهما عمر الإنسان في الدنيا لا بد له من الموت، والرحيل عنها.

قوله: «أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ» أي: المسافر في الطريق يعبرها إلى غيرها، فعابر السبيل لا يلتفت إلى ما فاته؛ لأنه يعلم أنه سيجد بغيته في أمامه، في البلد التي هو إليها.

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً"، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (١).

وفي مستدرک الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِطُّهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح السنن.



سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢).

قوله: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ» أي: أن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخذ بوصية النبي ﷺ، وعمل بها، وزاد عليها هذه الكلمات.

قوله: «إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ» أي: لعل الموت يأتيك وأنت نائم في ليلك. وكما قيل:

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

قوله: «وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ» أي: لعل الموت، يأتيك وأنت في نهارك. فلا بد أن تستعد له بالأعمال الصالحة، وبما يقربك من رضوان الله عَزَّوَجَلَّ عنك، ويبعدك من عذابه، ومن ناره، وعقابه.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣٤)، ويقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(١٧) ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١٨) ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٩) [الأعراف: ٩٧-٩٩].

قوله: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ» أي: استغل صحتك، ونشاطك، وأيام قوتك، وفراغك، في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وتزود من الأعمال الصالحة بقدر ما تستطيع.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٨٤٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

فَلَعَلَّ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** أَنْ يَيْتَلِيكَ بِمَرَضٍ، أَوْ سَقَمٍ، أَوْ شُغْلٍ، فَلَا تَسْتَطِيعُ بَعْدَ أَنْ تَفْعَلَ
كَمَا كُنْتَ فِي قُوَّتِكَ، وَنَشَاطُكَ، وَصِحَّتِكَ، وَفِرَاغِكَ.

وَمَنْ كَانَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَحَالِ فِرَاغِهِ وَحَالِ شِبَابِهِ وَقُوَّتِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** كَانَ
عَلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ .

فَإِذَا قَدَّرَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** عَلَيْهِ بِمَرَضٍ، أَوْ بِشُغْلٍ، أَوْ كِبَرٍ سَنٍ وَضَعْفٍ؛ فَإِنَّ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**
يَكْتُبُ لَهُ بِفَضْلِهِ، وَكِرْمِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَجُودِهِ، مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ
فِي حَالِ صِحَّتِهِ، وَقُوَّتِهِ وَشِبَابِهِ، وَحَالِ فِرَاغِهِ.

فَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا
صَحِيحًا»^(١).

قَوْلُهُ: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» أَي: وَخِذْ مِنْ حَيَاتِكَ عَمَلًا يَنْفَعُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ.
لَأَنَّ الْمَوْتَ يَقْطَعُ عَلَى الْإِنْسَانِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ
دَعَاءٍ وَلَدٍ صَالِحٍ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ وَمَا فِي بَابِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ.

فَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ
ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ
عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

وَفِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَسْمَى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).



أَحَدُكُمْ أَنْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»^(١).

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، والله المستعان.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٢).

بيان النهي عن التشبه بالكفار والمشركين

١٤٨٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن التشبه بالكافرين، وبالمشركين، ولتحريم ذلك.

وظاهر الحديث أن المتشبه بالكافرين والمشركين لا يخلو حاله عن أمرين:
الأمر الأول: أن يتشبه بهم، وهو يحبهم، ويعظمهم، ويفضلهم على المسلمين، فهذا يعتبر ردة عن دين الإسلام، وكفره هنا كفر أكبر.
الأمر الثاني: أن يتشبه بهم، وهو لا يرى تفضيلهم على المسلمين، ولا يرى الحب والتعظيم لهم، وإنما لرغبة في الملبس.
 فهذا لا يكفر، ولكنه يكون مرتكبًا لكبيرة من الكبائر؛ للوعيد المذكور في الحديث.

فالنبي ﷺ جعل المتشبه بالكفار منهم.
 والحديث ليس على إطلاقه، وإنما يرجع إلى حال المتشبه بهم.
 وكذلك التشبه بهم في عقائدهم الشركية والكفرية فإنه يكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.
 والتشبه بالكفار حرمه الله عَزَّوَجَلَّ.
 قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ﴾

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥١١٤)، وفي سننه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان له مناكير. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (١٢٦٩).



الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم: ٣١-٣٢]..

ويقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. فالأدلة عامة في النهي عن التشبه بهم في كل شيء يخص المشركين، والكافرين، فلا يجوز للمسلم أن يكون منهم، ولا مثلهم، ولا على طريقتهم. لا في عقائدهم الشركية والكفرية، ولا في مآكلهم، ومشاربهم، ولا في ملابسهم، وعاداتهم، ولا في أعيادهم، أو شيء مما يخصهم. بل يجب على المسلم أن يعتز بدينه، وأن يتميز عنهم في كل شيء يستطيع أن يتميز عنهم به.

يقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾.

وقد علم اليهود من حال النبي ﷺ ذلك حتى صرحوا به، ففي حديث أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير، وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله، إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هديئة من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما

فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنَّ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا « أخرجهم مسلم ^(١) .

ونهى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لسد ذرائع التشبه بالكافرين والمشركين؛ فإنها ساعة يقصدها الكفار بالصلاة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه قال: «فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهُ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَقْبَلَ النَّفْيُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ...» ^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا» ^(٣).

وفي رواية أخرى لمسلم: «أُمَّمَّكَ أَمَرْتِكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَعَسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرَقَهُمَا».

قد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب: "الأدلة الرضوية في حكم الديمقراطية".

(١) أخرجهم مسلم (٣٠٢).

(٢) أخرجهم مسلم (٨٣٢).

(٣) أخرجهم مسلم (٢٠٧٧).



إذ أن الناس قد تشبهوا بالكفار في أكل الربا، ولباس البناطيل، وحلق شعورهم، ولحاهم، وفي كثير من الأحكام الشرعية، مثل التحزب، والانتخابات، والديمقراطية، ومساواة المرأة بالرجل، وفي كثير من شؤون حياتهم.

قوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»: المتشبه بالكفار وبالمشركين على أقل الأحوال حاله أنه واقع في كبيرة من كبائر الذنوب .

ما لم يصل به الحال إلى حبهم، وتفضيلهم على المسلمين، وتعظيمهم، والتشبه بهم في عقائدهم الكفرية، وعباداتهم؛ فهنا يكون قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ووقع في الردة، والعياذ بالله **عَزَّوَجَلَّ**.



بيان وجوب مراقبة الله عزَّجَل في السروفي العلن

١٤٨٦ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِجُّهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان وجوب مراقبة الله عزَّجَل في السر، وفي العلن.

وللحديث تنمة ولفظه من سنن الإمام الترمذي: من حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِجُّهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

قوله: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا» أي: رديفا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أردفه على حمار.

وقد أردف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩)، وسنده صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي (٢٥١٦)، والإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصحيح المسند (٦٨٥)، وشيخنا الحجوري في المبادئ المفيدة.



منهم: عبد الله بن عباس وأخوه الفضل وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ**، وغيرهم .
ففيه: تواضع النبي **ﷺ** وركوبه للحمار.
وفيه: جواز الإرداف في الركوب على الحمار، وأن هذا ليس من الظلم في حق الحمار؛ إذا كان لا يشق عليه .

قوله: **فَقَالَ: «يَا غَلامُ!»** : قالها للتنيه، والغلام يطلق على الصغير وما فوق البلوغ أيضاً .

قوله: **" احْفَظِ اللهُ يَحْفَظُكَ "** أي: احفظ دين الله **عَزَّجَلَّ**: بفعل أو امره، واجتناب نواهيهِ، والوقوف عند حدوده.

يحفظك الله عزَّجَلَّ: في منشطك، ومكرهك، وجميع شأنك.

وإلا فإن الله **عَزَّجَلَّ** غني عن طاعة عباده، ولا تضره معصيتهم .

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾
 إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧]..

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي ذرٍّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ**،
 فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،
 وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي
 أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي
 كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا
 ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ
 وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي**

لَوْ أَنَّ أَوْلَٰكُمُ وَآخِرَكُمُ وَإِنْسَكُمُ وَجِنَكُمُ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبٍ رَّجُلٍ وَآحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَٰكُمُ وَآخِرَكُمُ وَإِنْسَكُمُ وَجِنَكُمُ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَآحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَٰلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمُ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ بِآيَاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَٰلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١). قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ".

فإذا حفظت دين الله **عَزَّوَجَلَّ**، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** يحفظك من بين يديك، وخلفك، يحفظك في عقيدتك، وأخلاقك، يحفظك في جميع أعمالك.

قوله: «أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ تُجَاهَكَ» أي: احفظ حدود الله **عَزَّوَجَلَّ**، فالمأمور بفعله وامتناله، واحفظ المحظور بتركه واجتنابه، تجد الله **عَزَّوَجَلَّ** تجاهك، في كل وقت، وحين، يحفظك ويرعاك ويسدّدك ويعينك.

قوله: «وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» أي: لا تجعل قلبك يتعلق بغير الله **عَزَّوَجَلَّ** أبدًا، وإنما علقه بالله **عَزَّوَجَلَّ** في كل شيء تحتاج إليه من أمور الدين، والدنيا، وأمور الآخرة. فلا تسأل أحدًا غير الله **عَزَّوَجَلَّ** مهما يكن هذا الشيء، ولو كان حقيرًا؛ فإن هذا علامة على حسن الظن بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وعلى كمال الإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وكمال التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكمال اليقين بالله **عَزَّوَجَلَّ**.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٦٠).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

ويقول الله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي جري جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يصدُرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: " لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ " قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَتْهُ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَآةٍ - فَضَلَّتْ رَاِحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تُسَبِّنَ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبَتْ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَيْتَ فِإِلَى الْكُعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث سلمان الفارسي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤). وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني

رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٥).

قوله: «وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ» الاستعانة: هي طلب العون. والاستعانة لا تكون إلا بالله **عَزَّوَجَلَّ** فيما لا يقدر عليه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، ومن صرفها لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

بيان جواز الاستعانة بالمخلوق:

وتجوز الاستعانة بالمخلوق إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون فيما يقدر عليه المخلوق.

الثاني: أن يكون المخلوق حيًّا. **الثالث:** أن يكون المخلوق حاضرًا.

فإن كان المستعان به من المخلوقين غائبًا، أو ميتًا، أو عاجزًا، واستعان به أحد الناس في شيء يقدر عليه المخلوق، فهذا يدل على سفه في عقله، وعلى أنه يعتقد فيه أن له تأثيرًا في الكون، فهذا أيضًا من الشرك؛ لأن يعتقد أنه ينفع ويضر مع الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو من دون الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فالذي ينبغي لنا أن نستعين بالله **عَزَّوَجَلَّ**، ونطلب العون منه في جميع شؤون حياتنا: في عبادتنا، وفي معاملاتنا، وفي كل شأننا.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾

أي: نستعين بك يا ربنا على أداء عبادتنا لك.

والباء في البسمة للاستعانة، فأنت تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم".

أي: استعين بالله **عَزَّوَجَلَّ** في البدء فيما أريد أن أفعل، فإن كنت في القراءة، يكون المعنى: استعين بالله **عَزَّوَجَلَّ** في قراءتي، أو في كتابتي، أو في تأليفي، وهكذا.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصِرُوا إِنِّي الْأَرْضَ لِلَّهِ

يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

ويستعان بفعل طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** على كثير من النوائب.



يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥).
 ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ وغيره: من حديث ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوْهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من طريق أبي عبد الرحمن الحُبَلِيِّ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢)، "وَأَوْصِي بِذَلِكَ مُعَاذُ الصُّنَابِحِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ".

وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله على الفتى
 فأول ما يجني عليه اجتهاده



(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥١)، وأبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والترمذي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.

بيان فضل الزهد في الدنيا

١٤٨٧ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١). رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث لبيان فضل الزهد في الدنيا.

قوله: «وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ»: هو سهل بن سعد بن مالك الساعدي، هو وأبوه صحابيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قوله: «قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!» فيه: سؤال أهل العلم، وحرص الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على الخير، ومعرفة طرق محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ».

فيه: إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه: أن الإنسان يحرص على محبة الناس له بالأعمال الصالحة، وفيما لا يسخط الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

وبدون أن يقع في مدهانة لهم على الباطل، وأن يقرهم على الخطأ أو يتنازل عن

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وسنده شبه موضوع، من طريق خالد بن عمرو بن محمد القرشي، كذبه بعضهم، وحسنه غير واحد: "كالنوي، والعراقي، والهيثمي، والألباني". وذكر الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم طرقه: "ورجح أنه ضعيف". وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٩٤٤).

الحق والشرع .

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وَدًّا ﴿٩٦﴾ .

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** مخبراً لنا عن دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ

صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

قوله: "فَقَالَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا»" أي: كن زاهداً عن الدنيا، وملذاتها، وشهواتها، وعن كل شيء يلهيك عن اغتنام العمر في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قوله: «يُحِبُّكَ اللَّهُ»: لأن التعلق بالدنيا سبب من الأسباب التي تبعد الإنسان عن طريق الاستقامة عن شرع الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ولذلك إذا ابتعد الإنسان عن الدنيا، وزهد فيها، أحبه الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ إذ أنه سيكون قريباً من الله **عَزَّوَجَلَّ** بالأعمال الصالحة، والمسارة، والمسابقة، والمبادرة، بالخيرات، وفيما يقربه من الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وفي سنن الإمام ابن ماجه **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: سَمِعْتُ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ لمسلم.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

قوله: «وَأَزْهَدُ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» أي: ازهد عما في أيدي الناس، ولا تنافسهم، ولا تسابقهم في دنياهم، واترك أموالهم، ومناصبهم، وتجاراتهم. فإذا فعلت ذلك أحبك الناس، وعلموا أنك لست من أصحاب الدنيا، وليست همتك في الدنيا، وإنما أنت تريد رضا الله عَزَّجَلَّ، وتريد جنته.

اجعل منافستك في أمور الآخرة، وأعمال الخير التي تقربك من الله عَزَّجَلَّ. فكم من إنسان يكون محببًا، ومقدرًا لك، ويجعلك فوق رأسه؛ فإذا ما سألت ماله، أو حصل منك شيء يدل على أنك تحب الدنيا، فإذا به يتنكر لك. فكل ما كان الإنسان مستغنياً بالله عَزَّجَلَّ عن الخلق، كان محبوباً إلى الله عَزَّجَلَّ، وإلى عباد الله عَزَّجَلَّ الصالحين.

ففي الصحيحين: من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفِفْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢)، وأخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).



وفي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

وإذا حصل المؤمن بشارة بالخير، فهذه عاجل بُشْرَى المؤمن.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).

بيان بعض الذين يحبهم الله **عَزَّوَجَلَّ**

١٤٨٨ - (وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان بعض الذين يحبهم الله **عَزَّوَجَلَّ**.
فمن كان متقياً لله **عَزَّوَجَلَّ** بفعل أوامره، ومجتنباً لنواهيه.
ومن كان غنياً بالله **عَزَّوَجَلَّ**، ومستغني عما سواه من خلقه.
ومن كان خفياً في عبادته، ولا يحب الثناء، ولا المدح، ولا يحب الرياء والسمعة،
فهذا هو المحبوب عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وللحديث قصة ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق عامر بن سعد، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّابِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

قوله: «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: هو سعد بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ» فيه: إثبات صفة المحبة لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية، التي يفعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** متى شاء، وكيف شاء، فهي متعلقة بمشيئته.
وهي صفة تليق بالله **عَزَّوَجَلَّ** من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

تحريف، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يُحِبُّ، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: «العبد» أي العبد المؤمن: سواء كان من الرجال، أو النساء، وسواء كان من الأحرار، أو العبيد.

قوله: «التَّقِيَّ»: الذي جعل بينه وبين عذاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وقاية بفعل أو امر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وباجتناب نواهيهِ.

وحقيقة التقوى: هي فعل المأمور، وترك المحذور.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَعْفَ رُكُوعَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝١٦﴾.

والتقوى: سبب للفلاح في الدنيا، وفي الآخرة، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْأَرِبَانُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْأَرِبَانَ مِنْ أَتَقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَدْبَارِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (١٨٩).

قوله: «الغني» ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١).

قوله: «الخفي»: وهو الذي يخفي أعمال الصالحة عن الناس .

وإن ظهر منها شيء فيكون ذلك بدون قصد منه للمرأة ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ مَلَأَ قَلْبَهُ مَعْلَقًا فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٢).

جاء في الصحيحين: من حديث جندب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (٣).

وفي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكَاهُ» (٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).



وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ
اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ
يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ
بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ
جَزَاءً»^(١).



(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٩٥١).

بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

١٤٨٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ حَسَّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ، تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: "حَسَنٌ").

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. والحديث من مراسيل علي بن الحسين.

📖 قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه (٢٣١٨): وَهَكَذَا رَوَى غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا.

وَهَذَا عِنْدَنَا أَصْحَحُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .
ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ».

لكن الحديث كأنه من مشكاة النبوة، فمعناه صحيح؛ فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والحال كما قال بعضهم:

(من تدخل فيما لا يعنيه، وجد ما لا يرضيه)

وأكثر أسبابه للشر الذي يقع في العالم التدخل فيما لا يعينهم.

وإلا لو لزم كل إنسان ما كلف به من العبادة، ومن الأعمال، ولم يتدخل فيما لا يعنيه، وترك الفضول في العمل والقول، لحصل خير عظيم لا يعلم به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وقال «غريب». وهو حديث ضعيف، الراجح فيه الإرسال من طريق قرة بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وقد خالفه الحفاظ فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن (٣٩٧٦)، وفي الترغيب والترهيب (٢٨٨١).



وقد قيل في هذا الحديث:

عمدة الدين عندنا كلمات
اتق الشبهات وازهد ودع
أربع من كلام خير البرية
ما ليس يعينك واعملن بنية

قوله: «اتق الشبهات»: يراد به حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق .

قوله: «وازهّد»: يراد به حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم معنا.

قوله: «ودع ما ليس يعينك»: يراد به حديث الباب .

قوله: «واعملن بنية»: حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: «إنما

الأعمال بالنيات» .

قوله: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»: فمن ترك ما لا يعنيه، كان إسلامه

حسناً، وكان دينه عظيماً، وإيمانه قوياً، بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

📖 قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٢٨٨): مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ:

أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَافْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ:

شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا

جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسَنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ.. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ

الْمَمْدُوحَ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ

لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسَنَ الْإِسْلَامُ، افْتَضَى تَرْكُ مَا لَا يَعْنِيهِ كُلَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ

وَالْمُسْتَبْهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا

يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمَلَ إِسْلَامُهُ، وَبَلَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ، أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَشْتَغَلَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ كَمَا وَصَّى ﷺ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ. وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: " «الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحْيَاءِ» " . اهـ





بيان النهي عن كثرة الأكل

١٤٩٠ - (وَعَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن كثرة الأكل. وللحديث تنمة كما في سنن الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ».

قوله «المقدم بن معدي كرب» أبو كريمة الكندي الشامي سمع النبي ﷺ رَوَى عَنْهُ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ فِي الْبُيُوعِ قَالَ الذَّهَلِيُّ وَقَالَ ابْنُ بَكِيرٍ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَمَانِينَ سَنَةً إِحْدَى وَسَبْعُونَ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَمَانِينَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَتَسْعِينَ سَنَةً.

قوله: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»: الحديث فيه أن البطن سبب لكثير من الأدواء.

فكلما امتلأ البطن سمن الجسم، وضعف العقل.

وفي المثل العربي: "البطنه تذهب الفطنة".

وكثير من الناس يكثر نومه بسبب ملؤه لبطنه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وزاد: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ». من طريق يحيى بن جابر الطائي عن المقدم، والحديث ضعيف؛ للانقطاع بين يحيى بن جابر الطائي والمقدم. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِرْوَاءِ (١٩٨٣)، وضعفه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَحَادِيثِ مَعْلَةَ ظَاهِرِهَا الصَّحَّةِ (٣٩٥).

قوله: « فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُتْ لِبَطْنِهِ وَتُلُتْ لَشِرَابِهِ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ » أي: أن الإنسان يجعل الأكل بقدر الثلث، والشراب بقدره، ويجعل في البطن متسعاً للنفس، والهواء بقدره؛ حتى لا تتعب المعدة.

وقد قيل: "المعدة بيت الداء".

فكثرة الأكل، وكثرة الشرب؛ متعب جداً للإنسان.

وكذلك يسبب الكسل والخمول والفتور في العبادات، وفي الطاعات؛ فلهذا ينبغي لكل عاقل أن يجعل طعامه وشرابه بقدر، ولا يأكل كثيراً حتى يتسبب له الأكل في التخممة، وفي الأمراض المتعبة.





بيان الحث على التوبة من كل ذنب

١٤٩١ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان أن خير بني آدم التوابون من أخطائهم. حديث الباب فيه ضعف، ومعناه صحيح.

ويشهد له ما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ".

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به. وعلي بن مسعدة ضعيف، وحديثه غير محفوظ كما جزم بذلك ابن عدي في ترجمته من الكامل. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن (٤٢٥١)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩)، وفي المشكاة (٢٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضًا: من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(٢).

قوله: «كُلُّ» كل: من ألفاظ العموم.

إلا من عصمه الله من الذنوب، ومن المعاصي .

قوله: «بَنِي آدَمَ خَطَاءً»: وهذا هو الأصل في بني آدم أنهم يقعون في الأخطاء، والذنوب، والمعاصي، إلا من عصمه الله عَزَّجَلَّ، وسدده، ووقفه.

قوله: «وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» أي: أن التوابين من أفضل بني آدم، وخيرهم .
فلهذا ينبغي لمن وقع في ذنب، أو معصية، أن يبادر إلى التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله عَزَّجَلَّ.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨٢).

فبين الله عَزَّجَلَّ لنا في هذه الآية الكريمة أن مغفرته يشترط له أربعة شروط:

الأول: التوبة النصوح التي يتحقق فيها شروط التوبة المعروفة.

الثاني: الإيمان بالله عَزَّجَلَّ.

الثالث: فعل الصالحات، والإكثار من ذلك؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

كما في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَاقِرِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١١٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

الرابع: سلوك طريق الهداية، وهي طريق الكتاب والسنة.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَلْخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ

يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا

﴿٦٠﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ

يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ

يُنُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١].

فيجب على الإنسان أن يكون مبادرًا إلى التوبة، رجاءً إلى الله **عَزَّجَلَّ**.

بيان شروط التوبة النصوح:

الشرط الأول: الإخلاص لله **عَزَّجَلَّ** في توبته وذلك أن التوبة عبادة لله **عَزَّجَلَّ**،

والعبادة لا تقبل إلا من مخلص.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ ﴿٥﴾.

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ، فَهَجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةً يَتَزَوَّجُهَا، فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(٢).

وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

الشرط الثالث: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

لأن التوبة من الذنب مع الاستمرار فيه، يدل على تهاون العبد بهذا الذنب.

الشرط الرابع: الندم على فعل الذنب.

الشرط الخامس: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

وهذه الشروط في التوبة من الذنوب بين العبد وبين الله عَزَّجَلَّ.

وأما في حقوق الناس فيزداد إلى الشروط شرط سادس.

الشرط السادس: أن يرد المظالم إلى أهلها.

لأن حقوق الناس مبنية على المشاحة، فلا بد من المسامحة والتحلل، وإرجاع

الحقوق والمظالم إلى أهلها.

أما حق الله عَزَّجَلَّ فهو مبني على المسامحة، فمن تاب إلى الله عَزَّجَلَّ تاب الله

(١) أخرجه البخاري (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.



عَزَّجَلَّ عَلَيْهِ .

﴿ بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الانحراف:

وإن كان الذنب بدعة، فيضاف إلى ما سبق شرط سابع:

الشرط السابع وهو: شرط الإصلاح.

الشرط الثامن: التبيين والبيان.

حتى لا يتبعه أحد من المسلمين على ضلال، وبدعته، وزيغه، وانحرافه.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

وَبَيَّنَّا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠]..

﴿ بيان كيفية التوبة من النفاق:

وإن كانت التوبة من النفاق الاعتقادي، الأكبر، المخرج لصاحبه من ملة الإسلام.

فلا بد من إضافة شروط أخرى.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ

إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧]..

﴿ فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي:

الأول: الإصلاح

الثاني: الاعتصام بالله عَزَّجَلَّ ودينه .

الثالث: الإخلاص لدين الله عَزَّجَلَّ .

فإن كانت المعصية شركاً، أو كفراً، أو ردة عن دين الإسلام.
فالتوبة تكون بالإسلام.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ

يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد استوعبت الكلام عن هذه الشروط في كتابي: شروط التوبة إلى الله **عَزَّجَلَّ**، والله
الحمد والمنة .



بيان فضل الصمت

١٤٩٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الصَّمْتُ حَكْمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعْبِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ. وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ^(٢)).

الشرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ فَضْلِ الصَّمْتِ.

وهذا من قول لقمان الحكيم رَحْمَةً لِلَّهِ، والمنقول عنه كثير من الحكم.

ومنها ما قصه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعُظُهُ، يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ^(١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ^(١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^(١٥) يَبْنَى إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ^(١٦) يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(١٧) وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٢٧)، وضعفه الإمام الألباني

رَحْمَةً لِلَّهِ فِي الضَّعِيفَةِ (٢٤٢٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٤١)، والحاكم (٣٥٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٦٧١).

أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [سورة لقمان: ١٢-١٩].

وبعضها مذكورة في سنة النبي ﷺ.

ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(١).

وما يذكر عن لقمان الحكيم رَحِمَهُ اللهُ:

ما أخرجه الإمام ابن شيبه في مصنفه: من طريق حَدَّثَنَا، أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ أَبِي الْأَشْهَبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي، خَالِدُ بْنُ ثَابِتِ الرَّبِيعِيِّ، قَالَ جَعْفَرٌ: وَكَانَ يَفْرَأُ الْكُتُبَ: "أَنَّ لِقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا، وَأَنَّ سَيِّدَهُ قَالَ لَهُ: اذْبَحْ لِي شَاةً، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَقَالَ: ائْتِنِي بِأَطْيَبِهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، قَالَ: فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْ هَذَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَسَكَتَ عَنْهُ مَا سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لِي شَاةً، فَذَبَحَ لَهُ شَاةً قَالَ: أَلْقِ أَحَبَّهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلْقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ: قُلْتُ لَكَ ائْتِنِي بِأَطْيَبِهَا، فَأَتَيْتَنِي بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: أَلْقِ أَحَبَّهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلْقَيْتُ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا وَلَا أَحَبَّ مِنْهُمَا إِذَا خُبْنَا"^(٢).

ومن شأنه أن سورة في القرآن سميت باسمه: "سورة لقمان".

قوله: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ»: الصمت عن كل شر، ومحرم أفضل من النطق بالشر.

ولكن النطق بالخير خير وأفضل من الصمت.

ولكن ينبغي للعاقل أن يعود نفسه الصمت؛ إلا إذا كان سيأمر بالمعروف، أو ينهى

عن المنكر وما في بابه من العالم، أو نفسه.

(١) أخرجه أحمد (٥٦٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢٥٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٤٢٩٤).



والصمت عن النطق بالشر، أو الكذب، والغيبة، والنميمة، غير ذلك من الذنوب والمعاصي، يعتبر نجاة من الإثم .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

فبين النبي ﷺ أن النطق بالخير خير من الصمت عن الخير؛ لأن الإنسان إذا وجب وتعين عليه الأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، وهو قادر على ذلك وصمت عن ذلك أثم.

بينما إذا كان الكلام ليس من الخير، فالصمت يكون في مثل هذه الحالة خير من الكلام.

❦ وإذا لم يتبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟

فهنا نقول له: اصمت؛ حتى يتبين لك أنه خير، فعند ذلك تكلم به، وإلا فلا؛ لما جاء في الحديث.

فلا يجوز للإنسان أن يتحدث، ولا يجوز له أن يتكلم إلا إذا كان كلامه خير، وفي كلامه النفع للغير، وإلا فلا يتكلم.

ولكن الصمت عن الشر نجاة من الإثم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمِتَ نَجَا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب

(٢٨٧٤)، وفي صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة (٥٣٦).

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهَيْعَةَ .
وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُزَيْدٍ " .

ولما أخرج الحاكم في مستدركه **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ
جَبَلٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : " فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ فِيهِ قَالَ: « **الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ** » قَالَ:
وَهَلْ نُوَاخِذُ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَلَسِتُنَا؟ قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ:
« يَا مُعَاذُ تُكَلِّمُكَ أُمَّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ عَلَيَّ
مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقْتَ بِهِ أَلَسْتَهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ
خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا » ^(١) .

قوله: «وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ» أي: أن قليل من الناس الذي يلتزم الصمت عن الشر .

وكما قيل:

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان
وقد فصل أهل العلم في ذلك فقالوا: ما كان من الكلام في طاعة الله **عَزَّجَلَّ**: كالذكر
للله **عَزَّجَلَّ**، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم للناس أمر دينهم، ونحو
ذلك من القربات، فالكلام خير.

ومن كان من الكلام في معصية الله **عَزَّجَلَّ**: فيحرم التكلم به .

وما كان من الكلام المباح: فهو جائز، ولكن الأفضل أن لا يتكلم به، ولا يكثر منه.

والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٧٧٤)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٢)**، وهو في
الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٣٨)**.



باب الرَّهْبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ

[بَابُ الرَّهْبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ]

الشَّرْحُ

جاء الإسلام بالترغيب في فعل الخير، والدلالة عليه، والحث على الأعمال الصالحة، والحث على محاسن الأخلاق.

وجاء بالترهيب من الشر، والضير، والضرر، والتحذير منه، والترهيب من الأعمال، والأخلاق السيئة .

ومن رَهَبَ من الشيء، أبغضه، وخافه، وابتعد عنه.

ومن رغب في الشيء، أحبه، وأمنه، وحرص عليه.

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **وَإِهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ** (١).

وصاحب الخلق السيء بعيداً من الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبعيداً عن سنة النبي ﷺ.

وبعيد عن عباد الله الصالحين المستقيمين على شرع الله **عَزَّوَجَلَّ**، فهم لا يحبونه، ولا يودونه، ولا يرغبون في الجلوس معه.

وقد قيل في الأخلاق:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق:

وليس المراد بحسن الخلق حسن المعاملة للناس بطلاقة الوجه فقط، وإن كان

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

هذا من حسن، فحسن الخلق له مراتب:

المرتبة الأولى: حسن الخلق مع الله **عَزَّوَجَلَّ**: بتوحيده وطاعته، وعدم الشرك به ومعصيته، ويكون بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.
فيكون المعنى كمعنى الإحسان: أن تعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

المرتبة الثانية: حسن الخلق مع المخلوقين: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

وبعض الكفار والمشركين قد يكون لهم من هذه المرتبة بعضها، فهو يتعاملون مع الناس ربما بطلاقة وجه، ويبذلون معروفهم للناس، ولا سيما في الطب، وغير ذلك من المعاملات الدنيوية .

لكنهم في سوء أخلاق مع الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ حيث أنهم كفروا بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وأشركوا به، وكفروا بنبوة نبينا محمد **ﷺ**، فهدمت كل جميل من أخلاقهم .
فتجد أنهم يقعون في الزنا، وأكل الربا، وشرب المسكرات، وغير ذلك من البليات التي هي زائدة على كفرهم، وشركهم .

﴿ بيان بدء دعوة النبي ﷺ للناس: ﴾

وقد كان مبدءاً دعوة النبي **ﷺ**، أنه يأمر بمحاسن الأخلاق: بداية من التوحيد والدخول في دين الإسلام، كقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

ففي صحيح ابن حزيمة **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا».

وعن أَبِي سُفْيَانَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -: أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: - يَعْنِي النَّبِيَّ **ﷺ** - «



يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَاةِ»^(١).

فجمع النبي ﷺ في الأمر: بين محاسن الأخلاق في حق الخالق: وهي الصلاة والزكاة.

وبين محاسن الأخلاق في حق المخلوقين: من العفاف عما في أيديهم من الأموال ونحوها، وصلة الأرحام.

وامتدح النبي ﷺ أشج عبد القيس كما في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلْأَشْجِ أَشْجُ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»^(٢).

﴿ بيان أقسام الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:

ثم إن محاسن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما هو طبعي يجبل الإنسان عليه.

الثاني: ما هو مكتسب.

فربما تجد كثيرًا من الناس عندهم الكرم، والشجاعة، والنخوة، والصدق، والنجدة، وحب التعاون الغير، ونصرة المظلوم والضعيف، وغير ذلك من محاسن الأخلاق، وطبعًا .

وبعض الناس قد يروض نفسه عليها ترويضًا، ويكتسبها من تعلم الكتاب والسنة، أو من مجالسة العلماء، أو الصالحين .

ولهذا جاء في الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم في صحيحه: من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٠)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧).

إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١).

قوله: «فإن الصدق يهدي إلى البر» أي: أن الصدق يرشد، ويدل، ويؤدي إلى البر. والبر: اسم جامع لكل خير.

فهذا دليل على الاكتساب من محاسن الأخلاق.

فإن لم يكن المسلم متخلقًا بهذا الأخلاق العظيمة الحسنة جبلةً، وطبعًا، فلا أقل من أن تتخلق بها اكتسابًا، وتعلمًا؛ لأن ديننا الإسلامي قد حثنا ورغبنا في ذلك أشد ترغيب.

ففي معجم الطبراني الأوسط: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْجِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرُ»^(٢).

فمعنى الحديث: أن الإنسان لا بد له أن يبذل جهدًا في تعلم العلم، والحلم، والفقه في دين الله عَزَّجَلَّ.

وكان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكما أنه رزق أنه أحسن الناس خلقًا. ففي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، والخطيب في "تاريخه" (٩ / ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٣٤٢)، وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨).



خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّغِيرُ» نَعْرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْصَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»^(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»^(٢).

وفي سنن الإمام النسائي رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مُتَرَجِّلًا لَمْ أَرْ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»^(٣).
فما أجمل اتفاق حسن الخلق مع حسن الخلق.

أي يتفق الخلق الظاهر مع الخلق الباطن، فيكون في مثل هذه الحالة على حظ عظيم.

وإن لم تتفق، فإن مكارم الأخلاق تغطي على ما يلحق الخلقة من النقص بعض الشيء، فإن الناس ينظرون إلى أفعال غيرهم، أكثر من النظر إلى المظاهر.

فقد قال رجل بين يدي عمر بن عبد العزيز: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه".
فإذا كان قلبه صالحًا، ولسانه ناطقًا بالخير، دالًّا عليه، مرشدًا إليه، كان هو المرء، وكان هو الرجل الذي يضرب به المثل في نبل الأخلاق.

وإن كان قلبه فاسدًا، ولسانه ناطقًا بالشر، ودالًّا عليه، ومرشدًا إليه، كان هو الفاسد، ولو كان ذو جاه كبير، ومال كثير.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٣) أخرجه النسائي (٥٣١٤)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ وَضْعِيفِ النَّسَائِيِّ.

بيان أنواع مساوئ الأخلاق:

ومساوئ الأخلاق تنقسم إلى أنواع:

الأول: القولية: كالسب، والشتم، واللعن، والغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء بالقول، وشهادة وقول الزور، وكل قول قبيح محرم في الدين، ومخالف لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: الفعلي: كالقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل الربا، والنهبة، والاختلاس، والنصب، والظلم، وكل فعل محرم مخالف للكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثالث: الاعتقادي: كسوء الظن، والحسد، والبغض، والكراهية، وكل اعتقاد محرم مخالف لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

١٤٩٣ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(١)). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ).

١٤٩٤ - (وَلِابْنِ مَاجَةَ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَحْوَهُ^(٢)).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الحسد .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ» أي: احذروا واجتنبوا وابتعدوا من الحسد.

وهذا من المبالغة في التحذير منه؛ لشدة حرمة فهو من كبائر الذنوب .

والحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير، أو بعض وقوع الخير للغير، ولا سيما إذا

كان من المسلمين.

ولم يرخص في الحسد إلا إذا كان من باب التنافس على الخير، أي يحب المؤمن

أن يكون له من الخير مثل ما يكون لغيره من المؤمنين، وهذا يسمى بالغبطة.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، من طريق إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة به. وإبراهيم:

"فيه لين"، وجده: "مجهول لا يعرف". وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ

(١٩٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، بسند ضعيف جداً، في إسناده عيسى بن أبي عيسى الحنطا؛ متروك.

الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»^(٣).

ومما يدل على تحريم الحسد ما في الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٤).

وجاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٥).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).



يُخَذُّهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيَشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُتْبِعُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).

والحسد خلق المنافقين والكفار والمشركين: من اليهود وغيرهم.

يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٠٩).

ويقول: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١٠٥) [البقرة: ١٠٥]، ويقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [النساء: ٥٤].

﴿ بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:

فإبليس عليه لعنة الله عزَّوجلَّ عصى الله عزَّوجلَّ وامتنع من السجود لأبينا آدم عليه السلام.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي.

وفعل ذلك إلا من الحسد والكبر، حسد أبينا آدم عليه السلام وتمرد على الله
عَزَّوَجَلَّ كبراً منه .

يقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ .

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ
أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا
يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٥﴾ .

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ
ءَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ .

وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

﴿٦١﴾ بيان أفضل علاج للحسد:

وأفضل علاج لهذا الداء العضال: "أن الإيمان بالقضاء وبالقدر".

فمن آمن بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره؛ فإنه لا يحسد أحداً .

وقد قال بعضهم في ذا الحسد:

بدأ بصاحبه فقتله

لله در الحسد ما أعدله

وقيل أيضاً:

فإن صبرك قاتله

اصبر على كيد الحسود

إن لم تجد ما تأكله

فالنار تأكل بعضها

قوله: «فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ»: لأن الحسد فيه اعتراض على قدر الله عَزَّوَجَلَّ



وقضائه، والمؤمن مأمور بأن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والهدى،
والصلاح، والدين، والسعادة، وكل أمر حسن وفي الآخرة .

والحسد مبني على سوء الظن بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وبغض المسلمين، وكرهيتهم،
والاعتراض على قضاء الله **عَزَّوَجَلَّ** وقدره.

وإذا استمر الحسد في قلب المسلم فإنه قد يوصله إلى الحقد على المسلمين،
وعلى محبة إيقاع الشر بهم، والضرر، والعياذ بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وهذا من صفات المنافقين،
واليهود، والكفار، والمشركين.

فيولد الحسد في قلب صاحبه مرضاً داخلياً، وكلما رأى نعمة، أو رأى خيراً في
أخيه المسلم، ازداد تألماً على ذلك فوق تألمه الأول.

قوله: «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»: والحديث لم يثبت عن النبي **ﷺ**، كما تقدم ولكن
معناه صحيح، فيخشى على صاحب الحسد من أن تذهب حسناته، ويقع في الكراهية،
وفي البغض المسلمين.

والله أعلم .



بيان ذم الغضب

١٤٩٥ - (وَعَنْهُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان ذم الغضب .

فهذا فيه التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ» أي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

📖 قال النووي في شرحه على مسلم (١٦ / ١٦٢): وَكَذَلِكَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصُّرَعَةَ

الْمَمْدُوحُ الْقَوِيُّ الْفَاضِلُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ بَلْ يَصْرَعُهُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ شَرَعًا بَلْ هُوَ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ فَهَذَا هُوَ الْفَاضِلُ الْمَمْدُوحُ الَّذِي قَلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي فَضِيلَتِهِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ. اهـ

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ

لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»^(٢).

وإنما يكون الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمت الله عَزَّ وَجَلَّ .

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَحَدٌ أَيْسَرُهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦١١٦).



أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»^(١).

وليس المراد النهي عن الغضب من حيث هو؛ فإن الإنسان مهما كان عنده من الدين، والصلاح، وربما طراً عليه الغضب .

ولكن المراد أن يتعد عن نتائج الغضب بقدر ما يستطيع .

فإذا طراً عليه الغضب، ما أوصى به النبي ﷺ من الاستعاذة بالله **عَزَّوَجَلَّ** من

الشیطان الرجیم .

ففي الصحيحين: من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ

النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»،

ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ

بِي جُنُونٌ؟" (٢) .



(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٢)، ومسلم (٢٦١٠) .



بيان تحريم الظلم

١٤٩٦ - (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٤٩٧ - (وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الأحاديث لبيان تحريم الظلم.

قوله: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أحاديث الباب، وغيرها من الأدلة تبين تحريم الظلم، وأنه من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بالظلمات يوم القيامة. وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) وزاد: «حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).



بيان أنواع الظلم:

والظلم على ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم العبد لنفسه.

بارتكاب ما نهى الله **عَزَّجَلَّ** عنه: من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام. أو بترك ما أمر الله **عَزَّجَلَّ** به، فلا يفعله، ولا يمتثله.

الثاني: ظلم العبد لغيره: وهذا أيضًا ينقسم إلى أقسام أخرى:

فقد يكون الظلم بالقول: فقد يكون بالسب، وبالشتيم، وبالغيبة، وبالنميمة، وبالكذب على الناس، وبغير ذلك من الأقوال الظالمة على غيرها. وقد يكون بالفعل: من الضرب، ومن القتل، ومن الزنا، ومن السرقة، ومن غير ذلك من الأفعال التي يكون فيها ظلم للآخرين.

الثالث: الظلم الأكبر، والظلم الأعظم، وهو الشرك والكفر.

وهو ظلم العبد لنفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، أو في الكفر الأكبر، أو في ردة عن الإسلام.

يقول الله **عَزَّجَلَّ** مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وَلِذِ قَال لُقْمَنُ لِأَبْنِهِ - وَهُوَ يَعِظُهُ - يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

فهذا الظلم هو الذي لا يغفره الله **عَزَّجَلَّ** لصاحبه إذا لم يتب منه، ويكون صاحبه خالداً مخلداً في نار جهنم، خارجاً عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال والعرض.

قوله: «وَاتَّقُوا الشُّعَّ» أي: اجتنبوه، وابتعدوا عنه، ولا تتخلقوا به، سواء قليله، أو كثيره.

قوله: «فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وفي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللهُ**: من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشَّحَّ، فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» (١).

فبسبب الشح: حصل الهلاك لمن كان قبلنا، وسيحصل لنا إن فعلنا مثل ما فعلوا، فإن الشح هو الذي حمل الناس على القتل فيما بينهم حرصاً على الدنيا، والمناصب، والأموال، وغير ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «مَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا» (٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أنسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَبَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ» (٣).

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شَحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ» (٤).

بحيث يحمله الشح والجبن عن الامتناع عن إخراج ما أوجب الله عز وجل عليه من: النفقات الواجبة على الأهل والأولاد، ومن ولاة الله أمرهم، بل وإخراج الزكوات الواجبة عليه.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود، وحسنه الإمام الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (١٣٩٢).



بيان خطر الرياء

١٤٩٨ - (وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان خطر الرياء.

الرياء مأخوذ من المرآة، وهو مرض قلبي يؤدي إلى حبوط العمل، فصاحبه شَرَكٌ غير لله عَزَّوَجَلَّ في عمله، وهو على قسمين:

شرك أكبر: وضابطه أن يدخل العمل لا يريد إلا الدنيا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٦) [هود: ١٥-١٦].

وشرك أصغر: وهو أن يدخل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء.

قوله: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري، الأوسي، الأشهلي.

قال البخاري: له صحبة، وروى عن عاصم بن عمر بن قتادة، عنه، قال: أسرع النبي ﷺ يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا، وهذا ظاهره أنه حضر ذلك، ويحتمل أن يكون أرسله.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢).

قوله: «إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَضْعَرُّ: الرِّيَاءُ».

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٦٠): لُغَةً أَنْ يَرَى غَيْرَهُ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَشَرَعًا أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَتْرُكَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ مَلَا حِظَّةٍ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُخْبِرَ بِهَا أَوْ يُحِبُّ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا لِمَقْصِدِ دُنْيَوِيٍّ مِنْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿رِئَاءُونَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] وَقَالَ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [١١٠] [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] - قَوْلُهُ - ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [٦] [الماعون: ٦] وَوَرَدَ فِيهِ مِنْ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الطَّيِّبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ عِقَابِ الْمُرَائِي، فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَابِدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا عَنْهُ بَرِيٌّ وَأَنَا أَعْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الشَّرْكِ» وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ يَكُونُ بِالْبَدَنِ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ التَّحَوُّلِ وَالِإِضْفِرَارِ لِيُوْهِمَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الْاجْتِهَادِ، وَالْحُزْنَ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَخَوْفَ الْآخِرَةِ، وَلِيَدُلَّ بِالنُّحُولِ عَلَى قَلَّةِ الْأَكْلِ، وَبِتَشَعُّثِ الشَّعْرِ وَدَرَنِ الثَّوْبِ يُوْهِمُ أَنَّ هَمَّهُ بِالدِّينِ أَلْهَاهُ عَنِ ذَلِكَ، وَأَنْوَاعٌ هَذَا وَاسِعَةٌ، وَهُوَ مَعْنَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، وَيَكُونُ فِي الْقَوْلِ بِالْوَعْظِ فِي الْمَوَاقِفِ وَيَذْكُرُ حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ لِيَدُلَّ عَلَى عِنَايَتِهِ بِأَخْبَارِ السَّلَفِ وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ وَيَتَأَسَّفُ عَلَى مُقَارَفَةِ النَّاسِ لِلْمَعَاصِيِ وَالتَّأْوُهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِحَضْرَةِ النَّاسِ وَالرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ لَا تَنْحَصِرُ أَبْوَابُهُ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُرَاءَةُ بِالْأَصْحَابِ، وَالْأَتْبَاعِ وَالتَّلَامِيذِ فَيَقَالُ: فَلَانٌ مَتَّبِعٌ قُدْوَةً، وَالرِّيَاءُ بَابٌ وَاسِعٌ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَبَعْضُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضِ لِاخْتِلَافِهِ بِاخْتِلَافِ أَرْكَانِهِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: الْمُرَاءَى بِهِ، وَالْمُرَاءَى لِأَجَلِهِ، وَنَفْسُ قَصْدِ الرِّيَاءِ، فَكَقْصِدِ الرِّيَاءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا عَنْ قَصْدِ الثَّوَابِ أَوْ مَصْحُوبًا بِإِرَادَتِهِ،

وَالْمَصْحُوبُ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ لَا يَخْلُو عَنْ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَرْجَحَ أَوْ أضعَفَ أَوْ مُسَاوِيَةً فَكَانَتْ أَرْبَعَ صُورٍ الْأُولَى أَنْ لَا يَكُونَ قَصْدَ الثَّوَابِ بَلْ فَعَلَ الصَّلَاةَ مَثَلًا لِيَرَاهُ غَيْرُهُ، وَإِذَا انْفَرَدَ لَا يَفْعَلُهَا، وَأَخْرَجَ الصَّدَقَةَ لِنَلَا يُقَالُ إِنَّهُ بَخِيلٌ، وَهَذَا أَغْلَظُ أَنْوَاعِ الرِّيَاءِ وَأَحْبَثُهَا، وَهُوَ عِبَادَةٌ لِلْعِبَادِ، الثَّانِيَةُ: قَصْدَ الثَّوَابِ لَكِنْ قَصْدًا ضَعِيفًا بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مَرَاءَةَ الْعِبَادِ وَلَكِنَّهُ قَصْدَ الثَّوَابِ فَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ، الثَّلَاثَةُ: تَسَاوِي الْقَصْدَيْنِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مَجْمُوعُهُمَا وَلَوْ خَلَى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَمْ يَفْعَلْهُ فَهَذَا تَسَاوِي صَلَاحِ قَصْدِهِ وَفَسَادِهِ، فَلَعَلَّهُ يُخْرِجُ رَأْسًا بِرَأْسٍ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ أَطْلَاعُ النَّاسِ مُرَجِّحًا أَوْ مُقَوِّيًا لِنَشَاطِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَمَا تَرَكَ الْعِبَادَةَ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَالَّذِي نَظَّنُّهُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَحْبُطُ أَصْلُ الثَّوَابِ وَلَكِنَّهُ يَنْقُصُ وَيَعَاقِبُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الرِّيَاءِ، وَيَثَابُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الثَّوَابِ وَحَدِيثٌ: «أَنَا **أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الشَّرِكِ**» مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا تَسَاوَى الْقَصْدَانِ أَوْ أَنَّ قَصْدَ الرِّيَاءِ أَرْجَحُ. وَأَمَّا الْمُرَاءَى بِهِ، وَهُوَ الطَّاعَاتُ فَيُقَسَّمُ إِلَى الرِّيَاءِ بِأَصُولِ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَى الرِّيَاءِ بِأَوْصَافِهَا، وَهُوَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: الرِّيَاءُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ إِظْهَارُ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَبَاطِنُهُ مُكَدِّبٌ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا، وَفِي هَؤُلَاءِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] **الآية. اهـ**

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرِكُهُ**» (١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث معقل بن يسار - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال:

"انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: "يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى من ديب النمل". فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من ديب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قُلتَهُ ذهبَ عنكَ قَلِيلُهُ وكَثِيرُهُ؟". قال: «قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(١).

﴿ بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله عزَّجَلَّ لصاحبه؟

تخوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته الشرك الأصغر، دليل على خطره على صاحبه. وسواء كان الشرك صغيرًا أو كبيرًا، فإن الله عزَّجَلَّ لا يغفره لصاحبه؛ حتى يتوب منه يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤٨).

كما بينت ذلك في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٧١٦/٥٥٤).



بيان علامات النفاق العملي الأصغر

١٤٩٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّيَمَنَ خَانَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٥٠٠ - (وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢)).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان علامات النفاق العملي، وهو النفاق الأصغر.

قوله: «آيَةُ» أي: علامة.

قوله: «الْمُنَافِقِ»: هو من يظهر الإيمان ويطن الكفر، وهو اصطلاح إسلامي، وكان ظهورهم بعد غزوة بدر الكبرى .

ثلاث: وليس على سبيل الحصر، ولكنها أشهر وأوضح علامات المنافقين .

بيان أقسام النفاق:

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: نفاق اعتقادي، ويسمى بالنفاق الأكبر.

وهو الذي يكون صاحبه كافرًا، كحال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في زمن النبي ﷺ.

وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر والشرك بالله عزَّجَلَّ.

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

ويظهر صاحبه الإسلام حتى يعصم دمه وماله وعرضه، ويكون في الظاهر أنه منهم ليتسنى له الطعن في دين الله **عَزَّوَجَلَّ**.
مع أنه في حقيقة الحال ما يزال في كفره، وشركه؛ تجد أنه محبباً للكفر، ومؤثراً له على الإسلام.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾.

الثاني: النفاق العملي، ويسمى بالنفاق الأصغر.

وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، ولكنه واقعاً في كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام الآثام.

والمراد منه: التخلق بأخلاق المنافقين، وفعل أفعالهم المشهورة عنهم.

ولا يراد من قولنا لشخص أنه منافق: أنه قد وقع في النفاق الأكبر، والنفاق الاعتقادي، إلا مع القرينة على أنه قد وقع في ردة عن الإسلام، أو في ناقض من نواقضه المعلومة.

قوله: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»: والكذب من أشهر علامات النفاق العملي.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤﴾.

إذ أن الكذب صفة ذميمة، لا تليق بالمسلم أبداً حتى أن العرب في جاهليتهم وقبل إسلامهم كانوا يتورعون عن الكذب؛ في حقهم، فقد يعيرون به.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَخْبَرَهُ: "أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَاتَوَّهُ وَهُمْ بِبَيْلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَتْرُجْمَانِهِ، فَقَالَ:



أَيْكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذَّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ...»^(١).

فأبو سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان مشرکاً ومع ذلك تورع عن الكذب؛ حتى لا يعير به .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).

قوله: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»: ومن صفاتهم خلف الوعد، حيث يعد على نية الخلف.

أما إذا وعد ونيته الوفاء، ثم قدر الله عزَّجَلَّ عليه بشيء حال بينه، وبين وعده؛ فلا شيء عليه .

ففي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

٤٥) وصف الله عَزَّجَلَّ بأنه: لا يخلف الميعاد.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٩﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نُنْجِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝١١٤﴾.

فلا يخلف وعده، ولا ينقض عهده.

وكان النبي ﷺ يفي بالوعد.

قوله: «وَإِذَا اتَّيَمَّنَ خَانَ» أي: ومن علاماتهم الخيانة ويشمل كل الأمانات الحسية:
من حفظ الودائع، وغيرها.

والأمانات المعنوية: من تبليغ دين الله **عَزَّجَلَّ**، وتربية الأولاد، وغير ذلك.

فدين الله **عَزَّجَلَّ**، وتبليغه أمانة على من آتاه الله **عَزَّجَلَّ** العلم، والنصح لولاية أمور المسلمين عند القدرة عليه أمانة، وكذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أمانة، إلى غير ذلك.

فالخيانة صفة ذميمة من صفات المنافقين، فلا تليق بمسلم.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾.

قوله: «وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»: الخصام قد يقع بين الناس، ولكن الفجور في الخصومة من علامات المنافقين، وصفاتهم.

فقد يتخاصم الرجل مع زوجته، والجار مع جاره، والصاحب مع صاحبه، والرجل مع ولده، لكن المذموم من ذلك أن يفجر في خصومته، يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]..

وفي الصحيحين أيضاً: من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدَ الْخِصْمُ»^(١).

وتقوم الساعة على أهل الخصومات .

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩-٥٠]..

أي: يتجادلون بالباطل.

فإن قُدِّرَ عليك أن تضع الخصومة مع أحد من المسلمين، فلا يتجاوز ذلك إلى الفجور فيها الانتصار للنفس ولو بالظلم، والتعدي، والكذب.

ولفظ الحديث في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».



(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

بيان تحريم سباب المسلم

١٥٠١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم سباب المسلم .

ومن باب أولى تحريم قتله؛ لأنه من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

فحديث الباب يدل على تحريم سباب المسلم، وشمته .

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ

وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ

الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ

ﷺ: «إِنَّهُمُ الْمُسْتَبِينَ مَا قَالَا عَلَى الْبَادِي، حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ " أَوْ " إِلَّا أَنْ يَعْتَدِيَ

الْمَظْلُومُ»^(٢).

قوله: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» أي: أن شتم المسلم فسوق، والفسوق: هو الخروج

من الطاعة إلى المعصية.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٥٥).



٤٥ بيان أقسام الفسق:

والفسق ينقسم إلى قسمين:

الأول: فسق أكبر.

وهو الخروج من توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى الكفر والشرك، وهذا فسق أهل الكفر، والشرك، والإلحاد.

الثاني: فسق أصغر.

وهو فسق عصاة المسلمين، ويكون ذلك بفعل الكبائر .
فسباب المسلم من الفسق المحرم، ويجب على صاحبه أن يتحلل ممن سبه
وشتمه، وأن يتوب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** من ذلك.

قوله: «وَقَاتِلُهُ كُفْرًا» أي: كفر دون كفر، وليس بالمخرج من الملة.

لكنه أيضًا من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله **عَزَّوَجَلَّ**.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: " الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «شَهَادَةُ الزُّورِ»^(١).

٤٦ بيان سبب تسمية القتل كفرًا:

وسمي القتل كفرًا؛ لأنه من أفعال الكفار.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي بَكْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: " حَظَبْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرَبِّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث جرير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٢).

قد ساق الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حديث ابن مسعود في صحيحه للرد على المرجئة، والخوارج.

إذ أن الخوارج يكفرون المسلمين بمطلق الكبيرة.

وقد سمى الله عَزَّوَجَلَّ المتقاتلين بأنهم مؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠]..

وفيه رد على المرجئة: الذي يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وأنه لا ينقص من

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).



المعاصي.

وفي صحيح الإمام مسلم: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ، قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

ويكون قتاله كفر أكبر: إذا استحل قتله، فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام؛ لاستحلاله ما حرم الله عز وجل، والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

١٥٠٢ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَإِنَّا كُنَّا نَكْذِبُ الْحَدِيثَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين.
ولفظ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

وحديث الباب يدل على نهي النبي ﷺ عن إساءة الظن بالمسلمين، والنهي للتحريم؛ إذ يتولد من إساءة الظن العديد من المحرمات.
فمنها: الظلم، والبغي، والبغض، والتجسس، والتحسس، والكراهية، والحسد، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المحرمات التي يعتبر كل مرض منها من الكبائر بذاته، فنسأل الله عَزَّجَلَّ العافية .

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِتَّمُّوْا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

فلو تأملنا كثرة البلايا الواقعة في الأمة الإسلامية لوجدنا أن أكثرها بسبب إساءة الظن بالمسلمين .

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦).



ويقع ذلك بين الأزواج، والآباء وأبنائهم، والجيران، والأقرباء، والنساء، والأخوة، و البعيد والقريب.

إذ أن الظن السيء يجر إلى كل بلية.

﴿ بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله عزَّجَلَّ: ﴾

وأسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله عزَّجَلَّ لما يأتي إن شاء الله .

والواجب إحسان المؤمن ظنه بربه، لما جاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ، قَالَ: « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ سَرًّا فَلَهُ»^(٣).

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضًا: من طريق حَيَّانِ أَبِي النَّضْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَائِلَةَ بِنْتِ الْأَسْقَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ،

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٧٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٦٦٣).

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَائِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجَّهَ لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسَأَلْتُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيَّ حَسَنٍ قَالَ وَائِلَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»^(١).

فمن ظن بالله **عَزَّجَلَّ** الخير ناله بإذن الله **عَزَّجَلَّ**؛ لأنه خير الرزاقين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين. ومن ظن بالله **عَزَّجَلَّ** السوء، ناله السوء والشر بسبب ظنه السيء؛ لأنه وقع في كبيرة من الكبائر.

وظن السوء بالله **عَزَّجَلَّ** هو من صفات المشركين والمنافقين، كما أخبرنا الله **عَزَّجَلَّ** عنهم فقال: ﴿وَعَذَابُ الْمُتَنَفِقِينَ وَالْمُتَنَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٦).

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١٥٤).

(١) أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٩٧).



فينبغي أن يكون الله **عَزَّوَجَلَّ** عند حسن ظن كل مسلم، فمن أحسن الظن بالله **عَزَّوَجَلَّ** جازاه الله **عَزَّوَجَلَّ** على حسن ظنه .

فإن التعبد لله **عَزَّوَجَلَّ** بمعاني أسمائه وصفاته، من الأمور المطلوبة من كل مسلم .
قوله: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ » أي: احذروا من الظن فيما بينكم يا معشر المسلمين، واحذروا كل الحذر أن يسوء ظنكم بالله **عَزَّوَجَلَّ** .

قوله: « فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » .

📖 **قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٨٢):** قد استشكلت تَسْمِيَةَ الظَّنِّ حَدِيثًا وَأَجِيبُ بِأَنَّ الْمُرَادَ عَدَمَ مُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ سِوَاءَ كَانَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا يَنْشَأُ عَنِ الظَّنِّ فَوُصِفَ الظَّنُّ بِهِ مَجَازًا . اهـ

فعلى كل مسلم أن يحسن ظنه بالمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ حتى يدفع عن نفسه الشر العظيم الذي لا يعلم به إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** .

وعليه أن يعامل أخاه بما ظهر منه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: " إِنَّ أَنَا سَا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخِذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ" أخرجَه البخاري، والله أعلم .



بيان تحريم غش المسلمين

١٥٠٣ - (وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ تَحْرِيمِ غَشِّ الْمُسْلِمِينَ.

ولفظ الحديث عند الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِهِ: مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

والأدلة في تحريم الغش كثيرة منها ما في مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

وفي لفظ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٤).

فالغش محرم، سواء كان في البيع، والشراء، والنكاح، والخطبة، والتربية للأولاد،

(١) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٢).



والحكم بين الناس، والقضاء، والولاية، وغير ذلك .

وأسوأ الغش غش الرعية، سواء كان ذلك في الولاية الخاصة، أو العامة.

فالولاية الخاصة: كالعالم والشيخ مع طلابه وتلامذته، والأب مع أولاده وأهله، ومن ولاه الله **عَزَّجَلَّ** أمرهم، ونحو ذلك.

والولاية العامة: هي ولاية المسلمين، كالإمام وخليفة المسلمين مع سائر رعيته فلا بد من النصح للرعية في سلوك السبيل الصحيح .

قوله: «مَا مِنْ عَبْدٍ» أي: عبد من عباد الله **عَزَّجَلَّ**: سواء كان من الرجال، أو من النساء.

قوله: «يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً»: عامة سواء كانوا من الرجال، أو من النساء، أو من الكبار، أو الصغار، وسواء كانوا قليلاً، أم كثيراً.

قوله: «يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ» أي: أنه يلزم الغش من غير توبة، فلعله يبعث على خيانتة .

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **ﷺ**، يَقُولُ: **«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»**^(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضًا: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، يَقُولُ: **«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»**^(٢).

قوله: «وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ» أي: مات على هذا الفعل القبيح، وهو غاش لرعيته؛ لم ينصح لهم، ولم يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، ولم يحذرهم من الشر

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٩).

والضرر، ولم يعلمهم الكتاب والسنة .

بل تركهم كالبهائم، لا يعرفون ما أمرهم الله **عَزَّجَلَّ** به، ولا ما نهاهم الله **عَزَّجَلَّ** عنه.
فالذي يجب علينا جميعاً: رجالاً ونساءً أن نتعلم دين الله **عَزَّجَلَّ**، وأن نعمل بما تعلمنا، ونسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يعلمنا .

ونحرص كل الحرص على تعلم الكتاب والسنة بقدر ما نستطيع، فالمعرض عن العلم لا يتعلم، كيف سيصله وهو معرض عنه.

قوله: «إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»: وهذا يحمل على الدخول الأولي للجنة؛ لأن أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله **عَزَّجَلَّ**؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. أو يحمل على الوعيد، وعلى الجزاء إن جازاه الله **عَزَّجَلَّ** على فعله هذا.

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام البخاري: من حديث ابنِ عمرَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حَكِيمٍ إِلَى ابْنِ شَهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الْقُرَى: هَلْ تَرَى أَنْ أُجْمَعَ وَرُزَيْقُ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَيْلَةٍ - فَكَتَبَ ابْنُ شَهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَا مَرْءُ أَنْ يُجْمَعَ، يُخْبِرُهُ أَنْ سَأَلِمَا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).



بيان وجوب الرفق بالرعية

١٥٠٤ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان وجوب الرفق بالرعية.

وفيه قصة: ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لِيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّْا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

فحديث الباب يدل على وجوب الرفق بالرعية، حيث أن النبي ﷺ دعا على من يشق عليهم بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يشق عليه، وهذا قد يشمل المشقة في الدنيا، والآخرة.

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنْ اللَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: " قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(١)

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»^(١). وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَةً، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَةٌ» أخرجہ مسلم .

قوله: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا»: سواء كان هذا الشيء قليلاً، أم كثيراً، صغيراً، أم كبيراً، وسواء كانت الولاية عامة، أم الخاصة. فعلى كل مسلم أن يتقى الله في نفسه، وأن يراقب الله عزَّ وجلَّ في جميع شأنه. والمراد بالأمة: أمة الإجابة.

شيئاً: نكرة في سياق الإثبات، فتفيد العموم كما تقدم.

قوله: «فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ» أي: أن الجزء من جنس العمل، فمن شق على المسلمين في ولايته عليهم شاق الله عليه في الدنيا، وفي الآخرة. ومن رفق بالمسلمين رفق به في الدنيا، وفي الآخرة، والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).



بيان تحريم الضرب في الوجه

١٥٠٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الضرب في الوجه.

حديث الباب يدل على تحريم ضرب الوجه عند المقاتلة .

٤٥) وقد نهى النبي ﷺ عن الوسم في الوجه.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ»^(٢).
فإن أكرم ما في الإنسان وجهه.

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٧٠).

ونهى النبي ﷺ وضرب الوجه حتى مع زوجته.

لما جاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٦).

الْبَيْتِ»^(١)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: فَبَحَّكَ اللَّهُ "

فلا يجوز ضرب الوجه بحال، حتى في حال القتال مع الكفار والمشركين.

لأن النبي ﷺ نهى عن المثلة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث بُرَيْدَةَ بن الحصيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:

"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»^(٢).

وتتمة الحديث: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»**، وقد اختلف العلماء في معنى

الحديث فقال بعضهم الضمير يعود إلى آدم عليه السلام، وقال بعضهم الضمير يعود

إلى الله عَزَّوَجَلَّ .

وأي كان فإن الصورة ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بوجهه، من هذا الحديث أو

غيره.



(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود: حسن

صحيح. وحسنه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (١١١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١).



التحذير من الغضب

١٥٠٦ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي .
فَقَالَ: «لَا تَغْضَبُ» ، فَرَدَّدَ مِرَارًا . قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»^(١) . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا»: جارية بن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ف عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده: من طريق الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: جَارِيَةُ بِنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي لَعَلِّي أَعِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَغْضَبُ " ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: " لَا تَغْضَبُ " ^(٢).

قوله: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

فيه: استحباب طلب الوصية من العالم، والفاضل، والأب، وأهل الشأن.

قوله: "فَقَالَ: «لَا تَغْضَبُ»": وهذه الوصية من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ.

فقد جمع في هذه الوصية القليلة الكلمات معاني الدين كله.

لأن الغضب يجر على صاحبه الوقوع في كثير من المعاصي، والكبائر، والذنوب، والخطايا، والسيئات.

فقد يقتل، وقد يظلم، وقد يطلق زوجته، وقد يعتدي، وقد يسب، وقد يشتم، وقد يغتاب، وقد ينم، وقد يحسد، وقد يغل، وقد يبغض، وقد يكره، وقد يسيء الظن، وقد

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٥٧).

يفعل المنكرات، وكل هذا بسبب الغضب.

قوله: «فَرَدَّدَ مِرَارًا» أي: أن النبي ﷺ كرر قوله لا تغضب؛ لما في هذه الوصية من النفع في الدنيا، والآخرة.

قوله: "قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»".

أخرج الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَسْنَدِهِ: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: "لَا تَغْضَبُ" (١).
قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: "فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ".



(١) أخرجه أحمد (٢٣١٧٢).



بيان تحريم التخوض في مال الله عَزَّوَجَلَّ بغير حق

١٥٠٧ - (وَعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ^(١) فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان تحريم التخوض في مال الله عَزَّوَجَلَّ بغير

حق.

التخوض في مال الله عَزَّوَجَلَّ بغير حق له طرق:

الأولى: أن يصرف في الحرام. **الثانية:** أن يؤخذ ويكتسب من الحرام.

الثالثة: أن يقع في صرفه ولو في الحلال والمباح المجاوزة والإسراف والتبذير.

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ

ﷺ، قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٣).

والمال شأنه عظيم حتى أن المرء في القيامة يُسأل عنه في حالين:

الحال الأول: من أين اكتسبه، أمن حلال، أم من حرام.

الحال الثاني: وفيما أنفق، أفي الحلال، أم في الحرام.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ:

١ () أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

٢ (٢) أخرجه البخاري (٣١١٨).

٣ (٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٣).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عِبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

والمال أيضًا له أحكامه، ويدخل فيه كل ما يتمول، سواء كان من التقدين: الذهب، أو الفضة، أو كان من غيرهما.

قوله: «إِنَّ رِجَالًا»: خرج مخرج الغالب، وإلا فالحكم يشمل الرجال والنساء.

قوله: «يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ»: والتخوض في مال الله **عَزَّجَلَّ** يكون بعدة أشياء:

الأول: في جمعه من غير حله .

الثاني: في صرف، ونفقته في غير حله .

الثالث: منع الزكاة الواجبة منه .

الرابع: منع النفقة الواجبة فيه على الزوجة، والأولاد، والأبوين إن كانا فقراء

محتاجين .

الخامس: البخل في إخراج الصدقة المستحبة منه: للفقراء، وللمساكين، واليتامى،

والأرامل، وغيرهم من المحتاجين.

السابع: أن يستخدم المال في أذية المسلمين بالرشوة، وغير ذلك.

قوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ»: خرج بذلك لو كان التخوض فيه بحق.

ما إذا أنفق المال في أوجه الخير، واكتسبه من الحلال .

ومن كان هذا هو حاله فإن الله **عَزَّجَلَّ** قد أثنى عليه في آيات كثيرات.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ يُغْفِرُ لَهُمْ سِتْرًا لِيُنْفِذَ فِيهِمْ آيَاتِهِ لِيُذَمِّرَ فِيهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [البقرة: ١-٣].

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح وضعيف الترمذي.



ويقول الله **عَزَّجَلَّ** : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾] آل عمران: ١٣٣-١٣٤. .

قوله: «**فَالَهُمْ**» أي: جزاء صنيعهم وتخوضهم في مال الله **عَزَّجَلَّ** بغير حق.

قوله: «**النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»: قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿التوبة: ٣٤-٣٥﴾ .



بيان تحريم الظلم

١٥٠٨ - (وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّرْح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الظلم .

وقد تقدم معنا في أحاديث سابقة أن الظلم من الكبائر؛ لما جاء فيه من الوعيد، وأنه يكون على أصحابه يوم القيامة ظلمات.

قوله: «وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو جندب بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ -»: أي: أن هذا الحديث هو حديث قدسي.

قوله: «يَا عِبَادِي»: إضافة ملك وخلق وقهر .

قوله: «إِنِّي حَرَّمْتُ»: أي: منعت .

قوله: «الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»: وتحريم الظلم على نفسه يدل على عدله، وعلى كرمه، وإحسانه، وجوده، وتفضله على عباده.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، وهو طرف من حديث طويل.



ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿٤٤﴾

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ

ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

﴿ بيان معنى الظلم: ﴾

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

والله **عَزَّوَجَلَّ** الملك ملكه، والخلق خلقه، وكلهم وتحت تصرفه وتدييره، وأفعاله

على مقتضى حكمته عمله.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق عن ابن الدَيْلَمِيِّ، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي

شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ:

أَبَا الْمُنْدَرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي،

فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَدَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ

وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ

أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ تَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا

قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ

يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مَتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ

الله بن مسعود، فَسَأَلَهُ، فَاتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبِي وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُدَيْفَةَ، فَاتَيْتُ حُدَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: إِنَّتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلَهُ، فَاتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»^(١).

﴿ بيان هل يجوز لله عَزَّجَلَّ أَنْ يعذب بغير ذنب؟ ﴾

ذهب أهل البدع من الجبرية وغيرهم، إلى أن الله عَزَّجَلَّ يجوز له أن يعذب بغير ذنب، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بمثل الحديث المذكور .

حتى قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجاز للمولى يعذب الورى
من غير ما ذنب ولا جرم جرى
فكل ما منه تعالى يجمل
لأنه عن فعله لا يسأل
فإن يثب فإنه من فضله
وإن يعذب فبمحض عدله
والحديث وما كان في بابه، معناه لو أن الله أخذ العباد، وجعل أعمالهم مقابلة
لنعمه، ومقاصة لها؛ لكانت نعم الله عَزَّجَلَّ أكثر.

ولكن الله عَزَّجَلَّ يكرم عباده، ويعفو، ويتجاوز عنهم؛ بكرمه، وجوده، وإحسانه،

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٧)، وأبو داود (٤٦٩)، ولكن بلفظ أخصر منه. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٥٠).

وفضله العظيم.

قوله: «وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» أي: في جميع الأديان، والملل.

فهو مما اتفقت على تحريمه الشرائع .

ففي المعجم الأوسط للإمام الطبراني رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، تَلَقَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَجَلَ إِعْظَامًا مِنْهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا حَبِيبِي، أَنْتَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِخُلُقِي وَخُلُقِي، وَخُلِقْتَ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقْتُ مِنْهَا، يَا حَبِيبِي، حَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ عَجَائِبِ أَرْضِ الْحَبَشَةِ» قَالَ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فِي بَعْضِ طُرُقِهَا، إِذَا أَنَا بَعَجُوزٍ عَلَى رَأْسِهَا مِكَتَلٌ، وَأَقْبَلَ شَابٌّ يَرُكُضُ عَلَيَّ فَرَسٍ لَهُ، فَزَحَمَهَا، وَأَلْقَى الْمِكَتَلَ عَنْ رَأْسِهَا، فَاسْتَوَتْ قَائِمَةً، وَأَتْبَعْتُهُ الْبَصَرَ، وَهِيَ تَقُولُ: الْوَيْلُ لَكَ غَدًا إِذَا جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَيَّ كُرْسِيِّهِ، فَاقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. قَالَ جَابِرٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: فَنَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَّى اللهُ ﷺ وَإِنَّ دُمُوعَهُ لَتَنْحَدِرُ عَلَيَّ عَيْنَيْهِ مِثْلَ الْجِمَارِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا قَدَسَ اللهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ الْمَظْلُومُ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ، غَيْرَ مُتَعَتِعٍ»^(١).

﴿ بيان أن دعوة المظلوم مستجابة: ﴾

دعوة المظلوم مستجابة، فليس بينها وبين الله عَرَوَجَلٌ حجاب.

لما جاء في الصحيحين: من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٥٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ

بِذَلِكَ، فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَآتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

وفي السنن: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطَرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُنْفَعُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٣).

وفي المعجم الكبير للإمام الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث خزيمة بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٤).

قوله: «فَلَا تَظَالَّمُوا»: وهذا نهى من الله عَزَّ وَجَلَّ، والنهي يقتضي التحريم، وهذا لفظ عام سواء كانت المظالم في الأموال أو الدماء أو غيرها.

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٥٨)، وأخرجه الترمذي (٣٥٩٨). وصحح الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الشطر الأول منه في صحيح وضعيف السنن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧١٨ / ٨٤ / ٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي الصحيحة (٨٧٠).



٤٥) والمظالم إن لم تؤدَّ إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٢).

و تتمه حديث الباب: «يَا عِبَادِي إِنَّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

سَيِّئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ
الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا،
فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١).

قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى
رُكْبَتَيْهِ".

وهذا من أشرف الأحاديث التي رواها أهل الشام.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).



بيان تحريم الغيبة

١٥٠٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان تحريم الغيبة.

وحديث الباب يدل على تحريم الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

فجعل الله عَزَّوَجَلَّ المغتاب كالأكل من لحم الرجل الميت، وهذا مما يدل على حرمتها، والتحذير الشديد منها، وبشاعتها.

وقد سبق معنا في حديث المفلس كيف تؤخذ حسنات من يغتتاب المسلمين يوم القيامة، ثم يطرح عليه من سيئاتهم والعياذ بالله عَزَّوَجَلَّ. وهي تعتبر من ظلم الأعراس.

وهي من الكبائر؛ للوعيد الذي جاء فيها؛ فإنها من أسباب عذاب القبر.

وجاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَحْمُسُونَ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَتَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١).

وفي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللهُ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنُهُ اللهُ رَدَّغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٢).

٤٥ بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(١٢).

وأما من السنة: فالأحاديث السابقة، وحديث الباب الذي في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أَحْبَبْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣).

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على تحريم الغيبة إذا كانت لغير مصلحة

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف أبي داود، وفي الصحيحة (٥٣٣). وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف أبي داود رَحِمَهُ اللهُ، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٧٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٥٩٤).



شرعية.

فينبغي للإنسان أن يتحرز من هذه البلية العظيمة التي قل ما يسلم منها المؤمن.

قوله: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» أي: الغيبة المحرمة الممنوعة التي تحاسبون عليها عند

الله **عَزَّوَجَلَّ** يوم القيامة.

قوله: «قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»: وهكذا كان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في حال حياة النبي

ﷺ يردون العلم إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وإلى رسوله **ﷺ**؛ لأنه هو المبلغ عن الله **عَزَّوَجَلَّ**،

ولكن في الأمور الشرعية فقط.

أما في الأمور الغيبية، فلا يقال إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** أعلم.

أما بعد موت النبي **ﷺ** فيقال الله أعلم، وهذا هو المعروف عن السلف الصالح

رضوان الله عليهم، سواء كان ذلك في الأمور الغيبية، أم في الأمور الشرعية.

وبعض أهل العلم يجيز أن يقال الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية حتى بعد

موت النبي **ﷺ**.

لكن لم ينقل عن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أن أحداً منهم قال ذلك بعد موت النبي **ﷺ**.

قوله: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»: وهذا ضابط الغيبة المحرمة.

كأن يقال فيه: بخيل، أو قصير، أو يمشى كمشيته إذا كان أعرج وهو يكره ذلك، أو

يوصف بشيء هو يكرهه، أو غير ذلك مما يكون فيه ذم للمسلم.

قوله: «قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟» أي: إذا قيل في المسلم ما هو فيه،

كأن يقال فيه: هو قصير، أو فلانة قصيرة، وهما فيهما القصر فعلاً، أو يقال فلانة غير

جميلة، أو يقال فيه عور، أو فيها عيب في الخلقة، وهكذا.

قوله: «قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ»: فبين النبي **ﷺ** للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**

أنه إن كان فيه ما يقال فيه، وهو حق، وصدق، ولكنه يكره أن يقال فيه ذلك، أو يوصف بذلك، فهذه هي الغيبة.

قوله: «وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ»: وبين النبي ﷺ أن الغيبة إذا لم تكن بحق، وصدق، وكان فيها الكذب، والمبالغة، وغير الحق، فهي من البهت .
لأنه جمع بين الغيبة والكذب .

فمن تكلم في أخيه بغير حق، يكون قد جمع بين كبيرتين كبيرة الغيبة، وكبيرة الكذب والبهتان .

يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ .

﴿ بيان حكم النميمة:﴾

والنميمة محرمة في الشرع، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام الآثام وهي أخت الغيبة.

ولكن النميمة: هي القالة بين الناس.

أي نقل الكلام من شخص إلى آخر من أجل الإفساد بينهم، أو من أجل زرع الخلاف والشقاق بينهم، أو من أجل التفريق بينهم، ولا سيما إذا كانوا جيران، أو أصدقاء، أو أخوة، أو غير ذلك.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: ^(١) من طريق هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُنْقَلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يُنْقَلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: سَمِعْتُ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦)، ومسلم (١٥٥).



رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».

﴿ القتات: هو النمام.﴾

وقد جاء مصرحاً به في رواية الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ: من حديث حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْمُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ».

فهذا الوعيد يدل على أن النميمة من كبائر الذنوب، ومن عظام الآثام. فصاحب النميمة متوعداً بعدم دخول الجنة، إما دخولاً أولياً، أو يحمل على الوعيد والزجر عن مثل هذا الفعل الخبيث الذي يفسد بين الناس، وربما يؤدي إلى القتال، وسفك الدماء، وغير ذلك من المفاسد.

﴿ والنميمة من أسباب عذاب القبر:﴾

ففي الصحيحين: من حديث ابن عباسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَبْسَا»^(١).

وقد ذكرها الإمام المجدد في كتاب التوحيد في باب السحر دليل على أن التمام قد يفعل ما لا يفعله الساحر من الفساد والإفساد.



(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير

١٥١٠ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، النَّفْقَى هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(١).
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير وما في بابه .

قوله: «لَا تَحَاسَدُوا» فيه: تحريم الحسد وأنه أيضًا من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وقد تقدم بيان حكم الحسد، وأضراره.

والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.

وهو من أسباب تولد الحقد بين المسلم وأخيه، ومن أسباب الكراهة، والبغضاء بين المسلمين.

قوله: «وَلَا تَنَاجَشُوا» والنجش: هو الزيادة في ثمن السلعة دون قصد الشراء، وإنما لقصد الإضرار بالغير.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).



فهو نوع من أنواع البيوع المحرمة؛ لأنه يدخل على الناس في أسعارهم الزيادة في الثمن دون قصد الشراء منه .

فيشتريها المشتري بثمان زائد على سعرها، وهذا فيه حيلة، وأذية للمسلمين .

﴿ بيان حكم النجش: ﴾

والنجش لا يجوز، بل هو محرم لنهي النبي ﷺ عنه كما في هذا الحديث، وفي غيره من الأدلة .

وكل شيء فيه أذية وضرر على المسلمين؛ فهو محرم .

ورواية أخرى في الصحيحين: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا...»^(١) .

﴿ بيان الفرق بين التجسس والتجسس: ﴾

قيل: بأن التجسس: يكون في السر .

والتحسس: يكون في الأمور العلنية .

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَبْتَغِي آذَهُبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكٰفِرُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] .

﴿ بيان حكم التجسس والتحسس: ﴾

وكلاهما لا يجوز، بل هما من الأمور العظيمة الذي نهى النبي ﷺ؛ لما فيهما من كشف عورات المسلمين، وفضحهم .

والنبي ﷺ حث ورغب في الستر على المسلمين، وبين أن من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله عزَّ وجلَّ في الدنيا وفي الآخرة .

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) .

٤٥ بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين:

والتجسس على المسلمين لصالح الكفار والمشركين يوجب قتل صاحبه أما ردة وإما حداً .

ففي الصحيحين: من طريق عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعتُ علياً رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم، قال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»**، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«يا حاطب ما هذا؟»**، قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ إنني كنت امرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلتُ كفراً ولا ارتداداً، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«لقد صدقكم»**، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: **«إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر»** فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم^(١).

• **والشاهد:** أن النبي ﷺ لم ينكر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادته قتله.

ولكن بين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن حاطباً رضي الله عنه من أهل بدر، وأنه من الصحابة رضي الله عنهم، وأن أهل بدر قد شملهم الله عز وجل بمغفرته؛ حتى أن أحدهم لو

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).



وقع في ذنب من الذنوب؛ فإنه يوفق للتوبة منه، أو أنهم يوقفون لعدم الوقوع في الذنب أصلاً.

وجاء في رواية أخرى في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « **وَلَا تَنَافَسُوا** »^(١).

﴿ بيان حكم التنافس: ﴾

والتنافس في أمور الآخرة، والمصارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى القربات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، من الأمور المطلوبة من المؤمن، والتي تدل على كمال إيمانه، وعلى عظم يقينه بربه سبحانه وتعالى.

ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **خْتَمَهُمْ مَسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ** ﴾^(٢).

وأما ما جاء من النهي عن التنافس، فهو التنافس في أمور الدنيا الذي تسبب للمسلمين سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والشحناء، والبغضاء، والكرهية، والغل، والحسد، والحقد، وغيرهما من الأمراض.

فالتنافس في أمور الدنيا، والأموال المحرمة: من جمع الأموال ولو من غير حلها، ومن التباهي بالمساكن، وبالسيارات، وأمور الدنيا.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟** » قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاعَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ** »^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

قوله: «وَلَا تَبَاغَضُوا» التباغض: هو تنافر القلوب الذي يؤدي إلى تدابر الأبدان، وإلى الأعراض فيما بين المسلمين مع بعضهم بعضاً.

قوله: «وَلَا تَدَابَرُوا» والتدابير: يكون في الأبدان، كما أن التباغض يكون في القلوب، وكلاهما محرم وكبيرة.

قوله: «وَلَا يَبِعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»: لما يورث من الشحناء والبغضاء، والفرق بين هذا البيع والنجش أن البيع على بيع الأخ يريد الشراء، والنجش لا يريد الشراء، إنما يريد رفع ثمن السلعة، وكلاهما يجر إلى مفساد دينية ودنيوية .

فالواجب على المسلم أن يعامل المسلمين بما يحب أن يعامل به، وأن يحب للمسلمين من الخير ما يحب لنفسه، وأن يكره لهم من الشر ما يكره لنفسك.

قوله: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»: وهذا إجمال بعد تفصيل، فالواجب على المسلمين أن يكون عباد الله **عَزَّجَلَّ** إخواناً فيما بينهم في جميع شأنهم. وأن لا يتسببوا بضعف هذه الأخوة الإسلامية بأي عمل من الأعمال التي تتسبب في الشقاق، والمخاصمة، والبغضاء، والغل، والحسد، والحقد، والأمراض القلبية التي تضعف من قوة المسلمين.

قوله: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ».

و يكون الأخ عوناً لأخيه: في أمور دنياه، وأمور دينه، وأمور آخرته.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

فهذه أخوة الدين الذي أثبتها الله **عَزَّجَلَّ** في كتابه، وأثبتها النبي **ﷺ** في سنته والأخ مع أخيه يكون في شأنه كله على أحسن حال.

وفي الصحيحين: من حديث أبي موسى -**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**:

«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١). "وَسَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٢).

قوله: «لَا يَظْلِمُهُ»: فلا يجوز للمسلم أن يظلم أخيه المسلم في نفسه، ولا في ماله، ولا في عرضه، لقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ» أخرج مسلم، وقد تقدم بيان فساد الظلم ومضرته الدنيوية والأخروية .

قوله: «وَلَا يَخْذُلُهُ»: ولا يجوز للمسلم أن يخذل أخيه المسلم في رفع المظلمة عنه من أخيه المسلم الذي اعتدى عليه، وهو قادر على رفع المظلمة عنه.

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجِرُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(٣).

وجاء الحديث في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: "اقتتلَ غُلامانِ غُلامٍ مِنَ الْمُهاجِرِينَ، وَغُلامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهاجِرُ أَوْ الْمُهاجِرُونَ، يَا لِمُهاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ غُلامَيْنِ اقتتلا فَكسَعَ أَحدهُما الآخرَ، قَالَ: «فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، مسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

فَلْيَنْهَاهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»^(١).

قوله: «وَلَا يَحْقِرْهُ» أَي: لَا يَحْقِرْهُ فَلَا يُنْكِرْ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَصْغِرْهُ.

سواء كان المسلم ضعيفاً، أو فقيراً، أو جاهلاً، أو وضعياً ليس له أسرة تحميه، أو غير ذلك، فالمسلم قوي بأخيه المسلم، فلا يجوز الاحتقار له بأي وجه من الوجوه.

فالتقوى ميزان التفاضل بين الناس عند الله عزَّ وجلَّ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، والمؤمن خير من ملء الأرض من الكفار، والمشركين، والملحدين، والمنافقين الاعتقاديين، ومن إليهم.

ففي صحيح الإمام البخاري: من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(٢).

قوله: «التَّقْوَى هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الصَّحِيحِينَ: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).



قوله: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ» أي: يكفي الإنسان أن يكون شره احتقار المسلم، فكيف إذا ضربه أو شتمه أو انتهك عرضه .

قوله: «أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»: فذكر النبي ﷺ الاحتقار؛ حتى ينبه على أن ما فوقه

قوله: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»: فلا يجوز ظلمه في عرضه: بقذفه، وسبه، وشتمه، ولا يجوز ظلمه في ماله: بأخذ ماله، أو بسرقة، ولا يجوز ظلمه في دمه: بقتله، أو جرحه، فالمسلم محرم على أخيه المسلم، فلا يجوز له أن يفعل به شيء يتأذى منه.

وحق الحديث أكثر من هذا، ولكن هذه إشارة تغني عن كثرة العبارة .

والحمد لله رب العالمين



الاستعاذة من منكرات الأخلاق

١٥١١ - (وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ»^(١) .
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث لبيان منكرات الأخلاق .

قوله: «قطبة بن مالك»: هو قُطْبَةُ بن مَالِكِ الثَّعْلَبِيِّ وَيُقَالُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْأَوَّلُ أَصْحَابُ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَيُقَالُ الذَّبْيَانِيُّ كُوفِي رَوَى عَنْهُ زِيَادُ بن عِلَاقَةَ يُقَالُ هُوَ عَمَّ زِيَادُ تَوَفَّى فِي حُدُودِ السُّتَيْنِ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»: نفيذ اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا في دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «اللَّهُمَّ جَنِّبِي» أي: باعد بيني وبين هذه الأمور المذكورة .

قوله: «مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» أي: سيء الأخلاق .

وهي كل خلق يخالف ما جاء بالكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهي صفات ذميمة فيها تعدي حق الخالق، حق المخلوق.

فالمنكر: كل ما أنكره الشرع .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٥٩٤)، والترمذي (٣٥٩١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحٍ وَضَعِيْفِ التِّرْمِذِيِّ (٣٥٩١)، وَفِي الْمَشْكَاةِ (٢٤٧١)، وَالْإِمَامُ الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحِ الْمَسْنَدِ (١٠٨٤).



وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،...»^(١).

فكان النبي ﷺ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديه إلى أحسن الأخلاق .

كما يدعو أن يجنبه منكرات الأخلاق، وهذا تعليم للأمة وللحاجة إلى ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** " ، فالإنسان بخلقه في الدنيا والآخرة، والأخلاق منها الجبلي والمكتب، كما تقدم، ومنها أعظم أسباب حصول المطلوب الدعاء وأشمله ما دل عليه هذا الحديث .

قوله: «وَالْأَعْمَالِ» أي: النبي ﷺ دعا ربه أن يجنبه منكرات الأعمال: سواء القولية، أو الفعلية، أو الاعتقادية، إذ أن الأعمال تكون بهذه الجوارح فقول أهل السنة في الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح ، فمن أعمال القلوب السيئة سوء الظن، والحسد، والحقْد، ونحو ذلك، ومن أعمال اللسان: السب، والشتم، والكذب، ومن أعمال الجوارح: السرقة، والقتل، ونحو ذلك .
فتضمن هذا الدعاء الاستعاذة من كل سيء من الأعمال .

قوله: «وَالْأَهْوَاءِ»: ودعا النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يجنبه أيضًا منكرات الأهواء.

والأهواء: هي التي تهوي بصاحبها إلى البدع، والمحدثات، والخرافات، وربما أوصلته إلى الشركيات والعياذ بالله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ ﴿٢٤٧﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤٧﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

• ويدخل في الاستعاذة من الأهواء الاستعاذة من البدع والشركيات، وما في باهما، فكم أفسدت الأهواء من عقائد الناس ومعايشهم، بل وديانهم وأخراهم .

وفي حديث معاوية بن أبي سفيان، عند أبي داود (٤٥٩٧) أنه قام فينا، فقال: ألا إن رسول الله - ﷺ - قام فينا، فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاثٍ وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة - زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما: - وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه - وقال عمرو: "الكلب بصاحبه - لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله".

وفي سنن الدارمي (١ / ٢٣١): عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلَ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَىٰ مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرَّبَهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَّحِلُّ قَوْلًا أَوْ قَالَ: حَدِيثًا فَيَتَنَاهَىٰ بِهِ الْأَمْرَ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضَرْوِيًّا، ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا

هُمْ يَسْحَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا، فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ "

وأخرج الدارمي (١/ ٣٤٤): عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " مَا أَدْرِي أَيُّ النُّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ ".

• ومن أعظم وقوع المرء في الهوى مجالسة أهله، وكان طريق السلف ما قال أبو قلابة: « لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ » أخرجه الدارمي (٤٠٥).

قوله: «وَالْأَدْوَاءِ» والأدواء: الأمراض والأسقام التي تؤذي الإنسان.

وربما لا يجد لها دواء، أو يكون لها دواء ولا يستطيع أن يتوصل إليه لسبب، أو لغيره.

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»^(١).

فالإنسان عليه أن يلجأ إلى الله عَزَّجَلَّ في دفع الشر قبل أن يقع به، وفي رفعه إذا وقع ونزل به، والله المستعان .



(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٥٤٩٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٩).

بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد

١٥١٢ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَارِزْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان النهي عن المراء والجدال.

وفي حديث الباب تحريم إخلاف الوعد بدون عذر شرعي.

مع أن حديث الباب لم يثبت، ويغني عنه أدلة أخرى ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٥) بإسناد ضعيف، من طريق ليث بن أبي سليم، ضعيف ومختلط.

وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي (١٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).



﴿ بيان حكم المراء بين الأخوة: ﴾

وفيه النهي عن المراء والجدال.

والحديث ضعيف، ولكن تغني عن أدلة أخرى فإن كان الماء في القرآن **ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»^(١).**

المراد به: المراء والجدال في القرآن الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر، حيث أنه قد ينكر بعض ما جاء فيه .

فإذا كان المراء يؤدي إلى رد القرآن، أو رد بعض آياته، أو إلى تحريف معاني القرآن والسنة فهو باطل أما إن كان سيؤدي إلى إظهار الحق؛ فهذا محمود .

ففي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: من حديث أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٢).

قوله: «لَا تَمَارِ أَخَاكَ»: على ما سبق أي لا تجادله مجادلة تؤدي بك، أو تؤدي به إلى الوقوع في الباطل، أو رد الحق .

قوله: «وَلَا تَمَازِحُهُ» أي: لا تمازح أخاك بمزاح يؤدي إلى أذيته .

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فيه: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن.

بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلِ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لِأَعْبَا أَوْ جَادًا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيُرِدَّهَا إِلَيْهِ»^(٢).

قوله: «وَلَا تَعِدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ»: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ اللَّهُ عَلَّمَ الْغُيُوبَ ﴿٧٨﴾ [التوبة: ٧٥-٧٨]..

والله المستعان



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٠)، وأبو داود (٥٠٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن. وفي الإرواء (١٥١٨). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٠٢).



ذم البخل وسوء الخلق

١٥١٣ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان ذم البخل وسوء الخلق.

والحديث ضعيف في سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف، وعلى فرض ثبوته يكون معناه: المؤمن كامل الإيمان لا يكون بخيلاً، ولا ذا خلق سيء .
إذ أن المؤمن قد يكون عنده نوع بخل، وقد يكون فيه سوء خلق.

قوله: «خَصَلْتَانِ» أي: خلتان.

قوله: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ»: خبر يراد به النهي أي ينبغي أن لا يجتمعان في المؤمن .

قوله: «الْبُخْلُ»: فالبخل صفة ذميمة لا تليق بمؤمن، إذ أنه من صفات المنافقين، واليهود ومن إليهم .

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى»، وهو

الدقيقي، ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَا بُخْلُهُ، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»، وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَضْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُولِمُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ" (١).

قوله: «وَسُوءُ الْخُلُقِ» أي: سيء الأخلاق، وقد تقدم ذكر بعضها. فينبغي للمسلم أن يلازم الأخلاق الحسنة، وأن يكتسبها اكتساباً إذا لم تكن فيه جبلة.

وقد كان النبي ﷺ كما سبق يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديه لأحسن الأخلاق. والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٩٦/٢٢٧). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٢٢٦).



بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين

١٥١٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن السب.

قوله: «الْمُسْتَبَانِ»: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، أو كانوا من الرجال والنساء فيما بينهم.

وحديث الباب فيه النهي عن السب، وأنه من المحرمات؛ لأنه ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

قوله: «مَا قَالَا» أي: من الأقوال التي فيها السب، والشتم، وفيها التعدي على العرض، أو النفس، أو المال.

قوله: «فَعَلَى الْبَادِي» أي: يكون الإثم على من بدأ في السب، والشتم، والاعتداء.

قوله: «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»: فإذا حصل من المظلوم التجاوز والاعتداء.

فالاعتداء: قد يكون قولاً، أو فعلاً.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِيَّائِهِمْ وَلَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا

طَيْبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِيَّائِهِمْ وَلَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا

طَيْبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِيَّائِهِمْ وَلَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٤١): الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فعلى

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧).

البادئ مالم يعتد المظلوم) معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له وفي هذا جواز الانتصار ولا خلاف في جوازه وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال تعالى والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ومع هذا فالصبر والعفو أفضل قال الله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وللحديث المذكور بعد هذا ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً واعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام كما قال ﷺ سباب المسلم فسوق ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبه مالم يكن كذباً أو قذفاً أو سباً لأسلافه فمن صور المباح أن ينتصر بيا ظالم يا أحمق أو جافي أو نحو ذلك لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف قالوا وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته وبرئ الأول من حقه وبقي عليه إثم الابتداء أو الإثم المستحق لله تعالى وقيل يرتفع عنه جميع الإثم بالانتصار منه ويكون معنى على البادئ أي عليه اللوم والذم لا الإثم . اهـ

والله أعلم





بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين

١٥١٥ - (وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ هذا الحديث لبيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين.

قوله: «عن أبي صرمة»: هو قيس بن مالك بن أنس الأنصاري أبو صرمة هو مشهور بكنيته واختلف في اسمه قيل قيس بن مالك وقيل مالك بن قيس روى عنه ابن محيريز ولؤلؤة ومحمد بن كعب القرظي وفي حديث الباب: النهي عن مضارة المسلم، والنهي عن إدخال المشقة عليه، وتحريم ذلك.

وقد دعا النبي ﷺ على من يفعل ذلك بأن الله عز وجل يجازيه من جنس عمله. ففي سنن الإمام ابن ماجه رَحْمَةُ اللَّهِ وغيره: من حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^(٢).

وهذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الدين العظيمة التي جاء بها؛ لحماية أعراض الناس، وأموالهم، ودمائهم، وأنفسهم، وعقولهم، ودينهم. فقد جاء ديننا الإسلامي بحماية الضروريات الخمس: "الدين، والنفس، والمال،

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٥)، بسند ضعيف، فيه لؤلؤة مجهولة. وحسنه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ في الإرواء (٨٩٦) بشواهده.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ في الإرواء (٨٩٦).

والعرض، العقل".

فلا يجوز للمسلم أن يضر بنفسه، ولا يجوز له أن يضر بغيره، وهذا من أحسن ما فسر به هذا الحديث من كلام أهل العلم، وله تفاسير كثيرة.

قوله: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ» أي: من أدخل الضرر على المسلمين، أو تسبب في ذلك قاصداً للأذية عليهم، فإن جزاءه سيكون من جنس عمله فالله **عَزَّجَلَّ** سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

قوله: «وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»: وهذا فيه أن الجزاء من جنس العمل، ومن تسبب في إدخال المشقة على المسلمين، وتعمد ذلك، وقصد الأذية فإن الله **عَزَّجَلَّ** سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

فليحذر المسلم على نفسه من أن يتسبب في إضرار المسلمين، وإدخال المشقة على المسلمين.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَ الْبَعِيرِ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).



بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن

١٥١٦ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيَّ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ).

١٥١٧ - (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبِدِيَّ»^(٢). وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَقَفَّهُ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الفحش والبذاءة في الكلام.

وأحاديث الباب تدل على تحريم ذلك.

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: " أَوْلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ " ^(٣).

وأخرجه بلفظ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالنَّفْحُشَ» " وَزَادَ فَانزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ آيَةِ".

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢)، وفي سننه يعلى بن مملك مجهول حال، وله شواهد. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٧) والحاكم (٢٩) وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٧٧)، والإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

قوله: «أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -»: وهو عويمر الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ» فيه: إثبات صفة البغض لله عَزَّجَلَّ، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تماثلهما، ولا تكيف، ولا تحرف، ولا تعطل.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

ونبت لله عَزَّجَلَّ صفة الكراهية، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.

ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣]..

وكذلك نبت لله عَزَّجَلَّ صفة المقت، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.

والمقت: أشد الكراهة .

قوله: «الْفَاحِشُ البَّذِيءُ».

الفاحش: في فعله.

والبذيء: بلسانه، وقوله.

والفحش: هو كل ما عظم فحشه وقبحه في الشرع، واللغة، والعرف.

وذكر المصنف هذه الأحاديث للتحذير من مساوئ الأخلاق.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: "اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اتَّذُنُّوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ؟ قَالَ: «أَيَّ عَائِشَةَ،



إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»^(١).

وقد أشار المصنف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الباب مع صغره إلى عشرات المساوي. والحمد لله رب العالمين.

قوله: «وَلَهُ» أي: للحاكم في مستدرکه

«مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَفَعَهُ-» أي: إلى النبي ﷺ

قوله: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ» فيه: تحريم الطعن في المسلمين .

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ" وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(٢).

وقد جاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنُهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٣).

وجاء تفسير ردغة الخبال بأنها عصارة أهل النار.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من طريق ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٧٥٥).

أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدَعَةِ الْخَبَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدَعَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

قوله: «وَلَا اللَّعَانُ» أي: كثير اللعن، ويراد به الطرد والإبعاد عن رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

﴿ بيان حكم اللعن بالتعيين: ﴾

وحديث الباب فيه النهي عن اللعن بالعين .

وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم اللعن المعين الحي: سواء كان الملعون مسلمًا أو كافرًا؛ لأنه دعاء بالطرد وبالإبعاد عن رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**.
وذهب بعض أهل العلم إلى أنه في حق المسلم العاصي يكون دعاء بالطرد المؤقت.

وقد بسطت القول في ترجيح هذه المسألة في كتابي: "فتح الوهاب في شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب".

﴿ بيان حكم اللعن بالوصف: ﴾

وأما اللعن بالوصف، فهو جائز؛ للزجر من الأفعال القبيحة.

فنقول: لعنة الله على الكاذبين، والظالمين والكافرين، والقرآن مليء بمثل هذا.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧)، وصححه الإمام الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٧٨٦).

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧١﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ إلى غير ذلك .
والنبي ﷺ قد لعن في الخمر عشرة.

ففي سنن الإمام الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةَ: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهَا»^(١).
ولعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والفالجة .

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨١)، وقال الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح. وصححه في صحيح وضعيف ابن ماجه. وحسنه الإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الصحيح المسند (٦١).

ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتِشِمَاتِ، وَالْمُنَمَّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ». فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آءَانِكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَادْهَبِي فَاظْطَرِّي، فَذَهَبَتْ فَظَطَرَّتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»^(٢).
ففي الصحيحين: من حديث أسماء بنت أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»^(٣).

وجاء في الصحيحين: من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لعن الواشمات والمستوشمات والنامصات والمنتمصات

وفي مسلم: من طريق زيد بن أسلم، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَانَهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٣٦)، ومسلم (٢١٢٢).



خَادِمِكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ
اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قِيلَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ عَلَيَّ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢).

قوله: «وَلَا الْفَاحِشَ»: ولا يجوز أيضًا الفحش ويكون الفحش في الأفعال.

قوله: «وَلَا الْبِدْيَاءَ»: وتكون البداءة باللسان: أي في الأقوال.

والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي

١٥١٨ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان تحريم سب وشم الأموات لغير مقصد شرعي.

وفي لفظ للإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه: من حديث الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»^(٢).

وحديث الباب، ومع حديث المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فيهما تحريم سب الأموات؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

ولما فيه من الأذية على أقربائهم الأحياء، وأذيه المسلم محرمة .

﴿ بيان سبب نهي النبي ﷺ عن سب الأموات: ﴾

ونهى النبي ﷺ عن سب الأموات لأمر:

الأول: أنهم قد أفضوا إلى ما قدموا من العمل .

الثاني: أنهم عاجزون عن الرد عما قد يتهموا به من الأقوال، ومن الأفعال.

الثالث: أن في سبهم أذية لأقربائهم من الأحياء، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٣٤).



﴿ بيان حكم السب ﴾

السب من أصله محرم، ولا يجوز؛ لما فيه من أذية على المسلمين .
بل هو من الفسوق، **ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»** (١).

ولو تأملنا ما عليه حال أكثر المسلمين اليوم، ولا سيما في وسائل التواصل الاجتماعي: من الفيسبوك، والتوتساب، والتلجرام، وغير ذلك.
نجد أنهم يسبون الأموات، والأحياء، ويخالفون مثل هذه الأحاديث، ولا يباليون في ذلك.

ويعيرون الأبناء بما فعله آبائهم، وهذا من الظلم؛ لأن الإنسان وإن فعل الفعل القبيح، أو المعصية؛ فإن ولده لا دخل له في فعل أبيه؛ إلا إذا كان فعله مثل فعل أبيه.

﴿ بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء ﴾

وليس من سب وشتم الأموات والأحياء جرح أهل البدع، والتحذير من بدعهم، ومخالفتهم لدين الله **عَزَّوَجَلَّ**.

بل هذا فيه النصح للأمة؛ حتى لا يقعوا في مثل ما وقع به أهل البدع والمحدثات، وأهل الفسق، والمعاصي.

ومن يجرح أهل البدع لا يسبهم، أو يشتمهم، وإنما يبين حالهم في الدين، وما كانوا عليه حتى يحذر من فعلهم، وبدعهم، ومخالفتهم لدين الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وما يزال أهل العلم يتكلمون فيمن مضى من رواة الحديث، والآثار، وفي أصحاب

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

البدع والأهواء والمحدثات.

ممن كان كذاباً، أو متهمًا بالكذب، أو ممن كان مبتدعًا ويدعو إلى بدعته، أو ممن كان ضعيفاً سيء الحفظ، أو غير ذلك.

قوله: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ»: هذا هو الأصل في تحريم سب الأموات، فلا يجوز.

إلا ما كان من تبين حال أهل البدع والمحدثات حتى يحذرهم الناس .

قوله: «فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» أي: حال الأموات أنهم قد وصلوا إلى المجازاة على أعمالهم، فلا حاجة لذكرها.





بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر

١٥١٩ - (وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان تحريم النميمة.

حديث الباب يدل على تحريم النميمة، وأنها من كبائر الذنوب وعظائم الآثام؛
للوعيد المذكور في الحديث.

والنميمة خلق سيء، تؤدي إلى قطع أواصر الإخاء، والمحبة، والألفة بين
المسلمين.

وقد تؤدي إلى سفك الدماء بين الناس .

ولذلك قرن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النميمة بالسحر في كتابه
التوحيد.

وقد قيل: يفعل النمام ما لا يستطيع أن يفعله ألف ساحر.

والنمام: هو الذي ينقل الكلام من قوم إلى قوم للإفساد بينهم.

فيجب على المسلم أن يصون نفسه عن مثل هذه الأخلاق الذميمة السيئة.

التي لا يتصف بها الكرماء من الناس .

﴿ بيان أن الغيبة أهون من النميمة: ﴾

والغيبة مع أنها من الكبائر؛ إلا أنها أهون من النميمة في الشر؛ لأنها قد تقتصر على

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

إنسان بعينه، فيذكر ما فيه من الشر.

بخلاف النميمة، فإنها قد ينقل الكلام من قوم إلى قوم؛ وهذا الكلام كذب وزور، ولم يقع أصلاً؛ حتى يفسد بينهم، ويزرع بينهم العداوة، والشحناء، والحقد، والغل، وربما تطور بهم الأمر إلى المضاربة، وإلى القتال والعياذ بالله **عَزَّوَجَلَّ**.
ومن أضرار النميمة أيضاً أنه قد يقع بسببها الطلاق بين الأزواج، ويقع الشر بين الأب مع أبنائه، والأخوة، والأقرباء، والجيران، والقبائل والعشائر، والمسلمين جميعاً.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟ هِيَ النَّمِيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.





بيان فضل كف الغضب

١٥٢٠ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ».)
١٥٢١ - (وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا^(٢).)

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضل كف الغضب.
وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣).
وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعْدُونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعْدُونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٤).
وجاء في معجم الطبراني الأوسط رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٢٠)، بلفظ: «مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ»، وأبو يعلى (٤٣٣٨)، من طريق خالد بن برد، قال الذهبي في الميزان: "مجهول".
والحديث قد أنكر عليه. وفيه عبد السلام قال أبو حاتم: "ليس بالقوي"، وقال فيه عمرو بن علي الفلاس: "لا قطع على أحد بالكذب إلا عليه". وضعفه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (٤٦٤٧)، وهو في الصحيحة (٢٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢١) من طريق هشام بن أبي إبراهيم، وهو مجهول.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠٨).

رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنَّ أُمَّشِيَّ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ قَدَمَهُ عَلَيَّ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَيَّ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»^(٢).

والحديث فيه مجهول الحال، وهو سهل بن معاذ، ولكن قد حسنه بعض أهل العلم.

فكل هذه الأحاديث فيها فضل كظم الغيظ لمن كان قادر على إنفاذه، وأنه له أجر عظيم عند الله عَزَّجَلَّ، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٩٠٦)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.



بيان الزجر الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة

١٥٢٢ - (وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان الذم الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة.

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٧٩): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ (خَبٌّ) بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ مَفْتُوحَةً وَبِالْمُوحَدَةِ الْخِدَاعُ... (وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ)، وَهُوَ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ الْمَمَالِكِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ، وَمِثْلُهُ تَرْكُهُ لِتَأْدِيبِهِمْ بِالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ تَعْلِيمِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا وَكَذَلِكَ الْبُهَائِمُ سُوءُ الْمَلَكَةِ يَكُونُ بِإِهْمَالِهَا عَنِ الْإِطْعَامِ وَتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُهُ مِنَ الْأَحْمَالِ، وَالْمَشَقَّةِ عَلَيْهَا بِالسَّيْرِ وَالضَّرْبِ الْعَنِيفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . اهـ



(١) أخرجه الترمذي (١٩٤٧، ١٩٦٤) وفيه فرق بن يعقوب السبخي «ضعيف».

بيان تحريم التجسس على المسلمين

١٥٢٣ - (وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ سَمِعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: الرَّصَاصَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ تَحْرِيمِ التَّجَسُّسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٧٩): لَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَنْ اسْتَمَعَ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ مَنْ يُكْرَهُ سَمَاعُ حَدِيثِهِ وَيُعْرَفُ بِالْقَرَائِنِ أَوْ بِالتَّصْرِيحِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ وَمَعَهُ رَجُلٌ يَتَحَدَّثُ فَقُمْتُ إِلَيْهِمَا فَلَطَمَ صَدْرِي وَقَالَ: إِذَا وَجَدْتَ اثْنَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ فَلَا تَقُمْ مَعَهُمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْمُتَنَاجِحِينَ فِي حَالِ تَنَاجِيهِمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَلَا يَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ عَلَيْهِمَا الْقُعُودُ عِنْدَهُمَا وَلَوْ تَبَاعَدَ عَنْهُمَا إِلَّا بِإِذْنِهِمَا؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهُمَا الْكَلَامَ سِرًّا، وَلَيْسَ عِنْدَهُمَا أَحَدٌ دَلَّ عَلَى أَنََّّهُمَا لَا يُرِيدَانِ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةٌ فَهَمَّ إِذَا سَمِعَ بَعْضَ الْكَلَامِ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى بَاقِيهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرِّضَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْإِذْنِ حَيَاءٌ وَفِي الْبَاطِنِ الْكَرَاهَةُ وَيَلْحَقُ بِاسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ اسْتِنْسَاقُ الرَّائِحَةِ وَمَسُّ الثُّوبِ وَاسْتِخْبَارُ صِغَارِ الدَّارِ مَا يَقُولُ الْأَهْلُ، وَالْجِيرَانُ مِنْ كَلَامٍ أَوْ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا لَوْ أَخْبَرَهُ عَدْلٌ عَنْ مُنْكَرٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَهْجُمَ وَيَسْتَمَعَ الْحَدِيثَ لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ. اهـ



بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره

١٥٢٤ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان أهمية انشغال المرء بعيوبه عن عيوب الناس.

والحديث في مسند البزار بلفظ أطول من هذا: من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْحِرَانِيِّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَرِّزِ الْأَزْدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ الْعَضْبَاءِ وَلَيْسَتْ بِالْجِدْعَاءِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّمَا نُسِيعٌ مِنَ الْمَوْتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٌ إِيْنَا رَاجِعُونَ بُنُوهُمْ أَجْدَانُهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَائِهِمْ كَأَنَّكُمْ مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِيتُمْ كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمْتُمْ كُلَّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ، عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَتَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي غَيْرِ مَنْقُصَةٍ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَجَانِبَ أَهْلَ الشُّكِّ وَالْبِدْعَةِ وَصَلَحَتْ عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

📖 قال الصنعاني: سبل السلام (٢ / ٦٨٠): طُوبَى مَصْدَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ، أَوْ اسْمٌ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لِمَنْ شَغَلَهُ النَّظَرُ فِي عُيُوبِهِ وَطَلَبَ إِزَالَتَهَا أَوْ السَّتْرَ عَلَيْهَا عَنِ الْإِشْتِعَالِ بِذِكْرِ عُيُوبِ غَيْرِهِ

(١) أخرجه البزار (٦٢٣٧)، بسند ضعيف، فيه النضر بن محرز. وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الضعيفة (٣٨٣٥).

والتَّعَرَّفِ لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدَّمَ النَّظَرُ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْيبَ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَرُدُّعُهُ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ. اهـ

قوله: «طُوبَى»: اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة.

ف قيل: هي شجرة في الجنة.

وهذا هو قول كثير من أهل العلم، ولكن الحديث الذي جاء في أن طوبى شجرة في الجنة إلى آخره، لا يثبت.

وقيل: هي الجنة نفسها.

والمعنى أعم من ذلك، فكأن المعنى: من اتصف بهذا الوصف، فإن الله عزَّ وجلَّ سيَجعله من أهل الجنة، ومن أهل النعيم، ومن أهل الرضوان، ومن المتطيين في العيش.

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فكأن طوبى هي من أسماء الجنة، أو هي وصف لما في الجنة من النعيم ومن التطيب في العيش، والخلو من المكدرات، والله أعلم.

قوله: «لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» أي: انشغل بإصلاح عيوب نفسه عن عيوب الناس، بحيث أنه لا يغتاب أحداً من المسلمين، ولا ينم على أحد، ولا يسب، ولا يشتم، ولا يسخر، ولا يستهزأ، ولا يفعل شيئاً من المحرمات.

ومع ذلك يجب على المسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويذلل النصيحة لكل مسلم بقدر ما يستطيع: إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه وهذا هو أضعف مراتب الإنكار للمنكر.



بيان تحريم التعاضم، والاختيال

١٥٢٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مَشِيئِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن التعاضم في النفس، والاختيال في المشيء واللباس ونحوه، وعن الكبر، وبيان أن كل ما ذكر من كبائر الذنوب؛ للوعيد المذكور في الحديث.

قوله: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ» أي: رأى نفسه عظيمًا عن قبول الحق، وعظيمًا على غيره.

مع أن الرفعة بالتقوى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

﴿وَقَدْ أَمَرَ الْمُؤْمِنَ بِالتَّوَاضُعِ﴾

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: "قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الحاكم (١٩٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩). وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في

صحيح الأدب المفرد (٤٢٧/٥٤٩)، والإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

قوله: «**وَإِخْتَالَ فِي مَشْيِيهِ**» أي: تبختر وافتخر وتكبر على الناس.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧).

ويقول الله **عَزَّجَلَّ** مخبراً عن وصية لقمان الحكيم لولده: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) [لقمان: ١٨١٩]..

كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣).

قوله: «**الَلْقِيَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ**»: وهذا يدل على أن التعاضم في النفس، والاختيال في المشي من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وفيه: إثبات صفة الغضب لله **عَزَّجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية.

على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل.

وفيه: إثبات الرؤية لله **عَزَّجَلَّ**؛ لأن اللقي يتضمن الرؤية لله **عَزَّجَلَّ**.

وفي ذم ذلك ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جَمْتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١).

وفي سنن الإمام أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أَبِي جَرِيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - ، قَالَ: "وَأَزْفَعُ إِزَارَكَ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).



الإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ»^(١).

فكل هذه الأدلة تدل على أهمية التواضع في النفس، وفي المشي، وفي اللبس،
والهيئة، ونحو ذلك .

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

فالتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا، والآخرة
فكل ما كان العبد أتقى .

كان أفضل في الدنيا، والآخرة.



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف أبي داود. وهو في
الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٩٦).

بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان

١٥٢٦ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان. الحديث له تتمّة: ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ وَصَعَفَةَ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ.

وَالْأَشْجُ اسْمُهُ الْمُنْدَرُ بْنُ عَائِدٍ.

وجاء في مسند الإمام أبي يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّانِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَادِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَمْدِ»^(٢).

وحديث الباب يشهد له وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وعلى كل فالمعنى صحيح، فالعجلة في أمور الدنيا من الشيطان .

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده، به. وعبد المهيمن متروك. وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠١٢).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (١٧٩٥)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٧٧).

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧).

• **وليس كل عجلة مذمومة**، فالمذموم منها ما كان في أمور الدنيا؛ لأن العجلة والطيش في الأمور الدنيوية يكون حليفه الفشل، والخطأ، وربما تقع المصائب على المستعجل أكثر من المتأن في أموره.

وأما في الأمور الأخروية، فإن العجلة والمسارعة والمسابقة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة مطلوبة من العبد المؤمن.

لأن الموت يأتي فجأة، فلهذا يجب عليه أن يستعد لذلك بالأعمال الصالحة التي ترضي الله **عَزَّجَلَّ** عنه، وتكون سبباً في نجاته من عذاب الله **عَزَّجَلَّ**، وسبباً في دخوله إلى جنة الله **عَزَّجَلَّ**.

يقول الله **عَزَّجَلَّ** مخبراً عن قصة موسى عليه السلام مع قومه: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلِيِّ أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿ (٨٤) ﴾ [طه: ٨٣-٨٤].

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ آيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٤٨).

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (١٣٤) ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**»

كَاْفِرًا، أَوْ يُمَسِّي مُؤْمِنًا وَيُضَيِّحُ كَاْفِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِّنَ الدُّنْيَا»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالُ، وَالدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ، وَخَوِيصَّةُ أَحَدِكُمْ»^(٢).

وقد أخرج الحاكم رَحِمَهُ اللهُ فِي مستدركه: من طريق قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: "كُنْتُ مُحْرَمًا فَرَأَيْتُ ظَبِيًّا فَرَمَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ، فَمَاتَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَسْأَلُهُ، فَوَجَدْتُ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلًا أَيْصَرَ رَقِيقَ الْوَجْهِ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَسَأَلْتُ عُمَرَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، فَقَالَ: تَرَى شَاءَ تَكْفِيهِ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَ شَاءً، فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: صَاحِبُ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يُفْتِكَ حَتَّى سَأَلَ الرَّجُلَ، فَسَمِعَ عُمَرُ بَعْضَ كَلَامِهِ، فَعَلَاهُ عُمَرُ بِالذَّرَّةِ ضَرْبًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ لِيَضْرِبَنِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هُوَ قَالَهُ، قَالَ: فَتَرَكَنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَرَدْتَ أَنْ تَقْتَلَ الْحَرَامَ، وَتَتَعَدَّ بِالْفُتْيَا»، ثُمَّ قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرَةَ أَخْلَاقٍ، تِسْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَوَاحِدٌ سَيِّئٌ، وَيُفْسِدُهَا ذَلِكَ السَّيِّئُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكَ وَعَشْرَةَ الشَّبَابِ»^(٣).

والله المستعان



(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨٢٣٩)، والحاكم في مستدركه (٥٣٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٩٨٦٢).



بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق

١٥٢٧ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان أن الشؤم سوء الخلق. والحديث في سنده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ولكن معناه صحيح. فسوء الخلق من الشؤم. ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ»^(٢).

فشؤم المرأة: في خلقها السيء.

وشؤم الفرس: في نفورها، وعدم سهولتها في الركوب عليها.

وشؤم الدار: في ضيقها على أهلها.

بيان الشؤم الحقيقي:

وليس التشاؤم بالنظر إلى وجه سيء الخلق، فهذا قد يكون من الطيرة المحرمة، والتي كان يفعلها أهل الجاهلية.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٤٧) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وفيه انقطاع بين حبيب بن عبيد الحمصي وعائشة. وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٢).

وفي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عبد الله بن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا». "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ" (١).

وإنما الشؤم في سوء تصرفه، وسوء فعله على من يخالطه، فإنه سيؤذيهم بكلامه، وسوء تصرفه، وسوء خلقه، وغير ذلك من الأذية.
والله أعلم



(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٨٥٨).



بيان النهي عن كثرة اللعن

١٥٢٨ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن كثرة اللعن.

حديث الباب فيه النهي عن كثرة اللعن، ولا سيما إذا كان لغير حاجة، وإذا كان بنية الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

قوله: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ»: على صيغة المبالغة من كثرة اللعن.

قوله: «لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ» أي: لأهل الكبائر من المسلمين.

قوله: «وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: على غيرهم يوم القيامة كما هو حال المؤمنين

من أمة محمد ﷺ.

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي مثل هذا الزمان، كثير من الناس يلعن حتى نفسه، ويلعن زوجته، وسيارته، وأبناءه، وأقاربه، وجيرانه، وغير ذلك.

وربما لعن أصحابه الذي يجلسون معه من باب المزاح معهم، وهم لا يتضررون

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

من ذلك لجهلهم .
المهم على المؤمن أن يتخلق بالأخلاق النبيلة، ويكتسب تلك الأخلاق اكتساباً
إذا لم تكن فيه متأصلة.
ويكون بالعلم ومجالسة العلماء، وطلبه العلم، والصالحين.
فيعود نفسه على أن لا يتلفظ إلا بالألفاظ الشرعية في غضبه، ورضاه .
وأن يتخلق بالأخلاق الحميدة التي بعث بها النبي ﷺ .



بيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه

١٥٢٩ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه الذي يعمله.

حديث الباب موضوع، ويغني عنه ما ثبت عن النبي ﷺ.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

قَالَ: "وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ»^(٢).

فالمسلم لا يعير غيره من أهل الذنوب والمعاصي، ولا سيما بعد التوبة منها، فالتعبير يكون أشد إثمًا.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٥) من طريق خالد بن معدان، ولم يدرك معاذ بن جبل، وفي إسناده محمد

بن الحسن الهمداني «كذاب». وحكم عليه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (١٧٨) بالوضع.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي: حسن

﴿ بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟ ﴾

في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّ مَا كَانَ مَا عَاشَ»^(١).

ويقول ذلك في نفسه؛ حتى لا يحزن صاحب البلاء .

وإن كان صاحب البلاء من أهل البدع والمعاصي فيقولها في نفسه؛ حتى لا ينفره عن السنة .

إلا إذا كان من أجل الزجر عن المعصية، أو عن البدعة، ورأى المصلحة في قولها له بصوت يسمعه حتى ينكف، فلا بأس بذلك .

فالمؤمن يسأل الله عَزَّجَلَّ العافية من مثل هذه الابتلاءات، والذنوب والمعاصي لا يسلم منها أحد، إلا من رحم الله عَزَّجَلَّ .

وإلا فالذنوب قد تطرأ على الإنسان بسبب شبهة، أو شهوة .

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ:

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٨) .



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

قوله: «لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» أي: أنه بسبب معصية تعيير المسلم بالذنب، قد يتلوه الله عَزَّوَجَلَّ بنفسه هذا الذنب فيفعله قبل موته .

فلهذا ينبغي لنا أن نتعد عن مثل هذا التعيير، وإنما نكون بين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة برفق وبلين، وهذا هو الأصل .
ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ العافية وقد ألف ابن رجب رسالة في الفرق بين النصيحة والتعبير



(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

بيان النهي عن الكذب في المزاح

١٥٣٠ - (وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيُلُّ لَهُ، ثُمَّ وَيُلُّ لَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان النهي عن المزاحه بالكذب.

لأن الكذب صفة ذميمة، وقد تقدم أنها تهدي إلى النار.

كما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلٌ لَكُمْ وَالْكَذِبِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).

﴿ بيان بعض ما جاء عن النبي ﷺ في مزاحه وهو حق.﴾

وقد أخرج الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: إِحْدَى خَالَاتِي. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْعَجِزُ، فَدَخَلَ الْعَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً خَلَقْنَا آخَرَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ». ثُمَّ قرأ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّا [ص: ٢١٧] أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥]^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠) والنسائي في التفسير (١٤٦، ٦٧٥)، والترمذي (٢٣١٥)، بسند حسن،

وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٤٣).



وفي الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ»^(٢).

وقد ذكر الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ فِي سننه شيئاً من مزح النبي ﷺ.

ففي حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَكَلِدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَكَلِدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقَ»^(٣).

ومن حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ آدَمَ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كُلُّكَ» فَدَخَلْتُ^(٤).

ومن حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»^(٥).
فيجوز من المزاح ما كان حقاً .

وعلى المؤمن أن يتقي الله عَزَّجَلَّ في نفسه، فلا يكذب في مزاح، ولا في جده .
فالكذب محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب .

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٣٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف أبي داود.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٠٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف أبي داود.

قوله: «وَعَنْ بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ».

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٨٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْكَذِبِ لِإِضْحَاكِ الْقَوْمِ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ خَاصٌّ. وَيَحْرَمُ عَلَى السَّامِعِينَ سَمَاعَهُ إِذَا عَلِمُوهُ كَذِبًا؛ لِأَنَّهُ إِقْرَارٌ عَلَى الْمُتَكَرِّرِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ النَّكِيرُ أَوْ الْقِيَامُ مِنَ الْمَوْقِفِ، وَقَدْ عَدَّ الْكَذِبُ مِنَ الْكِبَائِرِ قَالَ الرُّوْيَانِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ، وَمَنْ كَذَبَ فَضْدًا رُدَّتْ شَهَادَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّ بِالْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَقَالَ الْمَهْدِيُّ: إِنَّهُ لَيْسَ بِكَبِيرَةٍ وَلَا يَتِمُّ لَهُ نَفْيُ كِبَرِهِ عَلَى الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - أَوْ لِإِضْرَارٍ بِمُسْلِمٍ أَوْ مَعَاهِدِ كَبِيرَةٍ وَقَسَمَ الْعَزَالِيُّ الْكَذِبَ فِي الْإِحْيَاءِ إِلَى وَاجِبٍ وَمُبَاحٍ وَمُحْرَمٍ وَقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَقْصِدٍ مَحْمُودٍ يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ، وَالْكَذِبِ جَمِيعًا، فَالْكَذِبُ فِيهِ حَرَامٌ، وَإِنْ أَمَكَّنَ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَحَدَهُ فَمُبَاحٌ إِنْ أُنتَجَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ الْمَقْصُودِ، وَوَاجِبٌ إِنْ وَجَبَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فِيهِ عِصْمَةٌ مَنْ يَجِبُ انْقِادُهُ، وَكَذَا إِذَا خَشِيَ عَلَى الْوَدِيعَةِ مِنْ ظَالِمٍ وَجَبَ الْإِنْكَارُ، وَالْحَلْفُ وَكَذَا إِذَا كَانَ لَا يَتِمُّ مَقْصُودُ حَرْبٍ أَوْ إِصْلَاحٍ ذَاتِ الْبَيِّنِ أَوْ اسْتِمَالَةِ قَلْبِ الْمَجْنُونِ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ، وَكَذَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ فَاحِشَةٌ كَالزُّنَى وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَسَأَلَةِ السُّلْطَانِ فَلَهُ أَنْ يَكْذِبَ وَيَقُولَ مَا فَعَلْتَ، ثُمَّ قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابَلَ مَفْسَدَةُ الْكَذِبِ بِالْمَفْسَدَةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الصِّدْقِ

فَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الصِّدْقِ أَشَدَّ فَلَهُ الْكَذِبُ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْعَكْسِ أَوْ شَكَّ فِيهَا حُرْمُ الْكَذِبِ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ لَا يَكْذِبَ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ لَمْ تَحْسُنِ الْمُسَامَحَةُ بِحَقِّ الْغَيْرِ، وَالْحَزْمُ تَرْكُهُ حَيْثُ أُبِيحَ. وَعَلِمَ أَنَّهُ يَجُوزُ الْكَذِبُ اتِّفَاقًا فِي ثَلَاثِ صُورٍ كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: لَمْ أَسْمَعْ بِرُخْصٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ أَمْرَاتُهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ



الثَّلَاثِ الصُّوَرِ. أَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ مَرْفُوعًا: «الْكَذِبُ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا بِذَلِكَ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ»

(قُلْتُ): أَنْظِرْ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ كَيْفَ حَرَّمَ النَّمِيمَةَ وَهِيَ صِدْقٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إفسَادِ الْقُلُوبِ وَتَوَلِيدِ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَحْشَةَ وَأَبَاحَ الْكَذِبِ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا إِذَا كَانَ لِيَجْمَعَ الْقُلُوبَ وَجَلِبِ الْمَوَدَّةَ وَإِذْهَابِ الْعَدَاوَةِ . اهـ



بيان كفارة الغيبة

١٥٣١ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كَفَّارَةٌ مَنْ اغْتَبَتْهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»^(١). رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان كفارة الغيبة.

حديث الباب موضوع ، في سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك وعليه جماهير أهل العلم.

مع اختلاف أهل العلم إلى أقوال:

الأول: قال بعضهم: إن كان من اغتبه قد وصلت إليه الغيبة، فتطلب منه المسامحة، وتحلل منه.

الثاني: إن كانت لم تصل إليه الغيبة فلا تخبره بها فتجمع له بين الغيبة، وبين ما يضييق صدره .

لكن يستغفر له، ويذكره بالجميل .

الثالث: قال بعضهم: تستسمح منه مطلقا .

والقول الثاني هو المقدم، وعليه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد نقلناه في كتابنا: "شروط التوبة إلى الله"، عن بعض أهل العلم.

فهذا ليس تحللاً، وإنما هو سوء صنيع، وسوء فقه.

(١) أخرجه الحارث (١٠٨٠) وفي سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك، كما في الميزان. وكان يضع الحديث. وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (١٥١٩).



فالإنسان واجب عليه أن يستر نفسه، وغيره من المسلمين.
ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين

١٥٣٢ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَصِمُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين. حديث الباب يدل على تحريم الخصومة الشديدة والمبالغة فيها فيما بين المسلمين.

وأن الله عَزَّجَلَّ يبغض من هذا حاله .

وفيه: إثبات صفة البغض لله عَزَّجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بالله عَزَّجَلَّ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).

قوله: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ»: خرج مخرج الغالب، وإلا فإن الحكم واحد في حق الرجال، وفي حق النساء.

قوله: « الْأَلْدُ الْخَصِمُ ».

الألد الخصم: أي شديد الخصومة، والمبالغ فيها، فيما بينه وبين المسلمين. والفجور في الخصومة من صفات المنافقين، كما تقدم . فلا يجوز للمسلم أن يفجر في خصومته، بل يلزم الحق في الغضب والرضا . وينبغي للمسلم أن يكون ليناً، متواضعاً، سهلاً، مع أخوته المسلمين. وإن كان له حق يأخذ حقه بالطرق الشرعية بغير فجور ونحوه . وعليه أن ينصف غيره من نفسه، وينصف نفسه من غيره، هذا هو خلق المؤمن

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٨)، بل والبخاري (٧١٨٨).



الذي يتخلق بأخلاق الشرع.

ففي مسند البزار رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث عَمَّارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَدْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ" (١).
وقد روي الحديث موقوفاً ومرفوعاً، والصحيح الوقف.
والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣٩٦)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ مَوْقُوفًا عَلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

الترغيب: هو الحث والتحريض على الشيء.

ومكارم الأخلاق: أي الأخلاق الحميدة الممدوحة في الكتاب والسنة.

وأحسنها: أن تتخلق بالقرآن، وأن تتأسى بالنبي ﷺ، فلا أكمل من ذلك أبدًا.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من طريق حكيم وهشام بن عامر أنها دخلا على

عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا، فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: «أَحْكِيم؟»

فَعَرَفْتُهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: «مَنْ مَعَكَ؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَتْ: «مَنْ هِشَامٌ؟»

قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ، فَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ خَيْرًا - قَالَ فَتَادَهُ: وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ -

فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنِ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»

قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(١)، وفي الصحيحين: من حديث

أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»^(٢).

وكان النبي ﷺ يحسن إلى القريب، والبعيد وكان لا يغضب لنفسه.

وكان ديدنه الرفق بالناس، بل قد أحسن ﷺ إلى المنافقين مع شدة ما إيذائهم له .

فكم أكرمهم ومع ذلك تمالؤا عليه .



(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

الأمر بلزوم الصدق

١٥٣٣ - (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان الدعوة إلى التحلي بالصدق ظاهرًا وباطنًا.

المراد بالصدق صدق الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَالْقَانِنِينَ وَالْقَانِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

بيان أعظم الصدق:

والصدق له ثلاث مراتب:

الأولى: الصدق مع الله **عَزَّوَجَلَّ** بتوحيده، وإفراده بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وهكذا لزوم طاعته وتقواه .

المرتبة الثانية: الصدق في متابعة النبي **ﷺ**، في جميع: "أقواله، وأفعاله، ومعتقداته".

المرتبة الثالثة: الصدق مع الناس في الأقوال، والأفعال، وفي جميع أنواع المعاملات .
قوله: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ» أي: الزموا الصدق في جميع شأنكم: في الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

وهذه الوصية خطب بها أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لما تولى الخلافة.

قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير.

فالصدق يهدي إلى كل خير، وإلى كل طاعة، وإلى كل ما يحب الله **عَزَّوَجَلَّ** ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة.

وإلى كل ما يصلح القلوب، والأقوال، والأفعال.

وإلى صلاح الظاهر، والباطن بإذن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في بيان البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

فالبر يشمل الخير كله، والدين كله، والطاعة كلها .



قوله: «وَأَنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»: فسبيل الجنة هو طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** في فعل ما أمر به، وفي ترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى.

وكما قيل:

تدري أخي أين طريق الجنة طريقها القرآن ثم السنة
وفيه: دليل على أن الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح، وهو سبب من الأسباب في دخول الجنة.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ:** ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ»: وذكر الرجل خرج منخرج الغالب، وإلا فإن المرأة يشملها هذا الحكم.

وفيه: أن الصدق يكون بالتعود.

وفيه: تحري الصدق؛ فإن الإنسان قد يزل كلامه، ويخرج فيه عن الصدق.

قوله: «حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا» والصدیق: من صيغ المبالغة، أي كثير الصدق: في كل قول، وفعل، ومعتقد.

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ ذَلِكَ

الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

قوله: «وَأَيُّكُمْ وَالْكَذِبُ»: أي: احذروا الكذب، واجتنبوه.

قوله: «فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ» الفجور: اسم جامع لكل شر.

فالكذب يهدي إلى الفجور، ويقود إليه.

ويكون الفجور في مخالفة الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، قولاً، وفعلاً، واعتقاداً.

وفي دعوة نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٣٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]..

قوله: «وإنَّ الفُجورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»: فالفجور طريق وسبيل إلى النار وبئس القرار، والعياذ بالله عَزَّوَجَلَّ.

وقد يكون الفجور بالشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أعظم الفجور على الإطلاق . وقد يكون بالبدع والمحدثات، وقد يكون بالكبائر والعظائم، وقد يكون بالمعاصي والخطايا والذنوب وهكذا .

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ»: وكذلك المرأة، فيشملها الحكم أيضًا.

قوله: « حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»: وهذه أعظم فضيحة؛ أن المرء يكتب عند الله عَزَّوَجَلَّ كذابًا فيعيش عليها، ويموت عليها، ويبعث عليها . وإذا كتب العبد كذابًا كان من المبعدين المقصيين، ولا سيما إذا كان كذبه في الطاعات، والقربات التي يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبراً: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣) [المنافقون: ١-٣].





بيان أن سوء الظن أكذب الحديث

١٥٣٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان أن من حسن الخلق ترك الظن السيء. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، بما يغني عن الإعادة، والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

بيان حق الطريق

١٥٣٥ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «عَضُّ النَّبْصِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان حق الطريق .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» أي: احذروا واتركوا الجلوس في الطرقات؛ لما يؤدي الجلوس فيها من الأذية للمارين في الطريق، ولا سيما من النساء .

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا» أي: أن الطريق هي من الأماكن العامة التي يلتقي فيها الناس، ويجتمعون فيها؛ من غير كلفة، ومشقة فيما بينهم؛ حتى يتحدثون فيها.

وليس في هذا اعتراض على النبي ﷺ، وإنما أرادوا أن يبينوا للنبي ﷺ بسبب جلوسهم .

قوله: " قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ» " أي: إذا لم تتركوا الجلوس في الطرقات .

قوله: «فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» أي: الزموا شرع الله عَزَّوَجَلَّ في المكان الذي جلستم فيه .

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٦١).



قوله: «قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟» وفيه: السؤال فيما يجهل من أمر الدين .

قوله: " قَالَ: «عَضُّ الْبَصْرِ»": وبدأ النبي ﷺ بالأمر بغض البصر؛ لأن إطلاقه فيما حرم الله عزَّجَلَّ سبب الفتنة بالنساء وما في باها .

ويقول الله عزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠-٣١]..

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَعَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(١).

وقد قال الشاعر:

كل الحوادث مبداهها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

قوله: «وَكَفُّ الْأَدَى» أي: يكف الأذى عن المار في الطريق .

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٧٠).

سواء كان الأذى القولي: كالسب والشتم، أو السخرية، وغير ذلك .
أو الأذى الفعلي: كالرمي، أو وضع الشوك في الطريق، أو غير ذلك من أنواع الأذى.

قوله: «وَرَدُّ السَّلَامِ» أي: يرد السلام على من سلم، وقد تقدم بيان ذلك .

قوله: «وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» أي: ومن حق الطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يكون على حسب الاستطاعة، باليد واللسان والقلب، لحديث: أبي سعيد الخدري ت قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم .

وهذا الحق لا يستطيع له إلا من كان قويا في دينه، ولهذا ينصح المؤمن بعدم الجلوس في الطريق؛ لأنه ربما أخل بهذا الباب، وبما بعده من النهي عن المنكر؛ فيأثم.

فالسلامة لا يعدلها شيء .

لأن عصاة المسلمين ولا سيما في زماننا هذا كثير، فهذا يمر مسبل في ملبسه .
وذاك يمر وهو يسمع الأغاني .

والمرأة تمر غير محتجبة بالحجاب الشرعي .

وهذا يمشي وهو يسب وشتم، وهذا يمشي وهو يؤذي غيره من المسلمين .

والله أعلم .





بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة

١٥٣٦ - (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضيلة العلم، ومنزلة الرفيعة.

قوله: «وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هو وأبوه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ. وقد كان من كتاب الوحي للنبي ﷺ.

وهو ملك المسلمين وخليفتهم بعد أن تنازل له الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاها بالخلافة.

📖 قال شيخ الإسلام في المجموع (٤ / ٤٧٨): وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "يَكُونُ الْمُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ ثُمَّ يَكُونُ عَضُوضٌ" "وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحُلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكِ غَيْرِهِ. اهـ

والرافضة يبغضونه ويتنقصونه بسبب ما حصل بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حروب.

قوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا»: إرادة كونية كما أنها شرعية.

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

فمن وفقه الله **عَزَّجَلَّ** للتفقه في دين الله **عَزَّجَلَّ**، وطلب العلم الشرعي، فقد أراد الله **عَزَّجَلَّ** به خيراً عظيماً، إذ أنه سبيل الرفعة والعزة والنصر والتمكين، وهو ميراث الأنبياء والمرسلين، وسبيل إلى جنة النعيم، فمن أراد خيري الدنيا والآخرة لزم غرزة، وعلم وعمل به، ثم دعا إليه، فمن فعل ذلك فقد كملت له طريق المكارم، ولي في ذلك وكن بالعلم محتفياً علو في الحياة وفي المعاد .

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه في دين الله **عَزَّجَلَّ** ويوفق لذلك لم يرد الله **عَزَّجَلَّ** به خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قوله: «يُفْقَهُهُ» أي: يعلمه ويفهمه علم الكتاب والسنة؛ فيعبد الله **عَزَّجَلَّ** ويدعو إليه على بصيرة من أمره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

قوله: «في الدين» إذ أن العلم الممدوح: هو علم الدين، علم الكتاب والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ .

يقول الله **عَزَّجَلَّ** أمراً نبيه للترود منه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١١٤] .
ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٣] .

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] .
ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [١١] ، ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ



وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ .

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ .

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾ [النحل: ٤٣-٤٤]..

والمعنى الإجمالي للحديث: أن العلم مفتاح كل خير، كما أن الجهل مفتاح لكل

شر وضير، والله المستعان، وقد تكلم ابن القيم عن فضل العلم من أوجه كثيرة في

كتابه مفتاح دار السعادة لمن أراد مزيداً من ذلك، والحمد لله رب العالمين .



بيان فضل حسن الخلق

١٥٣٧ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ فَضْلِ حَسَنِ الْخَلْقِ وَآثَرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك.

قوله: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ»: وهو الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان، وميزان حقيقي، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٤٧) [الأنبياء: ٤٧]، وقال في حق الكفار: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَخِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(١٠٥) [الكهف: ١٠٥].

قوله: «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» أي: أن الخلق الحسن من أفضل ما يكون من الأعمال التي تثقل بها الموازين يوم القيامة.

وقد تقدم أن حسن الخلق يكون مع الله عَزَّجَلَّ بتوحيده، وحسن عبادته، وطاعته. بفعل أو امره، واجتناب نواهيه.

ويكون حسن الخلق مع الخلق: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللهِ فِي صَحِيحِ وَضْعِيْفِ أَبِي دَاوُدَ (٤٧٩٩)، وَفِي الصَّحِيْحَةِ (٨٧٦).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا"، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٣).

وَالثَّرَثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْدُو عَلَيْهِمْ.

ولو لم يكن من فضيلة حسن الخلق إلا أنه من سجية النبي ﷺ. وفيه: دليل على وزن الأعمال يوم القيامة.

﴿ بيان الموزون يوم القيامة: ﴾

والذي يوزن يوم القيامة ثلاثة أمور:

الأول: العمل.

ودليله حديث الباب، وغيره من الأحاديث.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي.

الثاني: العامل.

ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ ذَفِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

الثالث: الصحف التي فيها الأعمال.

ففي السنن: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضِرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ "، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٢).

ولا يلزم أن توزن الثلاثة لكل شخص؛ وإنما قد توزن في شخص بعضها، ويوزن لشخص آخر بعضها.

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢٧٥٠)، وحسنه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند (٨٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٧٨٧).



ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نُفَعِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥) [الكهف: ١٠٥]»^(١).

ومعنى الآية: أن الكفار يوزنون؛ ولا يقام لهم وزن، لفساد أعمالهم، وسوء صنيعهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم لا يوزنون لكن ما تقدم هو الصحيح.

﴿ بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط: ﴾

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الميزان يوم القيامة حقيقي، وهو ميزان واحد عظيم وله كفتان.

والدليل على ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا السابق وفيه: «أن السجلات توضع في كفة، وأن البطاقة توضع في كفة».

وذهب بعضهم إلى أنها موازين كثيرة، واستدلوا بقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (٤٧).

والصحيح القول الأول، وإنما جاءت الآية بلفظ الجمع؛ لكثرة ما يوزن به يوم القيامة.

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

«فَاطْبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ»^(١).

فالنبي ﷺ أثبت في هذا الحديث أنه ميزان فقط، ولم يذكر أنها موازين، كما أن الحوض واحد، والصراط واحد، والله أعلم.

﴿ بيان من أنكر الميزان: ﴾

وأنكر الميزان الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وزعموا: بأن الميزان إنما يحتاج إليه الثوام، والبقال، تعال الله عزَّجَلَّ عن قولهم علواً كبيراً.
والحق: أن الله عزَّجَلَّ وضع الميزان لإظهار عدله وفضله، والله المستعان.



(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحٍ وَضَعِيْفِ التَّرْمِذِيِّ، وَهُوَ فِي الصَّحِيْحَةِ (٢٦٣٠)، وَحَسَنَهُ الْإِمَامُ الْوَادِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الصَّحِيْحِ الْمَسْنَدِ (٣١).



بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان

١٥٣٨ - (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان .
والحياء: خلق يحمل صاحبه على ترك كل قبيح وهو خلق قلبي عظيم .
ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).
وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق أَبِي السَّوَّارِ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةٌ، فَقَالَ عِمْرَانُ: "أَحَدْتُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَحَدَّثَنِي عَنْ صُحُفِكَ".
وفي لفظ لمسلم أيضا: : «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»^(٣).
وفي مستدرک الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (٣٧).

«الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢/ ٦٨٩):

الْحَيَاءُ فِي اللُّغَةِ: تَغْيِيرُ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفِ مَا يُعَابُ بِهِ.

وَفِي الشَّرْعِ: خُلِقَ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً فَهُوَ فِي اسْتِعْمَالِهِ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابِ وَعِلْمٍ وَبَيَّةٍ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْإِيمَانِ. وَقَدْ يَكُونُ كَسْبِيًّا.

وَمَعْنَى كَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُسْتَحْيَ يَنْقَطِعُ بِحَيَائِهِ عَنِ الْمَعَاصِي فَيَصِيرُ كَالْإِيمَانِ الْقَاطِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ اِرْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَمَا يَمْنَعُ الْإِيمَانُ؛ فَسُمِّيَ إِيْمَانًا كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَامَ مَقَامَهُ.

وَالْحَيَاءُ مُرَكَّبٌ: مِنْ جُبْنٍ وَعِفَّةٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

فَإِنْ قُلْتَ قَدْ يَمْنَعُ الْحَيَاءُ صَاحِبَهُ عَنِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ؟

وَهُوَ إِخْلَالٌ بِبَعْضِ مَا يَجِبُ فَلَا يَتِمُّ عُمُومٌ " إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ " .

(قُلْتَ) قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الْحَيَاءُ الشَّرْعِيُّ،

وَالْحَيَاءُ الَّذِي يَنْشَأُ عَنْهُ تَرْكُ بَعْضِ مَا يَجِبُ لَيْسَ حَيَاءً شَرْعِيًّا؛ بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٨)، ورواه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عمر

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١٣١٣)، وصح الموقوف والمرفوع، كما قال ذلك الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ

الأدب المفرد (٩٩١). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٧٥٢).



وَإِنَّمَا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ لِمُشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الشَّرْعِيَّ .
وَبِجَوَابِ آخَرَ: وَهُوَ أَنَّ مَنْ كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ فَالْخَيْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ .
أَوْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ كَانَ الْخَيْرُ فِيهِ بِالذَّاتِ فَلَا يُنَافِيهِ حُصُولُ التَّقْصِيرِ فِي
بَعْضِ الْأَحْوَالِ .
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُنَهَمِ شَرْحَ مُسْلِمٍ: وَكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوْعَانِ مِنَ
الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ وَالْغَرِيزِيِّ .
وَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي
الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا - ﷺ - . اهـ



بيان سوء قلة الحياء

١٥٣٩ - (وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان سوء قلة الحياء .

قوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» أي: مما أدركه الناس ممن كان قبلهم، وتناقلوه فيما بينهم، وعاشوا عليه.

قوله: «مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» أي: من كلام الأنبياء والرسل السابقين لمبعث النبي ﷺ، ولعله من كلام عيسى عليه السلام .

قوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أي: أن الإنسان إذا لم يكن عنده حياء يمنعه من فعل القبيح فعل الشرور والآثام.

وليس هذا على سبيل الإقرار، وإنما على سبيل الإخبار بحال من قل حياؤه . وفي المثل اليمني عند عامة الناس: "إذا لم تستحِ فاصنع ما تشتهي" ومعناه موافق لمعنى الحديث لأن الحياء خلق جليل يمنع صاحبه من فعل القبيح، فالإنسان إذا لم يكن عنده حياء؛ فعل القبيح، والشر، والحرام، ولا يبالي بذلك.

وكان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها؛ وذلك لأنه ﷺ كان مراقباً لله عَزَّوَجَلَّ في كل سكناته، وحركاته.

وعاملاً بما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ عنه ﷺ، والله المستعان. والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه البخاري (٦١٠).



بيان قوي الإيمان من ضعيفه

١٥٤٠ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتِعْنُ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).



ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان قوي الإيمان من ضعيفه، وذلك أن الناس يتفاوتون في الإيمان على قدر أعمالهم .

بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا أمر ثابت: بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾.

ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾.

ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ .

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ .

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ .

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْلُهُمْ ﴿١٧﴾﴾ .

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

وأما من السنة:

ففي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: عن أبي سعيد الخدري - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : «أَمَا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعف الإيمان»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أبي سعيد الخدري - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - ، قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْفِرْنَ اللَّعْنَ، وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ

(١) أخرجه مسلم (٤٩).



تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَدَلِّكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^(١).

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

﴿ بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن: ﴾

علق البخاري في صحيحه^(٢): " وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَحْشَ فَسَأَبِينَهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمَّتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ» .

قوله: «المؤمن القوي».

والمراد بالقوي هنا: أي القوي في إيمانه، ولا القوة البدنية .

إلا إذا جمع الله عزَّجَلَّ للشخص بين القوة الإيمانية والبدنية كما كان حال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد جمع الله عزَّجَلَّ له القوتين: قوة الإيمان، وقوة البدن .
فالقوة البدنية إن لم تكن مقارنة للقوة الإيمانية لا مصلحة فيها؛ لأن الإنسان ربما ظلم، وقتل، وضرب، وتعدى على المسلمين، وأفسد في الأرض بسبب قوته وضعف إيمانه، كحال الكافرين وكثير من عصاة المسلمين.

﴿ بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب: ﴾

فللقوة البدنية مع القوة الإيمانية مراتب ثلاث:

الأولى: وهي أعلى المراتب أن يجمع الله عزَّجَلَّ القوة البدنية، مع القوة الإيمانية،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقا (١/ ١١)

والعلمية، والعملية .

الثانية: أن يكون المؤمن قويا في إيمانه، ضعيفا في بدنه .

الثالثة: وهي المرتبة الدنيا.

أن يكون قويا في بدنه وضعيفا في إيمانه .

الرابعة: أن يكون ضعيفا في إيمانه وبدنه .

قوله: «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» أي: أنه يكون خير من المؤمن الضعيف في إيمانه .
وستكون أعماله التي يتقرب بها إلى الله **عَزَّجَلَّ** أكثر من أعمال غيره من المؤمنين،
ولا سيما ممن كان قل إيمانه .

فالمؤمن القوي أحب إلى الله **عَزَّجَلَّ** من المؤمن الذي إيمانه أقل منه .

أعماله الصالحة الكثيرة التي يفعلها وتزيد في إيمانه .

قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» أي: ضعيف الإيمان؛ لأن أعماله الصالحة التي
يتقرب بها إلى الله **عَزَّجَلَّ** أقل من أعمال غيره .

فالإيمان تضعفه المعاصي والذنوب والسيئات باختلاف أنواعها ودرجاتها .
فإن العبد كلما تقرب إلى الله **عَزَّجَلَّ** بالطاعات، وأكثر من فعل الخيرات والقربات
زاد إيمانه .

وكلما أكثر من المعاصي والذنوب نقص إيمانه بقدر ذلك .

﴿ بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان: ﴾

الأول: ما يجد في قلبه من الخشوع، ومن الرقة، والتذلل، والخضوع، والتواضع
والاستكانة لله **عَزَّجَلَّ**، وغير ذلك .

الثاني: الزيادة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة .

الثالثة: التأثر في القلب والبدن؛ فإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد



كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب.

الرابع: ما يجد المؤمن في قلبه من الطمأنينة، والراحة، ولذة العبادات، والطاعات، وغير ذلك .

قوله: «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» أي: أن المؤمن حاله كله خير، سواء كان قويًا في إيمانه وهو هو الأفضل. أو كان ضعيفًا في إيمانه .

فهو في الدنيا: خير من غيره من أهل الكفر، والشرك، والنفاق، والإلحاد، وغيرهم.
وفي الآخرة: خير من هؤلاء حيث أن مآله إلى الجنة .

قوله: «أَحْرَصُ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ» أي: أنه على كل مؤمن أن يكون حريصًا على ما ينفعه في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وأن يحرص على ما يقربه من الله **عَزَّجَلَّ** .

قوله: «وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ» الاستعانة: هي طلب العون .

فيجب على المؤمن أن يستعين بالله **عَزَّجَلَّ** في كل شيء يريد: من أمور دينه، وآخرته، ودنياه.

إذ أن الاستعانة بالله **عَزَّجَلَّ** من أهم الأسباب في حصول المطلوب له: "وهو رضوان الله **عَزَّجَلَّ**، والنظر إلى وجهه الكريم، ودخول جنته".

وفي النجاة من المهروب منه: "وهو عذاب الله **عَزَّجَلَّ**، وسخطه، وناره".

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

فهذه الآية إليها يرجع الدين كله، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** .

فإننا ما خلقنا في إلا لعبادة الله **عَزَّجَلَّ** وتوحيده؛ ولكن نعبد الله **عَزَّجَلَّ** كما يُحب؛ لا بد أن نستعين به .

فأول ما يجني عليه اجتهاده

إذا لم يكن من الله عون للفتى

فإن العبد وإن كان قد آتاه الله **عَزَّجَلَّ** العلم؛ فهو ضعيف وعاجز ويحتاج إلى توفيق من الله **عَزَّجَلَّ**، وعونه .

قوله: «وَلَا تَعْجَزْ» أي: تعجز عن العمل، ويسيب الفتور .

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»** (١).

قوله: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» أي: من الأقدار التي تنوب الإنسان: من أمراض، وأسقام، ومصائب، ومحن، وفتن، ومحزنات، وسائر الابتلاءات .

قوله: «فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا» أي: معترضاً على القدر فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، إلا أنه ينبغي أن تعلم أن العبد مخير في الأمور الشرعية، ومسير في الأمور الكونية.

هذا هو الصحيح في جواب قولهم هل العبد مخير أم مسير؟

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** (١٥٤).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

كَانُوا عُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَاتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٧]..

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ قَاتِلٌ فَهَلْ هَلْوَءَ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾. قوله: «**وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**».

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

قوله: «**فَإِنْ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»: والإنسان المؤمن مأمور بإغلاق مداخل الشيطان، عليه ولا يسلم إلا من سلك ما أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله ﷺ به .

ويجوز قول (لو) في تمني الخير، وقد بوب البخاري في صحيحه باب قول لو، وفي كتاب التوحيد: باب ما جاء في لو أي من النهي والجواز .

ففي الصحيحين: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْ لَا أَنْ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**»^(١).



(١) أخرجه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦).

الحث على التواضع

١٥٤١ - (وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث للحث على التواضع .

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهَلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَّتَهُمْ وَعَجَمَتَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَعُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُواكَ، وَاعْزُهُمْ نُعْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ، وَأَبْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِي هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا حَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .



يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالسُّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ" (١) وآخره ما ساقه المصنف: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أخرجه مسلم .

قوله: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ»: وقد يكون وحي الله عَزَّجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١] .

قوله: «أَنْ تَوَاضَعُوا» أي: أن التواضع مما أوحاه الله إلى النبي ﷺ .
وذلك لبيان لفضله.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٨-١٩] .

بيان أنواع التواضع:

فالتواضع يكون على أنواع:

الأول: تواضع مع الله عَزَّجَلَّ، وذلك بقبول شرعه .

الثاني: تواضع مع خلق الله عَزَّجَلَّ؛ حتى لا يبغي المؤمن على غيره .

وما أحسن قول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر	على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه	إلى طبقات الجو وهو وضيع

والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة:

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»^(١).

﴿ بيان أن الجزاء من جنس العمل: ﴾

ولما كان المتواضع يضع نفسه لله عَزَّجَلَّ، ويتعامل معهم بما يوافق شرع الله عَزَّجَلَّ، كان جزاؤه أن الله عَزَّجَلَّ رفعه في الدنيا والآخرة .
ولما كان المتكبر يرفع نفسه بما يسخط الله عَزَّجَلَّ ، وضعه الله عَزَّجَلَّ في الدنيا والآخرة .

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأَقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَاءِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(٢).

والأمر بالتواضع عام للرجال والنساء، الإنس والجن، أي لكل مكلف .
فالمؤمن لا يفتخر بعلمه، ولا عمله، ولا جماله، ولا ماله، ولا منصبه، ولا جاهه، ولا قبيلته، ولا عشيرته، ولا بشيء من شؤون الدنيا .
فالأمر لله عَزَّجَلَّ وحده، إذ لو شاء سلب هذه النعم .

﴿ بيان معنى التواضع: ﴾

التواضع: عدم الكبر، والكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١١).



ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» (١).

فالكبر: هو عدم قبول الحق، وتنقص الناس، والاستهزاء بهم، واحتقارهم، وغير ذلك.

والتواضع: قبول الحق، وهضم النفس، ولين الجانب، والتعامل مع المؤمنين بالرفق واللين، وعدم احتقارهم وغمطهم.

📖 قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّبِيلِ (٢/٦٩١): التَّوَّاضِعُ عَدَمُ الْكِبْرِ وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْكِبْرِ.

وَعَدَمُ التَّوَّاضِعِ يُؤَدِّي إِلَى الْبَغْيِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ مَزِيَّةً عَلَى الْغَيْرِ فَيَبْغِي عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَيَفْخَرُ عَلَيْهِ وَيَزْدَرِيهِ.

وَالْبَغْيُ وَالْفَخْرُ مَذْمُومَانِ، وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي سُرْعَةِ عُقُوبَةِ الْبَغْيِ مِنْهَا عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَوْ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُعْجَلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَصِيَ اللهُ بِهِ هُوَ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ». اهـ

قوله: «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أي: أن التواضع من أعظم أسباب السلامة من البغي والكبر هو السبب البغي، والتعدي، والظلم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ

(١) أخرجه مسلم (٩١).

إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

قوله: «وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ»: تحريم الفخر والخيلاء والاستطالة على الخلق. وجاء في الأدب المفرد للإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ:** من طريق عَتِيٍّ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ: "رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - رَجُلًا تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْصَهُ أَبِي وَلَمْ يَكُنْهُ، فَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَالَ: كَأَنكُمْ أَنْكَرْتُمُوهُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَهَابُ فِي هَذَا أَحَدًا أَبَدًا إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْصُوهُ وَلَا تَكْنُوهُ».

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»^(١).

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: من طريق المَعْرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ، قَالَ: "مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - بِالرَّبْدَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: "يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبَّوْا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).



و عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبْتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدْعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ، الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التُّنَّ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .



فضيلة من رد عن عرض المسلم

١٥٤٢ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ.

١٥٤٣ - (وَالْأَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - نَحْوُهُ^(٢)).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان منزلة الرد على عرض المسلم في ظهر الغيب.

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٩٢): فِي الْحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ اغْتَابَ أَحَاهُ عِنْدَهُ وَهُوَ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ وَلِذَا وَرَدَ الْوَعِيدُ عَلَى تَرْكِهِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتُهُ» وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْهُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَلَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» (٤٧) [الروم: ٤٧]» وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ الشَّيْخِ أَيْضًا «مَنْ حَمَى عَرْضَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللهُ لَهُ مَلَكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٤٣)، وفي سنده مرزوق أبي بكر التيمي مجهول. وأخرجه أحمد (٢٧٥٣٦) من طريق ليث بن أبي سليم، عن شهر، عن أم الدرداء، وليث وشهر ضعيفان، ويشهد له ما بعده. وهو في الضعيفة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٥٨٠)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٨): "صحيح لغيره".

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٦٠٩)، بسند ضعيف؛ فيه شهر بن حوشب لكنه حسن بما قبله ولفظه: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ».



يَحْمِيهِ مِنَ النَّارِ» وَأَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ «مَنْ أُغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ فَاسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ فَنَصَرَهُ
نَصْرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» بَلْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْتَمَعَ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ فَمَنْ حَضَرَهُ الْغَيْبَةُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُمُورِ
الرُّدِّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ وَلَوْ بِإِخْرَاجِ مَنْ اغْتَابَ إِلَى حَدِيثِ آخَرَ أَوْ الْقِيَامِ عَنْ مَوْقِفِ
الْغَيْبَةِ أَوْ الْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ أَوْ الْكَرَاهَةِ لِلْقَوْلِ وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ السُّكُوتَ كَبِيرَةً
لِوُرُودِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلِدُخُولِهِ فِي وَعِيدٍ مَنْ لَمْ يُغَيِّرِ الْمُنْكَرَ؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ حُكْمًا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَابًا لُغَةً وَشَرْعًا. اهـ

قوله: «وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ». من طريق عبيد الله بن أبي

زياد، عن شهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

• تنبيه: ليس من الكلام الممنوع الجرح والتعديل، فهو من النصيحة لدين الله

عَزَّوَجَلَّ وللمسلمين، فإن الجرح والتعديل سبيل عظيم للذب عن الدين وبيان حال
المبطلين.



فضل الصدقة

١٥٤٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان أمور:

الأول: أن المال لا ينقص على صاحبه من الصدقة.

الثاني: أن العفو يزيد صاحبه عزاً في الدنيا وفي الآخرة.

الثالث: أن التواضع سبب للرفعة في الدنيا، والآخرة.

وحديث الباب يدل على أن المال لا ينقص على صاحبه بالصدقة؛ لأن الصدقة سبب للنماء والبركة .

بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين:

والبركة تنقسم إلى قسمين:

الأول: حسية بحيث أن الله عَزَّجَلَّ يخلف على صاحبه المال الذي تصدق بمال أفضل، وأعظم منه؛ فينمو ماله ويزيد.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾^(٢١).

الثانية: معنوية، بحيث أن الله عَزَّجَلَّ يبارك في المال فيحفظه من السرقة، والضياع،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) .



والفساد، ويحفظ صاحبه: من الأمراض، والمصائب، والفتن .

قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»: لما تقدم من الخلف والبركة فيه .

والصدقة: اسم عام لواجبة: من زكاة الأموال، والأنعام، والحبوب والثمار أو

مستحبة.

فالبركة: هي زيادة الخير الإلهي، ونماؤه، وكثرته.

﴿ بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله عَزَّجَلَّ عَزًّا: ﴾

قوله: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»: وحديث الباب فيه أن العفو يزيد صاحبه عند

الله **عَزَّجَلَّ**، وعند الناس عِزًّا، في الدنيا، والآخرة.

والنبي **ﷺ** كان حريصاً على العفو .

ففي سنن الإمام أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: «مَا

رَأَيْتُ النَّبِيَّ **ﷺ** رَفَعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تَرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرِ

اللَّهُ لَكُمْ، وَيُلْ لِقِمَاعِ الْقَوْلِ، وَيُلْ لِلْمُصْرِينِ الَّذِينَ يُصِرُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يَعْلَمُونَ»^(٢).

قوله: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»: والتواضع سبب لرفعة الله **عَزَّجَلَّ** لعبده في

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩٧)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في

صحيح الأدب المفرد (٣٨٠/٢٩٣).

الدنيا، والآخرة، وكما أن المتكبر يضعه الله **عَزَّجَلَّ** ويذله في الدنيا، والآخرة.
ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي
عَذَّبْتُهُ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).



فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام

١٥٤٥ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ هذا الحديث لبيان فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

والحديث له قصة ففي سنن الإمام الترمذي: من في الحديث قصة عبد الله بن سلام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَنْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

قوله: «وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

في صحيح الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمْتَ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَأَبْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ وَأَبْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤، ١٣٣٥)، والدارمي (١٥٠١)، وأحمد (٢٣٧٨٤)، وله شواهد وأعل بالانقطاع بين زرارة بن أوفى وابن سلام. وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْإِرْوَاءِ (٧٧٧)، وهو في أحاديث معلة ظاهرها الصحة للإمام الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ (١٩٤).



فَسَأَلَهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَاتَّهَمُوا إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِي مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلِكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَاعْلَمْنَا وَابْنُ اعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" (١).

وفي الصحيحين: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -" قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الْآيَةَ، قَالَ: «لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ» (٢).

وفي الصحيحين: من طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأَحَدْتُكَ لِمَ ذَلِكَ: رَأَيْتَ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).



وَحُضْرَتَيْهَا - وَسَطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي
أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ازق، قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَاتَانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي،
فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَإِنَّهَا
لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ
عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ» وَذَلِكَ
الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ^(١).

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!»: عام يراد به الخصوص، أي من آمن منهم.

كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

والناس: لفظ عام يشمل الجن والإنس .

وقد يرد به الإنس إذا قترن بالجن، كما في قول الله عزَّجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٦﴾﴾ .

قوله: «أَفْشُوا السَّلَامَ»: وهذا أمر وفيه فضيلة رد السلام لما فيها من المصالح الدينية
والدنيوية.

قوله: «وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ»: تقدم بيان أن صلة الأرحام من الأمور الواجبة، وأن قطع
الأرحام من الكبائر والعظائم، للوعيد الذي جاء في حق القاطع، وأنه لا يدخل الجنة.
وصلة الأرحام: تكون بالكلام، والزيارة، والإحسان إليهم، وتكون بالمواساة
بالمال ونحوه، وغير ذلك من أوجه الصلة .

قوله: «وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ»: ويدخل في ذلك جميع أنواع الإطعام، سواء كان ذلك

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).



على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وعلى الأيتام، والأرامل، وغيرهم.
وسواء كان الطعام صدقة، أو من باب الضيافة، أو النفقة الواجبة: على الأولاد
والزوجة والأهل، أو النفقة المستحبة في وجوه الخير.

وفي فضل ذلك ما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا
سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ
وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(١).

قوله: «وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» أي قيام الليل، ففيه: الحث والترغيب على قيام
الليل، وقد تقدم الكلام في بيان فضله في بابه.

قوله: «تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» أي: أن ما ذكر في الحديث من أسباب دخول الجنة،
وهذا يدل على فضل هذه الأعمال المذكورة في الحديث، بشرط التوحيد.
والله الموفق



(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).



الدين النصيحة

١٥٤٦ - (وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثَلَاثًا. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةٍ وَالْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن الدين النصيحة.

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).

وجاء عند الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ: من حديث تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأُمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

قوله: «تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو أبو رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان نصرانياً ثم أسلم. وقد روى عنه النبي ﷺ حديث الجساسة، وهذا يعتبر من رواية الأَكْبَرِ عن الأصَاغِرِ.

قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» "ثَلَاثًا": وهذا يعتبر حصرًا للدين في النصيحة.

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وليس عنده لفظ: «ثلاثا» ولا كررت جملة: «الدين النصيحة».

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) (٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود.

لأن النصيحة كلمة عامة: تفيد الخلوص بالعمل لله عزَّوجلَّ.

ومعنى ذلك: أن جميع الدين: من أوامر، ونواهي، وقصص، وأخبار من النصيحة.

📖 قال النووي في شرحه على مسلم (٢ / ٣٧): قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحِظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ قَالَ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصِرِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ قَالَ وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثُوبَهُ إِذَا خَاطَهُ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثُّوبِ قَالَ وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَتِ الْعَسَلِ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عِمَادِ الدِّينِ وَقَوَامِهِ النَّصِيحَةُ كَقَوْلِهِ الْحَجُّ عَرَفَةَ أَيَّ عِمَادُهُ وَمُعَظَّمُهُ عَرَفَةَ وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ). اهـ

٤٥ بيان أن النصيحة لها عام، وخاص:

فالمفهوم العام: ما ذكر في حديث الناس، فالدين كله بما جاء فيه من أوامر، ونواهي، وأخبار، وقصص، كله من النصيحة.

والمفهوم الخاص: ما يبذله المسلم لأخيه المسلم من النصح، والإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، وأهله .

حتى أن النبي ﷺ كان يبايع أصحابه على النصيحة .

كما جاء ذلك في الصحيحين: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ:

«بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(١).

فلو أن الناس سلكوا هذا السبيل لكثر خيرهم، وقل شرهم بإذن الله عزَّوجلَّ.

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).



ولفظ: ثلاثاً، جاءت في سنن الإمام الترمذي رَحْمَةُ اللَّهِ وهو صحيح، وقد عرف عن النبي ﷺ إعادة الكلام ثلاثاً .

قوله: «قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فيه: السؤال عما يشكل، وهكذا ينبغي لكل مسلم أن يسأل عما يشكل عليه في أمر دينه.

قوله: "قَالَ: «لِلَّهِ»".

📖 قال النووي شرحه على مسلم (٢ / ٣٨): قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نَصْحِهِ نَفْسَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ نَصْحِ النَّاصِحِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التَّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصَدِيقُ بِمَا فِيهِ وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَتَقَهُمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ وَالي ما ذكرناه مِنْ نَصِيحَتِهِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَصَدِيقُهُ عَلَى الرَّسَالَةِ وَالْإِيْمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَنَصْرَتِهِ حَيَا وَمِيْتَا وَمَعَادَاةُ عَنْ عَادَاهُ وَمُؤَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ وَإِعْظَامُ حَقِّهِ وَتَوْقِيرُهُ وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبَثُّ دَعْوَتِهِ وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا وَالتَّادُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَاجْلَالِ أَهْلِهَا لِانْتِسَابِهَا إِلَيْهَا وَالتَّحَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّادُّبُ بِأَدَابِهِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنْ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ أَوْ تَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَتَنْبِيهِمْ وَتَذْكِيرُهُمْ

بِرْفِقٍ وَطُفٍّ وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا عَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغُهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكَ
 الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَتَأَلَّفَ قُلُوبَ النَّاسِ لِبَطَاعَتِهِمْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنَ النَّصِيحَةِ
 لَهُمُ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ بِالسَّيْفِ
 عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءٌ عَشْرَةٌ وَأَنْ لَا يُعْرُوا بِالشَّيْءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ
 يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ
 يَقُومُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ . اهـ

قوله: «وَلِكِتَابِهِ»: والنصيحة لكتابه: تكون بتعلمه، والعمل به، وتعلميه، والدعوة
 إليه، وامتنال أو امره بفعلها، واجتناب نواهيه بتركها، وبتصديق قصصه وأخباره،
 وبلاستشفاء به من أمراض القلوب، والشبهات، والشهوات، وبالتحاكم إليه عند
 الاختلاف، وبتلاوته: وتدبره، بخشوع، وبخضوع، وبحضور قلب.

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿الْمَصَّ ١﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِنُنذِرَ
 بِهِ. وَذَكَرْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
 مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الأعراف: ١-٣]..

قوله: «وَلِرَسُولِهِ»: والنصيحة لرسوله: تكون بطاعته في أمر، واجتناب ما نهى عنه
 وزجر، وأن لا يعبد الله عزَّجَلَّ إلا بما شرع، وبتصديق أخباره.

قوله: «وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ»: وهم حكام المسلمين، وخلفاؤهم، وملوكهم،
 ورؤسائهم، وأولياء أمورهم .

والنصيحة لهم: بطاعتهم في طاعة الله عزَّجَلَّ، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا
 وظلموا؛ لأن الخروج عليهم يؤدي إلى مفسد أعظم من ظلمهم وبغيهم، ويؤدي إلى
 سفك الدماء فيما بين المسلمين، ويؤدي إلى انتهاك الأعراس، وضياع الأموال،
 وانتشار الفوضى بين المسلمين، والخوف والرعب وعدم الأمن، وإلى مفسد لا



يعلم بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

منها النصح لهم: من أهل العلم والفضل، والإرشاد والدعاء لهم.

وفي رواية في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: أن النبي ﷺ قَالَ لِلْآخِرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

قوله: «وَعَامَّتِهِمْ» والنصيحة لعامة المسلمين: تكون بالنصح، والتوجيه، والإرشاد إلى كل خير، وبالتحذير من كل شر، وأهله .

ومن النصح للعامة: عدم الغش لهم: سواء كان في أمور دينهم، أو في أمور دنياهم، ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتُهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٣).

وغش عامة المسلمين من علماء أهل الضلال والبدع في أمر دينهم أعظم إثماً من غش الرعية فيما بينهم في أمر البيع والشراء وغير ذلك من أمور الدنيا.

وقد تكلم النووي رَحِمَهُ اللهُ بكلام نفيس على هذا الحديث في شرح مسلم.



(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢).



فضل التقوى وحسن الخلق

١٥٤٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضل التقوى وحسن الخلق.

قوله: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ» أي: من الأعمال الصالحة.

قوله: «تَقْوَى اللَّهِ»: وهو من أعظم الأعمال التي تدخل الجنة بعد توحيد الله عَزَّوَجَلَّ. لأن التقوى هي العمل بالدين كله، بحيث يجعل العبد بينه وبين عذاب الله عَزَّوَجَلَّ وسخطه وناره وقاية، وتكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي والمحظور.

والأدلة من الكتاب ومن السنة على ذلك كثيرة.

فمنها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾^(١٧).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾^(٥٤).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا^(٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا^(٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٦٩٦)، والحاكم (٧٩١٩)، من طريق يزيد بن عبد الرحمن الأودي، ولم يوثقه إلا العجلي وابن حبان. وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٩٧٧).



﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ [النبا: ٣١-٣٦].

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وهو من أثقل الأعمال الصالحة في الميزان، كما سبق. ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١).

﴿٥﴾ وحسن الخلق كما سبق قسمين:

الأول: حسن الخلق مع الله عَزَّجَلَّ، وهذا يرادف معنى الإحسان.

ويكون بتوحيده، وبتجريد التوحيد من الشرك والتنديد.

الثاني: حسن الخلق مع الناس، وهذا يرادف في المعنى الإحسان إلى الخلق.

ويكون بكف الأذى، وبذل الندى وطلاقة الوجه.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٠٣٧).

بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس

١٥٤٨ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ هذا الحديث لبيان فضيلة حسن الخلق وبسط الوجه للناس.

قوله: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ»: لأن الإنسان مهما كان عنده من الأموال إلا أنه سيعجز عن أن يكفي غيره من الناس في كل شيء يحتاجون إليه.

قوله: «وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ».

فبسط الوجه: من المعروف الذي أرشد إليه النبي ﷺ، وهو سهل على صاحبه، ويستطيع أن يبسط وجهه مع جميع المسلمين، ويسعهم بذلك. إلا أهل البدع والمحدثات، والزنادقة، وأهل النفاق، والكفر، والشرك، فهؤلاء لا يبسط إليهم الوجه؛ إلا إذا كان من باب النصيحة لهم، والرفق فيهم تأليفاً لهم إلى الإسلام.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةً لِلَّهِ: من حديث أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»^(٢).

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وقد تقدم الكلام عليه.

(١) أخرجه الحاكم (٤٢٧)، وقال عقبه: "أخرجه سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ. وعبد الله بن سعيد المقبري متروك. وضعفه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ في الضعيفة (٦٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).



بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن

١٥٤٩ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرْأَةٌ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ»^(١). [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ] ^(٢) وَابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّي الصَّحَابِيَّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن.

من حيث أنه إذا رأى عليه، أو ظهر له منه بعض الأخطاء، أو الزلات؛ فإنه ينصحه برفق ويوجهه إلى الخير، ويستر عيبه، ولا فضحه، ويرشده إلى ما يقربه إلى الله عَزَّجَلَّ.

والحديث رواه الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْأَةٌ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ».



(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) وفي إسناده كثير بن زيد ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٩٢٦).

(٢) زيادة عن المخطوط.

بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم

١٥٥٠ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى آذَانِهِمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى آذَانِهِمْ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: "إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الصَّحَابِيَّ"^(٢)).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضل مخالطة الناس والصبر على آذاهم .
ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَرُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَرَ عَنَّا، فَتَجَاوَرَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُدَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فَقَالَ حُدَيْفَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَرُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَرُوا عَنْ عَبْدِي»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) بسند صحيح، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢)، بسند ضعيف، فيه عبد الواحد بن صالح مجهول، وأخرجه الترمذي (٢٥٠٧) فقال: عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٩٣٩).

(٢) الحديث زيادة عن المخطوط.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٠).



وقد ألف الخطابي رسالة في العزلة، وبين أن العزلة لا تكون إلا إذا فسد الزمان.
ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأُصْلِحُهَا وَأُصْلِحَ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، أَوْ سَعَفَ الْجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، يَفْرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ» (١).

قوله: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ».

فالأذى ما سيسلم منه أحد من خلق الله عَزَّجَلَّ، حتى الرسل والأنبياء وهم خير خلق الله عَزَّجَلَّ ومع هذا لم يسلموا من الأذى.

بل لم يسلم الله عَزَّجَلَّ من الأذى وهو الخالق القوي العزيز، يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨]..

حتى قيل في ذلك:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» (٢).

(١) أخرجه مسلم (٣٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» (١).

ولا مسبة أعظم من هذه المسبة، أن ينسب الله عَزَّ وَجَلَّ الولد، ويشرك به، ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْقُلُوهُ ۗ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِيَّاكَ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨-٧٠].

والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

الدعاء بحسن الخلق

١٥٥١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ الدَّعَاءِ بِحَسَنِ الْخَلْقِ .

قوله: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي» أي: صورته التي خلقه الله عليها .

وفي الصحيحين: من حديث البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمِ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ أَيضًا: من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ...»

(١) أخرجه أحمد (٣٨٢٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وهو حديث صحيح بلفظ: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي،

فَأَحْسِنْ خُلُقِي». وله شاهد: أخرجه أحمد (٢٤٣٩٢) عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بسند صحيح.

وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْإِرْوَاءِ (٧٤) حيث قال: "نعم لقد صح هذا الدعاء عنه صلى الله عليه وسلم مطلقا دون تقييد بالنظر في المرأة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣٧).

فَلَمْ أَزَلْ أَحَدْتُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَن وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَثُرَ فَضْحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا...»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سُئِلَ الْبَرَاءُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا أَدَهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعَثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كِتْفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ»^(٣).

﴿ وكما كان النبي ﷺ في أحسن خلقه، فقد كان أيضًا أحسن الناس. ﴾

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا لَمَّا سُئِلَتْ عَنِ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٤).

فجمع الله عَزَّوَجَلَّ لِنبيه محمد ﷺ بين حسن الخلقة، وبين حسن الخلق، وهذه أعلى مراتب الإنسان.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).



٤٥ بيان مراتب خلقه الإنسان وخلقته:

المرتبة الأولى: من جمع الله عَزَّجَلَّ له بين حسن الخلق، وحسن الخلق. وعلى رأس هذه المرتبة نبينا محمد ﷺ.

ونبي الله يوسف عليه السلام، و آدم أبو البشر عليه السلام .

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في قصة المعراج، قال: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ...» (١).

وقد قال أهل العلم: إذا كان يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الحسن، فإن نبي الله آدم عليه السلام قد أوتي الجمال كله؛ لأن الله خلقه بيده.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧١-٧٨]..

المرتبة الثانية: من أعطاه الله عَزَّجَلَّ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلق. وهذه مرتبة أيضًا عظيمة، ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: من أعطاه الله عَزَّجَلَّ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلق.

المرتبة الرابعة: من كان فيه سوء الخلق، وسوء الخلق.

وهذه أدنى المراتب.

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

ولا يتعارض هذا مع قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤).
فالإنسان مكرم على سائر المخلوقات بعقله، ووجهه، وصفاته، يعتبر من أكمل
وأجمل أنواع المخلوقات .

وحال الناس في الآخرة على حسب العمل، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ
وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل
عمران: ١٠٦-١٠٧]..

فوجوه المؤمنين؛ أهل السنة والجماعة، يوم القيامة بيضاء مشرقة منورة سعيدة
مطمئنة فرحة مستبشرة.

وجوه الكفار والمشركين والمنافقين والملحدين والمبتدعة، مسودة تلوها قفرة
غبرة، كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يُومِئِدُ عَلَيْهَا غُبْرَةٌ﴾ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَفْرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ
﴿٤٢﴾ [عبس: ٤٠-٤٢]..

قوله: «فَحَسِّنْ خُلُقِي».

• **الشاهد من الحديث:** أن النبي ﷺ تميز بأعلى درجات ومراتب الجمال الحسي
والمعنوي، جمال الخلقة، وجمال الخلق، والله أعلم





باب الذكر والدعاء

[بَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ]

الشَّرْحُ

والكلام على باب الذكر والدعاء من المهمات. إذ أن ما من عبادة شرعها الله **عَزَّجَلَّ** إلا ويكون فيها من الأذكار والأدعية ما يكون سبباً لسعادة الدارين.

بيان الفرق بين الذكر والدعاء:

والذكر من دعاء العبادة.

ودعاء العبادة: يشمل جميع العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وقراءة للقرآن، وتسييح، وتحميد، وغير ذلك من العبادات وهي كثيرة، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله .

ومن عجب شأن الذكر أنه ما من عبادة إلا وفيها من الأذكار والأدعية الخير الكثير.

ودعاء المسألة: يراد به دعاء الطلب، وبيانه أن يسأله العبد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، من خيرين الدنيا، والآخرة.

وقد صنف العلماء في باب الأدعية والأذكار المطولات، والمختصرات.

ومن أشهر ذلك: "كتاب الأذكار للنووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**".

وقد استفاد من كتابي: "عمل اليوم والليلة"، للإمام النسائي وابن السني رحمهما

الله تعالى.

وفي الصحيحين جملة من أبواب الذكر والدعاء، لا يستغنى عنها.

بيان أقسام الذكر:

والذكر والدعاء ينقسم إلى قسمين:

• الأول: الذكر والدعاء المطلق.

فمن المطلقات الحث على ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** ودعائه في كل وقت، وفي كل حين. يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

وهذا دعاء عام، فلم يُحدد الله **عَزَّوَجَلَّ** الدعاء في أي وقت، ولا في أي كيفية، ولا في أي مكان، وإنما هو عام في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي كيفية يريد بها العبد، ويحتاج إليها.

• والأفضل أن يدعو العبد بما ثبت عن النبي **ﷺ**، فإنه قد أوتي جوامع الكلم.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢).

وفي صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث عائشة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** -، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» (١).

• الثاني: الذكر والدعاء المقيد.

مثل أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وقبل النوم، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل، ودخول الحمام، والجماع، وغيرها مما قيد في وقت وكيفية.

والدعاء المقيد: ما جاء مقيداً في وقت.

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

مثل: الدعاء في السجود.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

والدعاء عقب التشهد الأخير:

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

وغيرها من الأدعية التي جاءت عن النبي ﷺ.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أنها قالت: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٣).

والذكر والدعاء من أعظم أبواب تحصيل الحسنات، وتكفير السيئات.

بيان أوقات الاستجابة:

الأول: الدعاء بين الأذان والإقامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ وغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٧).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»^(١).

الثاني: الدعاء دبر الصلاة، أي بعد التشهد قبل السلام بعد أن ذكر التشهد قال في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: "ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو"^(٢).

الثالث: الدعاء في السجود.

في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهَدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٤).

الرابع: في آخر ساعة من يوم الجمعة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ: "يَقْلَلُهَا يَزِيدُهَا"^(٥).

وهي آخر ساعة من اليوم.

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٨٥٢).

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَنَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ. قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ». قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةً صَلَاةٍ، قَالَ: «بَلَى. إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ، لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

الخامس: في الثلث الأخير من الليل.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٣).

السادس: الدعاء في الطواف حول البيت.

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ رَبَّنَا آتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٤).

السابع: الدعاء بين الصفا والمروة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الطويل في

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه، وفي

صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٨٥).

(٤) أخرجه أبو داود (١٨٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود.

حجة النبي ﷺ، وفيه قال: «**ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ:** ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «**أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ**» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى آتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...»^(١).

الثامن: الدعاء يوم عرفة.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هُوَ لَأَيَّ؟**»^(٢).

التاسع: الدعاء عند الجمرات .

ففي البخاري^(٣) : عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ يَكْبُرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَسْهَلُ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشَّمَالِ فَيَسْهَلُ وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، وَيَقُولُ: «**هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ**»
 العاشر: الدعاء في السفر .

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥٢).



ففي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).

الحادي عشر: دعاء الصائم.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٢).

الثاني عشر: دعوة المظلوم.

ففي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).

بل وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ت قال قال النبي ﷺ: «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أخرجه مسلم .
الثالث عشر: دعاء الوالد لولده، أو على ولده.

ففي صحيح مسلم: عن عبادة بن صامت ت قال قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أُمَّوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» .

(١) أخرجه أبو دود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه الشطر الأول منه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٣٥٨).

(٣) أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح أبي داود.

ففي سنن أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).

الرابع عشر: الدعاء في الاضطرار.

يقول الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ كُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾^(٦٢).
وقد صنف أهل العلم في أوقات الاجابة.

فمعرفة هذا الباب من أهم المهمات؛ إذ أنه لا غنى لمكلف عن دعاء الله عز وجل وذكره.

ولهذا كان من قول النبي ﷺ ووصيته: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»، أخرجه أحمد عن ابن مسعود ت، وجاءت له ألفاظ منها ما أخرجه أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ وغيره: من طريق عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيُّ، عَنْ الصَّنَابِجِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: "أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الصَّنَابِجِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ " ^(٢).

وعند أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ السَّنَنِ. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ (١١٠٧).



٤٥ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:

ويستحب رفع اليدين عند الدعاء في جميع المواطن، إلا المواطن التي دعا فيها النبي ﷺ ولم يرفع يديه فيها .

ففي الترمذي: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يُرَدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(١).
ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعَهُ".

ولما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١] ﴿المؤمنون: ٥١﴾ وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدِيَّ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(٢).

وأخرج البخاري (٣٥٦٥) ومسلم برقم (٨٩٥): عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطِيهِ».

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: «دَعَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ».

أي أن النبي ﷺ رفع يديه في الاستسقاء رفعًا مبالغًا فيه؛ حتى ظن الراوي أن النبي ﷺ جعل بطن كفيه إلى الأرض، وظهور كفيه إلى السماء؛ وليس كذلك.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني

رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

٥٠ بيان بعض موانع استجابة الدعاء:

الأول: الاعتداء في الدعاء لقول رسول الله ﷺ " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا - أَوْ فَلَمْ - يُسْتَجَبْ لِي " أخرجه مسلم عن أبي هريرة ت. يقول الله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]..

الثاني: التعجل في الاستجابة .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١).
الثالث: أن يدعو بإثم، أو بقطيعه رحم.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»^(٢).

الرابع: تعاطي الحرام لبسًا وشربًا وأكلًا .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُغْدِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٤٧٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٥).



الخامس: الدعاء من قلب غافل لاه ساهٍ.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

سَمِعْتُ عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ: اِكْتُبُوا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْجَمَحِيِّ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ.

● تنبيه: لا يلزم من استجابة الدعاء حصول المطلوب بل إن له ثلاث حالات:

الأول: حصول المطلوب .

الثاني: دفع مثله من المرهوب .

الثالث: إدخار الأجر إلى يوم القيامة فعن أبي سعيد الخدري ت قال قال النبي

ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى

ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من

السوء مثلها» أخرجه الترمذي .



(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تعين النطق بالذكر

١٥٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي سُفَّتَاهُ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن النطق شرط في الذكر .

ويغني عن هذا الحديث ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِسَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(٢).

قوله: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» أي: في الحديث القدسي .

وفيه: إثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بحرف وبصوت .

قوله: «أَنَا مَعَ عَبْدِي» المراد به: المؤمن، والعبودية هنا: عبودية تشریف .

قوله: «مَا ذَكَرَنِي»: سواء كان ذكره في نفسه أو في العامة يشترك فيها المؤمن والكافر

والبر والفجار، كما تقدم .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥)، بسند صحيح، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٣٧٩٢) بصيغة الجزم. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سنن ابن ماجه (٣٧٩٢)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).



فإن كان الذاكر لله **عَزَّجَلَّ** في نفسه؛ فإن الله **عَزَّجَلَّ** يذكره في نفسه المقدسة .
وإن كان الذاكر لله **عَزَّجَلَّ** في ملا؛ فإن الله **عَزَّجَلَّ** يذكر عبده ويشني عليه عند
الملائكة.

قوله: «وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ» فيه: أن الذكر لا يكون إلا بالنطق بالشفيتين واللسان.
وأما الذاكر بقلبه؛ فإنه لا يثاب على ذلك، كما يثاب من ذكر الله **عَزَّجَلَّ** بلسانه .
وبعض أهل العلم: يشترط أن يسمع الذاكر نفسه .
ومعية الله **عَزَّجَلَّ** لعبده المؤمن معية خاصة به، يوفقه إلى الخير، ويحفظه،
وينصره، ويكلؤه، ويرعاه، ويؤيده.

٤٥ بيان أقسام معية الله **عَزَّجَلَّ** لعباده:

وتنقسم المعية إلى قسمين:

الأول: معية خاصة.

وهي معية الله **عَزَّجَلَّ** مع عباده المؤمنين، كما سبق بيانه.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ٤٦ .

الثاني: معية عامة.

وهي معية الله **عَزَّجَلَّ** مع جميع خلقه .

وهي معية العلم، والإحاطة، والاطلاع والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية .

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ

يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ ﴾ ٤٧ .



بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ

١٥٥٣ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث لبيان أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مما ينجي صاحبه يوم القيامة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا»: أي من الأعمال: القلبية، والبدنية، والقولية، وهذا بعد التوحيد والفرائض الواجبات.

قوله: «أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ» أي: من أسباب السلامة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أي: أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هو أكثر الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة.

والمعنى: أن الذكر من أسباب النجاة.

ومن أرجى الأعمال التي تنجي صاحبها يوم القيامة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ.

لأنه مشتمل على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ من قوله: (لا إله إلا الله) ونحوها.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٤٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٦٦ / ١٦٧) بسند ضعيف، فقال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن طاووس، عن معاذ، به. وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، وطاووس لم يسمع من معاذ كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم، وربما أخطأ فيه أبو خالد الأحمر، فقد أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٠٩) من طريقه، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن جابر، به!.



ومشتمل على تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق به، من قوله: (سبحان الله) ونحوها .

ومشتمل على تعظيم الله **عَزَّوَجَلَّ** وتكبيره وتمجيده والثناء عليه، وذلك من قوله: (الله أكبر)، (والحمد لله رب العالمين)، ونحو ذلك.

ومشتمل على طلب المغفرة وطلب ستر الذنوب، وذلك من قوله: (استغفر الله)، وقوله: (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم)، ونحو ذلك .

ومشتمل على طلب الإعانة من الله **عَزَّوَجَلَّ** على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وذلك من قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ونحو ذلك .

فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا ذكر عبده سلمه وعافاه واصطفاه واجتباها، وأعطاه ما يريد من أمور الدنيا، والآخرة.

وقد كان النبي **ﷺ** أرفع الناس منزلة، وأعظمهم قدرًا عند الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لكثرة ذكره لله **عَزَّوَجَلَّ** فعن عائشة، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» متفق عليه.

وربنا **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾

أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول: ﴿وَالذِّكْرِينَ﴾

اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «مَنْ قَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

والإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ**: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ **ﷺ**، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٦٩١ . ٢٦٩٢).

حَسَنَةً وَمُحِبَّتٍ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ
 وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ
 وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

بيان فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ

١٥٥٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةَ اللَّهِ هذا الحديث لبيان فضل الذكر.

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٢).

وجاء عنده: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

قوله: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ»: وبشرط البعد عن مجالس المبتدعة، وطريقتهم، وإنما على

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

طريقة النبي ﷺ، وطريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم: من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، إذ أن الصوفية والرافضة قد أحدثوا في دين الله عزَّجَلَّ في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب ما لم يأذن به الله عزَّجَلَّ .

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ؟" قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»^(١).

قوله: «مَجْلِسًا»: وهذا عام في المساجد وغيرها .

قوله: «يَذْكُرُونَ اللَّهَ» أي: بلسان الحال والمقال وذكر الله عزَّجَلَّ لفظ عام: فيدخل في ذلك من سبح، وحمد، وكبر، وهلل، وقرأ القرآن، وطلب العلم، واستمع للموعظة، وخطب، وحاضر، وفعل أي فعل فيه ذكر الله عزَّجَلَّ بل من أعظم ذكر الله عزَّجَلَّ: معرفة الحلال، والحرام، والتفقه في دين الله عزَّجَلَّ.

فليس الذكر مخصوصًا: بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير .

ولذلك كانت مجالس أهل الحديث مجالس ذكر كما هو تفسير غير واحد من

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠).

السلف .

قوله: «إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ» أي: أحاطت بهم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: عن صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالِ الْمُرَادِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» .

في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟»

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَا هُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(١).

قوله: «وَعَشِيَّتَهُمُ الرَّحْمَةُ» أي: رحمة الله عَزَّجَلَّ تنزل عليهم وتغشاهم، فيرجى لهم مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:

إذا اجتمعتا افرقتا في المعنى، وإذا افرقا اجتمعا .
فالمغفرة إذا اجتمعت مع الرحمة كان معنى المغفرة: التجاوز عما مضى من الذنوب .

ومعنى الرحمة: التوفيق فيما يأتي على الإنسان .

وإذا افرقتا كانت المغفرة بمعنى الرحمة، وكانت الرحمة بمعنى المغفرة.

قوله: «وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»: وهذا شيء عظيم أن يذكر الله عَزَّجَلَّ عباده الذاكرين له في الملا، عند ملائ خير منهم، وهم الملائكة، ويشني عليهم، ولو لم يكن من فضيلة الذكر إلا هذه الخصلة لكفى بها شرفاً ومنزلة.



(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).



ذم مجالس الغفلة

١٥٥٥ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ»).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان ذم الغفلة عن ذكر الله، وذلك أن المجالس التي لا يذكر فيها الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يصلى فيها على النبي ﷺ أنها تكون يوم القيامة حسرة على أهلها.

ولفظه في الترمذي أيضا: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تِرَةٌ": "يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً".

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ: "التَّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ".

قوله: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ»: عام في الرجال، والنساء، ويشترط أن يكون الذكر بعيداً عن

الطرق المبتدعة، التي اخترعها الصوفية ومن إليهم.

مثل الذكر الجماعي، وضرب الدفوف على ذلك، وهز الرؤوس، وربما حصل

الاختلاط بين الرجال والنساء في المولد، ونحوه.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) لكن بلفظ: «ما جلس قوم مجلساً»، واللفظ الذي ذكره الحافظ

لأحمد (٩٩٦٥). وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٧٦، ٧٧، ٧٨).

بل وصل الحد ببعضهم أنه يعتقد أن النبي ﷺ يخرج من قبره، ويحضر معهم الذكر، والمولد.

ولهذا تجد أن بعضهم يفرشون الفراش الأبيض، ويزعمونه للنبي ﷺ، وهذا هو الكفر بعينه.

ويقولون:

هذا النبي مع الأحباب قد حضرا
وسامح الكل في ما مضى وجرى
ويقول بعضهم:

مرحباً يا نور عيني مرحباً
مرحباً جد الحسين مرحباً

قوله: «مَقْعَدًا» أي: مجلساً من المجالس، سواء كان ذلك في الليل، أو النهار، واللفظ عام في كل ما كان من ذكر الله ﷻ، وذكر القعود لأنه أكثر حالات الذكر.

قوله: «لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ» أي: في مجلسهم سواء بلسان الحال أو المآل، وإنما أضعوه في الكلام الذي لا ينفعهم.

بل ربما فيها يضرهم: من الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والسب، والشتم، واللعن، ونحو ذلك من الكبائر والعظائم والعياذ بالله ﷻ من ذلك.

وتعاطي المحرمات: من الدخان، والخمر، والمسكرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ.

وربما في مشاهدة المحرمات: من الأفلام، والمسلسلات، وسماع المعازف، والأغاني، ورؤية النساء الكاسيات العاريات إلى غير ذلك من بلاء المجالس.

قوله: «وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ -» فيه: فضيلة الصلاة على النبي ﷺ وقد جاء في ذم تاركها.

في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» (١).

❦ والصلاة على النبي ﷺ سبب لصلاة الله عزَّ وجلَّ على العبد عشرة مرات.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» (٢).

بيان معنى صلاة الله عزَّ وجلَّ على عبده:

وأصح ما جاء في تفسير ذلك.

ما أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (١٢٠ / ٦): يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ".
وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: "الدُّعَاءُ".

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يُبْرِكُونَ. اهـ

قوله: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: ولعل هذا التحسر يكون والله اعلم قبل أن يدخلوا الجنة؛ لأن من دخلها فلا يحزن، ولا يتحسر، ولا يبأس، ولا يحصل له ما

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في المشكاة (٩٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

يكدر صفوه أبداً.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا"، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»^(٢).

ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

فالله عَزَّجَلَّ ينزع من قلوبهم كل غل، وحسرة، وندامة، وما يكدر صفوهم، ويجعلهم لا يتنعمون فيما أعد لهم في الجنة.

قوله: «يقوم القيامة»: هو يوم الجزاء على العمل، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
وكم من الأوقات التي نضيعها في غير ما ينفعنا من ذكر الله عَزَّجَلَّ ونحوه.

وكم هي المجالس التي نجلسها ولا نصلي فيها على النبي ﷺ.

وما نزل البلاء بالناس؛ إلا بسبب البعد عن ذكر الله عَزَّجَلَّ، وعن الصلاة على النبي

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).



وبسبب الذنوب، والمعاصي.
فإذا ذكرك الله عَزَّوَجَلَّ وصلك، وكنت محفوظاً بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.



بيان فضل التهليل

١٥٥٦ - (وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضل من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات.

والحديث في مسلم: من طريق عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». وَقَالَ سَلِيمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رِبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَمْرٍو بْنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ مِنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: «مَنْ قَالَ» أي: من الرجال، أو النساء، من المسلمين.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: كلمة التوحيد، والإخلاص، وكلمة التقوى والعروة الوثقى.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله عَزَّوَجَلَّ .

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (٢٦٩٣) وعنده زيادة: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وساقه مختصراً البخاري بلفظ: «مَنْ قَالَ عَشْرًا، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».



والدليل: قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٦٢].

قوله: **«وَحْدَهُ»**: تأكيد للتوحيد، وتأکید لكلمة الإخلاص .

قوله: **«لَا شَرِيكَ لَهُ»**: تأكيد للنفي .

قوله: **«له الملك»** أي: الملك المطلق العام الشامل لكل المخلوقات في الدنيا، والآخرة، يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١].

قوله: **«وله الحمد»**: المستغرق لكل أنواع المحامد.

فالله **عَزَّجَلَّ** يحمد على جماله، وكماله، وإحسانه، وفضله سبحانه وتعالى.

والحمد: هو ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم.

وقيل بأن الحمد: الثناء على الله **عَزَّجَلَّ** على الجميل الاختياري.

﴿بيان أن حمد الله **عَزَّجَلَّ** يكون على أمرين:

الأول: يحمد لأنه أهل للحمد لعظيم جلاله وحسن فعاله.

الثاني: يُحمد الله **عَزَّجَلَّ** على ما ينعم به على عباده من نعمه التي لا تُعد ولا

تُحصى، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قوله: **«وهو على كل شيء قدير»**: وهذا لفظ عام لا يخرج عنه شيء، فلا يعجزه

شيء؛ لكمال علمه، وقدرته، وقوته، ولكماله في جميع أسمائه، وصفاته.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ .

قوله: «عَشْرَ مَرَّاتٍ»: وهذا الذكر مطلق يقول العبد في أي وقت شاء .

وما جاء بتقيدها بعد صلاة الصبح، والمغرب، فلا يثبت في ذلك شيء، وقد تكلم العلماء عن تلك الأحاديث .

قوله: «كأنما أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»: فالمحروم من حرم مثل هذه الأجور، وهي يسيره العمل، وعظيمة الأجر، تعتبر غنيمة عظيمة يحرص عليها المؤمن أشد الحرص .

مع أن الذي يعتق رقبة له أجر عظيم عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، فكيف بمن يعتق أربعة أنفس؛ بلا شك سيكون أجره أعظم .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ»** (١) .

وذكر في الحديث ولد إسماعيل لفضلهم على غيرهم؛ لأمر:

الأول: أنهم من نسل إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين بعد نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** .

الثاني: أن إسماعيل عليه السلام كان من الأنبياء والرسل، وهو من أجداد النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الثالث: أن إسماعيل عليه السلام هو أول من تكلم العربية الفصحى من الأنبياء والرسل؛ لأنه عاش في مكة مع أمه هاجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** عندما تركهم إبراهيم عليه السلام

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) .



بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٥): وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ اسْتِرْقَاقِ الْعَرَبِ خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ قَالَ عِيَاضُ ذِكْرُهُ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمِائَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا غَايَةٌ لِلثَّوَابِ الْمَذْكُورِ. اهـ





بيان فضل التسبيح

١٥٥٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان فضل ذكر الله عَزَّجَلَّ بالتسبيح ومنه بقولنا: "سبحان الله وبحمده".

وما ساقه المصنف هو اللفظ المتفق عليه .

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٢).

ويقال هذا الذكر مطلقاً: في أي وقت، وله الأجر المترتب عليه بفضل الله عَزَّجَلَّ. ويقال مقيداً: في أذكار الصباح، والمساء.

بيان بعض الأذكار المطلقة:

الأول: التسبيح مائة مرة، أو أكثر من ذلك.

فمن قال: سبحان الله، كتب له من الأجر: عشر حسنات، ومن قال: سبحان الله مائة مرة، كتب له من الأجر: ألف حسنة، وهكذا كلما زاد في الذكر، زاد الله عَزَّجَلَّ له بفضلته وبكرمه وبإحسانه الأجر.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٦٩١)، بزيادة: «في يوم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).



ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»^(١).

وهكذا في رواية الإمام مسلم جاء الحديث بالتخيير: يكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة.

وفي الترمذي بلفظ: «يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ تُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»^(٢).

قوله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»: (سبحان الله): أي تنزيهه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.
(الحمد لله): أي إثبات جميع المحامد لله عَزَّوَجَلَّ.
فيجمع بين تنزيهه الله عَزَّوَجَلَّ وإثبات جميع محامده.

قوله: «مِائَةَ مَرَّةٍ» أي: يقول ذلك: ويكررها مائة مرة؛ حتى يتحصل على الأجر المذكور في الحديث.

قوله: «حُطَّتْ خَطَايَاهُ» أي: أن فضل هذا الذكر أن الخطايا تحط عن قائله، ويغفرها له.

قوله: «وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»: (زبد البحر): أي ما يقذفه البحر.

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٦): وَيَأْتِي فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ مِنْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُتَوَالِيًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي أَوَّلِ اللَّيْلِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ الْكِنَايَةُ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثْرَةِ.
 قَالَ عِيَاضُ قَوْلُهُ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْلِهِ فِي التَّهْلِيلِ
 مُحِيَّتْ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ قَدْ يُشْعَرُ بِأَفْضَلِيَّةِ التَّسْبِيحِ عَلَى التَّهْلِيلِ يَعْنِي لِأَنَّ عَدَدَ زَبَدِ الْبَحْرِ
 أَضْعَافٌ أَضْعَافِ الْمِائَةِ لَكِنْ تَقَدَّمَ فِي التَّهْلِيلِ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ
 فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ التَّهْلِيلُ أَفْضَلَ وَأَنَّهُ بِمَا زِيدَ مِنْ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ
 وَكُتِبِ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ مَا جُعِلَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ عِتْقِ الرَّقَابِ قَدْ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ
 التَّسْبِيحِ وَتَكْفِيرِهِ جَمِيعِ الْخَطَايَا لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا
 عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ فَحَصَلَ بِهَذَا الْعِتْقِ تَكْفِيرُ جَمِيعِ الْخَطَايَا عُمُومًا بَعْدَ حَضْرٍ مَا عَدَدَ
 مِنْهَا خُصُوصًا مَعَ زِيَادَةِ مِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَا زَادَهُ عِتْقُ الرَّقَابِ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاحِدَةِ وَيُؤَيِّدُهُ
 الْحَدِيثُ الْآخِرُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ التَّهْلِيلُ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ كَلِمَةُ
 التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَقَدْ مَضَى شَرْحُ التَّسْبِيحِ وَأَنَّهُ التَّنْزِيهُ
 عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَجَمِيعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي ضَمَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَنْتَهَى مُلَخَّصًا.

قُلْتُ وَحَدِيثُ (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ بِن
 حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ^(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ.

وَيُعَارِضُهُ فِي الظَّاهِرِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى
 اللَّهِ قَالَ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٢).
 وَفِي رِوَايَةٍ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ قَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
 وَقَالَ الطَّبِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِيهِ تَلْمِيحٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٨٣) وَالنَّسَائِيُّ (١٠٥٩٩) وَالْحَاكِمُ (١٨٣٤) وَابْنُ حِبَّانَ (٨٤٦).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٣١).

الْمَلَائِكَةِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهٌ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْحَمْدِ وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ أَفْضَلَ مِنَ التَّهْلِيلِ لِأَنَّ التَّهْلِيلَ صَرِيحٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحُ مُتَضَمِّنٌ لَهُ وَلِأَنَّ نَفْيَ الْأِلَهَةِ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ نَفْيٌ لِمُضْمَنِهَا مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِثَابَةِ وَالْعُقُوبَةِ وَقَوْلِ إِلَّا اللَّهُ إِثْبَاتٌ لِدَلِكِ وَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ مَا يَصَادَهُ وَيُخَالِفُهُ مِنَ النَّقَائِصِ فَمَنْطُوقُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهٌ وَمَفْهُومُهُ تَوْحِيدٌ وَمَنْطُوقُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدٌ وَمَفْهُومُهُ تَنْزِيهٌ يَعْنِي فَيَكُونُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفْضَلَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ وَالتَّزْيِيهَ يَنْشَأُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ إِنْ هَذِهِ الْأَذْكَارُ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى بَعْضِهَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَوْ أَحَبُّهُ إِلَى اللَّهِ فَالْمُرَادُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى أَخَوَاتِهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ سَمُرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ ^(١) (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بَيِّهِنَّ بَدَأَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَى فَيَكُونُ مِنْ اقْتِصَارِ عَلَى بَعْضِهَا كَفَى لِأَنَّ حَاصِلَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّزْيِيهَ وَمَنْ نَزَّهَهُ فَقَدْ عَظَّمَهُ وَمَنْ عَظَّمَهُ فَقَدْ نَزَّهَهُ انْتَهَى وَقَالَ النَّوَوِيُّ هَذَا الْإِطْلَاقُ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الْأَدَمِيِّ وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ .

وَقَالَ الْبَيْضاوِيُّ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْكَلَامِ كَلَامَ الْبَشَرِ فَانِ لِلثَّلَاثِ الْأَوَّلِ وَإِنْ

وَجَدْتُ فِي الْقُرْآنِ لَكِنَّ الرَّابِعَةَ لَمْ تُوجَدْ فِيهِ وَلَا يُفْضَلُ مَا لَيْسَ فِيهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ
 قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ مُضْمَرَةٍ فِي قَوْلِهِ أَفْضَلُ الذَّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي
 قَوْلِهِ أَحَبُّ الْكَلَامِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ لَفْظَ أَفْضَلٍ وَأَحَبُّ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْمَعْنَى لَكِنَّ يَظْهَرُ مَعَ
 ذَلِكَ تَفْضِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّهَا ذُكِرَتْ بِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهَا بِالْأَفْضَلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَذُكِرَتْ
 مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالْأَحَبِّيَّةِ فَحَصَلَ لَهَا التَّفْضِيلُ تَنْصِيصًا وَانْضِمَامًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ^(١) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ
 إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا حَتَّى يَقُولَهَا
 وَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَهِيَ كَلِمَةُ الشُّكْرِ الَّتِي لَمْ يَشْكُرِ اللَّهُ عَبْدًا حَتَّى يَقُولَهَا وَمِنْ طَرِيقِ
 الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ بَنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى أَثَرِهَا الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اهـ



(١) أخرجه في التفسير (١٧/ ٤٥٦).



بيان فضل ذكر الله عزَّجَلَّ المضاعف

١٥٥٨ - (وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: " قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : « لَقَدْ قُلْتَ بِعَدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » (١) . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان فضل ذكر الله عزَّجَلَّ المضاعف .
والحديث في مسلم: عن حديث جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى ، وَهِيَ جَالِسَةٌ ، فَقَالَ : « مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ قُلْتَ بِعَدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتٍ » .

قوله: «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ»: هي أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ .
كانت من سبي غزوة بني المصطلق، أعتقها النبي ﷺ، وتزوجها، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات بركة على أهلها .

فعن عائشة، قالت: وقَعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ ، أَوْ ابْنِ عَمِّ لَهُ ، فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مُلَاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فِي كِتَابَتِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهَتْ مَكَانَهَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - سِيرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) .

رأيتُ، فقالت: يا رسول الله - ﷺ -، أنا جُويرية بنتُ الحارثِ، وأنا كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعتُ في سهم ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماس، وإني كاتبُ على نفسي، فجتُّك أسألك في كتابتي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «فهل لك إلى ما هو خيرٌ منه؟»، قالت: وما هو يا رسولَ الله؟ قال: «أودِّي عنك كتابتك وأتزوجُكِ» قالت: قد فعلتُ، قالت: فتسامع - تعني الناس - أن رسولَ الله - ﷺ - قد تزوجَ جُويريةَ، فأرسلوا ما في أيديهم من السَّبي، فاعتقوهم، وقالوا: أصهار رسولِ الله - ﷺ -، فما رأينا امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومها منها، أعتق في سببها مئةَ أهلِ بيتٍ من بني المُصطَلِقِ» أخرجه أبو داود .

قوله: «أَقْدُ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ» أي: ثلاث مرات .

قوله: «لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ»: وهذا دليل على فضلهن، وبركتهن، وعلى عظيم الأجر فيهن، وعظيم شأنهن.
وقد عد أهل العلم هذا الذكر من أذكار الصباح، ومع ذلك لو قال الإنسان في أي وقت جاز، وكتب الله عزَّ وجلَّ له الأجر العظيم.

وقد جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ صدي بن عجلان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ: «مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ:



الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

قوله: «لو وزنت» فيه: دليل على وزن الأعمال.

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: كلمة عظيمة متضمنة لتنزيه الله عَزَّجَلَّ عن كل النقائص، والمعائب، ومستلزمة لإثبات جميع المحامد.

وبحمده: هي كلمة عظيمة لإثبات جميع الكمال لله عَزَّجَلَّ، وهي مستلزمة لنفي جميع النقائص والمعائب.

قوله: «عَدَدَ خَلْقِهِ»: ومخلوقات الله عَزَّجَلَّ لا يعلم عددها إلا هو .

قوله: «وَرِضًا نَفْسِهِ»: وهي صفة عظيمة تتضمن ما يرضي الله عَزَّجَلَّ عن عبده.

قوله: «وَرِزْنَةَ عَرْشِهِ»: وهذا مما يستدل به على أن أعظم مخلوقات الله عَزَّجَلَّ العرش.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

فهذه الآية صريحة في أن الكرسي أعظم خلقاً، وأوسع خلقاً، من خلق السموات السبع، ومن خلق الأراضين السبع.

وقد جاء في العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٤٥): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ".

فالله عَزَّجَلَّ هو رب العرش العظيم الواسع المجيد.

ويقول الله عَزَّجَلَّ في وصفه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٥٧٨)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٥٧٥).

ويقول الله عزَّجَلَّ: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾.

قوله: «وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»: يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

ويقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فهذا دليل على عظيم هذا الذكر .

📖 قال النووي في شرح مسلم (١٧ / ٤٤): قَالَ الْعُلَمَاءُ وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا مَجَازٌ لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُحْصَرُ بَعْدٌ وَلَا غَيْرِهِ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَوَّلًا مَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ الْكَثِيرُ مِنْ عَدَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ زَنَهُ الْعَرْشِ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهَذَا أَي مَا لَا يَحْصِيهِ عَدُّ كَمَا لَا تُحْصَى) اهـ





بيان الباقيات الصالحات

١٥٥٩ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشَّحْ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان الباقيات الصالحات.

وحديث الباب فيه ضعف، ويشهد .

وله ما في سنن الإمام النسائي الكبرى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَبَّاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٢).

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا﴾^(٤٦).

والباقيات الصالحات: هي ذكر الله عَزَّجَلَّ.

قوله: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»: سميت بالباقيات، لأنها باقيات في يوم لا ينفع فيه مال

ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

(١) أخرجه أحمد (١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١٨٨٩)، وهو ضعيف؛ من رواية دارج، عن

أبي الهيثم، ودراج ضعيف، وروايته عن أبي الهيثم أشد ضعفاً. وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٣٢٦٤).

(٢) أخرجه النسائي (١٠٦١٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (١٥٦٧).

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: وهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص.

وهي الكلمة التي تفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل الإسلام والكفر، وبين أهل الإيمان والنفاق، وبين أهل الصدق والكذب والفجور.

وهي أفضل الذكر.

ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١).

وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي أول ما يدخل بها العبد الإسلام، وآخر ما يخرج بها من الأرض.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وفي حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أخرجه مسلم.

قوله: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ»: وهي كلمة تنزيه لله عَزَّ وَجَلَّ عن كل نقص، وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمة.

فمنها ما في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن،

وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٥٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦).



أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

ويؤتى بها للتعجب وللتنزيه، وغير ذلك.

كما جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيَقْظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ، قُرْبَ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهِ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَسَتْ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ»^(٤).

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» فيه: تكبير الله، وتعظيمه، وبيان أن الله عَزَّجَلَّ هو الكبير العظيم الواسع، الذي لا يعجزه شيء، ولا يكرهه شيء، ولم يأت في القرآن إلا بمعناها، كما قال تعالى: ﴿وَكَبَّرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» فيه: حمد الله عَزَّجَلَّ لأنه يستحق الحمد لذاته، ولكماله، ولعظيم سلطانه.

ويستحق الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى آلائه، ومننه العظيمة

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١).

الواسعة على خلقه أجمعين.

قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ومعنى ذلك: أنه لا حول لنا، ولا حيلة، ولا تحول، ولا قوة على أداء ما أوجب الله علينا، وعلى ترك ما نهى الله عنه، إلا بقوة من الله، ومعونة، وتوفيق منه **عَزَّوَجَلَّ**.

وهي كنز من كنوز الجنة.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: "لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ مَنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»^(١).

وهذه الكلمات التي ذكرت في حديث الباب يقولها العبد إذا استيقظ من نومه.

ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»^(٢).

والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥٥)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٤).

بيان أحب الكلام إلى الله عزَّوجلَّ

١٥٦٠ - (وَعَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أحب الكلام إلى الله عزَّوجلَّ.

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عَشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ آخر: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٨، ١٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: "إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ".
 وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: "خَيْرِنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عِلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتَهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١]، فَتَحَ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]»^(١).

قوله: «وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: بن هلال بن حريج الفزاري .

قوله: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ» فيه: إثبات صفة المحبة لله عزَّ وجلَّ .

ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو أبو سلمى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَخٍ بَخٍ، لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ» وَقَالَ: "بَخٍ بَخٍ لِحَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ"»^(٢).

قوله: «لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» أي: لا يلزم الترتيب في قولهن .

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: وموطن هذه الكلمات في أدبار الصلوات، والركوع،

والسجود.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٦٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٢٩).



وعند النزيل في السفر .

ففي صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»^(١).

وتقال عند التنزيه، والتعظيم، والتعجب.

وفي كفارة المجلس، وفي أذكار الصباح والمساء والنوم، وغيرها من المواطن.

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»: ومواطنها كثيرة.

فتقال: عند النوم، والاستيقاظ، وفي دبر الصلاة المفروضة، وعند الرفع من

الركوع، وبعد الفراغ من الطعام والشراب، وعند الركوب، وغير ذلك من المواطن.

قوله: «وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» في الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعَاذٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ

يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ:

«مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ

عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ

بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِمًا^(٢).

وأيضًا في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ

قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ

حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

قوله: «والله أكبر». وفي سنن الإمام الترمذي رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَبُ أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

وهذه الأذكار يستطيع أن يقولها الإنسان على أي حال، سواء كان راكبًا، أو ماشيًا، أو قاعدًا، أو مضطجعًا.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحٍ وَضَعِيفِ التَّرْمِذِيِّ، وَفِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (١٥٥٠).



بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة

١٥٦١ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»^(٢).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة.

قوله: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: عبد الله بن قيس الأشعري، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسن الصوت بالقرآن ففي الصحيحين: من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِرْمَارًا مِنْ مِرْمَائِرِ آلِ دَاوُدَ»^(٣).
فيه: وصية النبي ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واهتمامه بهم.

قوله: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ» فيه: النداء لمن يتكلم معه باسمه، أو بكنيته؛ حتى يحصل له الانتباه للكلام .

قوله: «أَلَا أَدُلُّكَ» أي: ألا أدلك، وأرشدك، وأبين لك، كنز من كنوز الجنة.

قوله: «عَلَى كَنْزٍ»: الشيء المكنوز: من ذهب، أو فضة، ونحوه .

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٦) والسياق للنسائي.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي هريرة (٣٥٨)، وضعفها الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الضَّعِيفَةِ (٦٦٢٢)، وقال فيه: منكر بزيادة: "لا ملجأ...".

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

قوله: «مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟»: وهذا الكنز بلا شك أنه أعظم من الدنيا وما فيها .

قوله: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ومعناها: لا حيلة لنا في طاعة الله عَزَّجَلَّ، وفي إقامة ما أمر الله عَزَّجَلَّ به، وترك ما نهى الله عَزَّجَلَّ عنه؛ إلا بقوة ومعونة وتوفيق من الله .
وقيل: لا تحول لنا من معصية الله عَزَّجَلَّ إلى طاعة الله عَزَّجَلَّ إلا بمعونة وتوفيق من الله عَزَّجَلَّ .

وقيل: كلمة استرجاع، وهذا القول ضعيف؛ لأن كلمة الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧] .
ففي هذه الكلمة نفي الحول والقوة عن المخلوق إلا إذا أعانه الله عَزَّجَلَّ على ذلك .

ولهذا جاء في السنن: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحْوَلُ، وَبِكَ أَصْوَلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»^(١)، والله الموفق .



(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف السنن . وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٨) .

الدعاء هو العبادة

- ١٥٦٢ - (وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). رَوَاهُ الْأَزْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ).
- ١٥٦٣ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظٍ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(٢)).
- ١٥٦٤ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(٣). وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ مَنْزِلَةِ الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْعِبَادَةُ. وَكَانَ الدُّعَاءُ عِبَادَةً؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٦٠).

﴿ بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:

وصرف الدعاء لغير الله عَزَّجَلَّ في شيء لا يقدر عليه إلا الله عَزَّجَلَّ يعتبر شركاً أكبراً

- (١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٠)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وزادوا ثم قرأ: «{وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}» [غافر: ٦٠]. وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ فِي الصَّحِيحَةِ (١٣٢٩)، والإمام الوادعي رَحْمَةً لِلَّهِ فِي الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ (١١٥٩).
- (٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧١) وفيه عبد الله ابن لهيعة ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ فِي ضَعِيفِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (١٠١٦)، وشيخنا الحجوري حفظه الله في الصبح الشارق (ص ٧٤).
- (٣) أخرجه أحمد (٨٧٤٨)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن حبان (٨٧٠) والحاكم (١٨٠١)، وفي سننه عمران القطان ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ فِي صَّحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (١٦٢٩).

مخرجاً لصاحبه من الملة.

لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الخالق، القوي، العزيز، ويده تصريف الأمور، ويبد فعل كل شيء، وهو على كل شيء قدير، والعالم بكل شيء، ويده الخير كله. وغير الله **عَزَّوَجَلَّ** مخلوق عاجز ضعيف، ليس له من الأمر شيء، ولا يقدر على شيء إلا على ما قدره الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا يعلم إلا ما علمه الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ولهذا تجد أن كثيراً من القصص القرآني قد تضمن الحث والترغيب في الدعاء.

قوله: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»: لما سبق معنا بيانه، فقد سمي الله **عَزَّوَجَلَّ** الدعاء عبادة، وبين أن من يستكبر عن عبادته ودعائه سيكون من أهل النار المعذبين بها.

قوله: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»: الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي **ﷺ** وفي سننه ابن لهيعة، ويغني عنه حديث النعمان .

قوله: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»: يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢).

وجاء في سنن الإمام الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ» (١).

(١) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح وضعيف الترمذي. وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٩).



بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد

١٥٦٥ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان بعض الأوقات استجابة الدعاء.

ومنها: بين الأذان والإقامة.

وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدم في أول الباب بيان أوقات الاستجابة فلا داعي للتكرار.

قوله: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»: وهو الإعلام بحضور وقت الصلاة.

قوله: «وَالْإِقَامَةُ»: وهي الإعلام بالصلاة، وتعتبر أذاناً ثانياً.

قوله: «لَا يُرَدُّ»: وهذا على الغالب وقد توجد بعض الموانع: من أكل الحرام، أو شربه، أو لبسه، أو الاعتداء في الدعاء كما سبق بيان ذلك .
والله أعلم.



(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٧)، وابن حبان (١٦٩٦)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح أبي داود (٥٣٤).

بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء

١٥٦٦ - (وَعَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١).
أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشَّرْحُ

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ اسْتِحْبَابِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدَّعَاءِ.

وحديث الباب الراجح فيه الوقف، وهو مأخوذ من التوراة، فلا يقال له حكم الرفع.

وسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فارسياً مجوسياً، ثم أصبح نصرانياً، والتوراة عند النصارى تسمى بالعهد القديم، فكانوا يعظمونها، ويقرأون فيها.
كما أن الإنجيل عندهم يسمى بالعهد الجديد.

قوله: «عَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ»: فهذا الإخبار عن الله عَزَّ وَجَلَّ بأن من أسمائه: الحيي. والحيي: هو المتضمن لصفة الحياة على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

قوله: «كَرِيمٌ»: والأكرم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الحسنى الثابتة له في القرآن أيضاً.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١/٤٩٧)، وفي سنده جعفر بن ميمون الأنماطي قال الحافظ: صدوق يخطئ. وصححه الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (١٦٣٥)، وفي صحيح أبي داود (١٣٣٧)، وفي المشكاة (٢٢٤٤).



يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَكَرِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾﴾.

📖 **قال السعدي (ص: ٩٤٦):** الكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية. اهـ

قوله: «يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ»: فيه إثبات صفة الحياء على ما يليق بجلاله . وهذا من تفضل الله **عَزَّجَلَّ** على عباده.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ ﴿٦٦﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

وفي الصحيحين: من حديث أم سلمة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** - قَالَتْ: "جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ** فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩١)، ومسلم (٣١٣).

بيان حكم رفع الدين عند الدعاء:

قوله: «إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يُرَدَّهُمَا صِفْرًا».

فيه: دليل على أن من أسباب استجابة الدعاء رفع اليدين عند الدعاء.

وهذا الحديث وإن كان لا يثبت عن النبي ﷺ مرفوعاً.

فقد جاء ما يغني عنه في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ

يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ

بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(١).

والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

١٥٦٧ - (وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»^(١)). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْهَا:

١٥٦٨ - (٢) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: عَنْ أَبِي دَاوُدَ^(٣). وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء. وأحاديث الباب منكرة ضعيفة، لم تثبت عن النبي ﷺ. وقد جاءت في الباب بعض الآثار؛ ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الانتهاء من الدعاء.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٦) وفيه حماد بن عيسى تفرد به، وهو ضعيف، قال أبو داود: «ضعيف، روى أحاديث منكير». وضعفه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (٤٣٣).
(٢) في المخطوط زيادة "من".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٥) وضعفه بسند فيه مبهم بلفظ: «سلوا الله بيطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم». وقال أبو داود: "روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب، كلها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف - أيضا -". وقال أبو حاتم في: «العلل» (٣٥١ / ٢): "هذا حديث منكر".

(٤) قال البيهقي في «الكبرى» (٢ / ٢١٢): فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء، فلست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، وقد روي فيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث فيه ضعف، وقد أنكره الإمام مالك - أي: مسح الوجه - وكرهه سفيان، ولم يسمع أحمد فيه بشيء.



والصحيح أن فعل مثل هذا من البدع المحدثه التي ما أنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** بها من سلطان .

بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:

ومثل هذا الفعل تقبيل المصحف بعد الانتهاء من القراءة، فهذا أيضاً من البدع المحدثه؛ لأنه لم يثبت عن النبي **ﷺ**، ولا عن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.
ولو كان مستحباً، أو مندوباً؛ لفعله النبي **ﷺ**.
والصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من بعده، والله الموفق.



بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ

١٥٦٩ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ هذا الحديث لبيان فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وحديث الباب ضعيف في اسناده موسى بن يعقوب وهو ضعيف وعبدالله بن كيسان مجهول ويغني عنه الأحاديث الصحيحة .

ففي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةً لِلَّهِ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحْمَةً لِلَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٣).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحْمَةً لِلَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١)، وفي سننه عبد الله بن كيسان مجهول، وموسى بن يعقوب سيئ الحفظ. وقد كان ضعفه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ في ضعيف الترمذي (٤٨٤)، وفي ضعيف الجامع (١٨٢١)، ثم رجع إلى تحسينه كما في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٨).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»^(١).

قال الترمذي: وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: "إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً فِي الْمَجْلِسِ أَجْرًا عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ".

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢).
وأما ما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريق الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثِينَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»^(٣).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

فالحديث في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف .

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة (٩٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.



والصلاة على النبي ﷺ من أسباب صلاة الله عزَّوجلَّ على العبد، وإذا صَلَّى ﷺ على أحد من عباده غفر له، ورحمه.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَازُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»^(١).

فالصلاة من الملائكة: هي الدعاء للمسلم بالمغفرة، وبالرحمة، وبالتوفيق للتوبة. وقد تكلم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: "جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام".

وللإمام أسماعيل القاضي أحد أحفاد حماد بن زيد كتابًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وقد نقل منه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم: "تفسير القرآن" عند قول الله عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥٦).

والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

بيان سيد الاستغفار

١٥٧٠ - (وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوؤُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان سيد الاستغفار .

والحديث بطوله في البخاري: من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوؤُ لَكَ بِذَنْبِي فَاعْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ" قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

قوله: «وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وليس لشداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ إلا هذا الحديث.

وكما أنه ليس له في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ إلا حديثًا واحدًا فقط: «إِنَّ اللَّهَ

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) وليس عنده لفظ: "العبد"، وإن كان عند غيره، وزاد: «من قالها من النهار، موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»، و«أبوء»: أعترف.

كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

وحدیث سید الاستغفار من أذکار الصباح والمساء .

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٩٩): قَوْلُهُ سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ قَالَ الطَّبِيبِيُّ لَمَّا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ جَامِعًا لِمَعَانِي التَّوْبَةِ كُلِّهَا اسْتَعْبِرَ لَهُ اسْمُ السَّيِّدِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ.

قَوْلُهُ أَنْ يَقُولَ أَيُّ الْعَبْدِ وَثَبَتْ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ (إِنَّ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ) وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ) وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ (تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ).

قَوْلُهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ خَلَقْتَنِي) كَذَا فِي نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ بِتَكْرِيرٍ أَنْتَ وَسَقَطَتْ الثَّانِيَةُ مِنْ مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) وَالْبَاقِي نَحْوُ حَدِيثِ شَدَّادٍ وَزَادَ فِيهِ (أَمَنْتُ لَكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي).

قَوْلُهُ: (وَأَنَا عَبْدُكَ) قَالَ الطَّبِيبِيُّ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤَكَّدَةً وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّرَةً أَيُّ أَنَا عَابِدٌ لَكَ وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفٌ.

قَوْلُهُ (وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ) سَقَطَتْ الْوَاوُ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ قَالَ الْخَطَّابِيُّ يُرِيدُ أَنَا عَلَى مَا عَهَدْتُكَ عَلَيْهِ وَوَعَدْتُكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى مَا عَهَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِكَ وَمُتَمَسِّكٌ بِهِ وَمُتَّجِزٌ وَعَدَّكَ فِي الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ وَاشْتَرَاطُ الْإِسْتِطَاعَةِ فِي ذَلِكَ مَعْنَاهُ الْإِعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِ تَعَالَى وَقَالَ بَنُ بَطَّالٍ قَوْلُهُ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ يُرِيدُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ حَيْثُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَمْثَالِ الذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَقْرُوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَدْعُونَا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَيَالْوَعْدِ مَا قَالَ عَلِيٌّ لِسَانَ نَبِيِّهِ إِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَقَوْلُهُ وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُرَادَ بِالْعَهْدِ الْمِيثَاقَ الْمَأْخُودَ فِي عَالَمِ الدَّرِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ خَاصَّةً فَالْوَعْدُ هُوَ إِدْخَالُ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ قَالَ وَفِي قَوْلِهِ مَا اسْتَطَعْتُ إِعْلَامًا لِأُمَّتِهِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِيْتَانِ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلَا الْوَفَاءِ بِكَمَالِ الطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ فَرَفَقَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَسْعَهُمْ وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ مَا فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ كَذَا قَالَ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَوْضَحُ.

قَوْلُهُ: (أَبُوهُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) سَقَطَ لَفْظُ لَكَ مِنْ رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَأَبُوهُ بِالْمُوَحَّدَةِ وَالْهَمْزُ مَمْدُودٌ مَعْنَاهُ اعْتَرَفُ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ وَأَعْتَرَفُ بِذُنُوبِي وَأَصْلُهُ الْبُؤَاءُ وَمَعْنَاهُ الْلُزُومُ وَمِنْهُ بَوَّأَهُ اللَّهُ مَنْزِلًا إِذَا أَسْكَنَهُ فَكَأَنَّهُ أَلْزَمَهُ بِهِ.

قَوْلُهُ: وَأَبُوهُ لَكَ بِذَنْبِي أَيَّ اعْتَرَفَ أَيْضًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَحْمِلُهُ بِرَغْمِي لَا اسْتَطِيعُ صَرْفَهُ عَنِّي وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ اعْتَرَفَ أَوْلًا بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقِيِّدْهُ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ ثُمَّ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِأَدَاءِ شُكْرِهَا ثُمَّ بَالِغَ فَعْدَهُ ذَنْبًا مُبَالِغَةً فِي التَّقْصِيرِ وَهَضَمَ النَّفْسَ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ أَبُوهُ لَكَ بِذَنْبِي اعْتَرَفَ بِوُقُوعِ الذَّنْبِ مُطْلَقًا لِيَصِحَّ الْإِسْتِغْفَارُ مِنْهُ لَا أَنَّهُ عَدَّ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ ذَنْبًا.

قَوْلُهُ: (فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ غُفِرَ لَهُ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ الْعَبْدُ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، **قَوْلُهُ:** (مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا أَيَّ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ مُصَدِّقًا بِثَوَابِهَا) وَقَالَ الدَّأُودِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ أَنْ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ وَمِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْوُضُوءِ وَعَيْرِهِ لِأَنَّهُ بَشَّرَ بِالثَّوَابِ ثُمَّ بَشَّرَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ فَتَبَّتِ الْأَوَّلُ وَمَا زِيدَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يُبَشِّرُ بِالشَّيْءِ ثُمَّ يُبَشِّرُ بِأَفْضَلِ مِنْهُ مَعَ اِرْتِفَاعِ الْأَوَّلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَاسِحًا وَأَنْ يَكُونَ هَذَا فِيمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَغْفِرُ لَهُ بِهِ ذُنُوبَهُ أَوْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ مِنْ

الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْهُ بِوَجْهِ مَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَذَا حَكَاهُ بِنِ
التِّينِ عَنْهُ وَبَعْضُهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْمُلٍ **قَوْلُهُ** وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فَإِنْ
قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ وَفِي رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ
قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ أَوْ حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ **قَوْلُهُ** فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ
قَالَ بِنِ أَبِي جَمْرَةَ جَمَعَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي وَحُسْنِ الْأَلْفَاظِ مَا
يَحِقُّ لَهُ أَنَّهُ يُسَمَّى سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ فِيهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ وَحَدَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْإِعْتِرَافُ
بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالْإِقْرَارُ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ
مَا جَنَى الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَافَةُ النِّعَمَاءِ إِلَى مُوجِدِهَا وَإِضَافَةُ الذَّنْبِ إِلَى نَفْسِهِ وَرَغْبَتُهُ
فِي الْمَغْفَرَةِ وَاعْتِرَافُهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى
الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَإِنَّ تَكَالِيفَ الشَّرِيعَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ
عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي يُكْنَى عَنْهُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَوْ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَبْدَ خَالَفَ حَتَّى
يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ بَيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا
الْعُقُوبَةُ بِمُقْتَضَى الْعَدْلِ أَوْ الْعَفْوُ بِمُقْتَضَى الْفَضْلِ انْتَهَى مُلْخَصًا وَقَالَ أَيضًا مِنْ شُرُوطِ
الِاسْتِغْفَارِ صِحَّةُ النِّيَّةِ وَالتَّوَجُّهُ وَالْأَدَبُ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا حَصَلَ الشُّرُوطُ وَاسْتَغْفَرَ بِغَيْرِ هَذَا
اللَّفْظِ الْوَارِدِ وَاسْتَغْفَرَ آخَرَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ لَكِنْ أَخْلَلَ بِالشُّرُوطِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
فَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَكُونُ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ إِذَا جَمَعَ
الشُّرُوطَ الْمَذْكُورَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ



بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار

١٥٧١ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذُ بعظمتك أن أغتالَ من تحتي»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح

ساق المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْحَدِيثَ لِبَيَانِ فَضْلِ هَذَا الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ فِي الصَّبَاحِ، وَفِي الْمَسَاءِ.

وَكَانَ الْمَصْنِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ سَاقَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالَّذِي قَبْلَهُ لِلدَّلَالَةِ وَاللِّإِشَادَةِ إِلَى تَعَلُّمِ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ، وَالْمَسَاءِ.

٤٥٦ بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:

١ - منها حديث ابن عمر ت المذكور في الباب .

٢ - ما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٧٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٥٦٦)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٧١)، وَالْحَاكِمُ (١٩٠٢). وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحِ السَّنَنِ (٣٨٧١)، وَفِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٦٥٩)، وَالْإِمَامُ الْوَادِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الصَّحِيحِ الْمُسْتَدْرَكِ (٧٦٥).

الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^(١).

٣- وما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أُمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»^(٢).

٤- وما جاء في السنن: من طريق أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح السنن، وحسنه في صحيح الترمذي.

٥ - جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُنْبِيَّ عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمَسَ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

٦ - جاء في السنن: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمَسَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٢).

٧ - ما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٣).

٨ - ما جاء شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٣١)، وحسنه الإمام الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ في الصحيح المسند (١٣٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي في سننه (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وصححه الإمام

الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ في صحيح السنن.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).



أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

٩- ما جاء من حديث أبي هريرة، أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله - ﷺ -، مُرَّنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قال: "قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه" أخرجه أحمد .

١٠- ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم .

قوله: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ» أي: أنه كان ﷺ يداوم عليهما، لعظيم نفعهما،

قوله: «حِينَ يُمَسِّي» أي: حين أن يأتي عليه المساء، وهو من بعد الظهر إلى الغروب.

وقيل: من بعد أذان العصر إلى غروب الشمس.

قوله: «وَحِينَ يُصْبِحُ» أي: من بعد طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» أي: كان النبي ﷺ يسأل الله عَزَّجَلَّ العافية، ونحن ينبغي لنا أن نفعل ما فعله النبي ﷺ .

فهذا من الأدعية المباركة، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه يشمل العافية في كل أمور الدين، والدنيا، والآخرة.

قوله: «فِي دِينِي» أي: يسأل الله عَزَّجَلَّ العافية في دينه؛ فيسلم من الذنوب: من الشرك والكفر بالله عَزَّجَلَّ، ويسلم من البدع، والخرفات، والكبائر، وغيرها.

قوله: «وَدُنْيَايَ»: وسأل النبي ﷺ ربه العافية في دنياه.

حتى يسلمه من الآفات، ومن المصائب، والأحزان، والأمراض، والأسقام، وكل شيء يؤذي الإنسان في هذه الدنيا.

قوله: «وَأَهْلِي»: فيسلم من معرفتهم، ومن آذاهم، وما يلحق بسببهم .

قوله: «وَمَالِي»: حتى يسلم من السرقة، والضياع، والفساد، والكسب الحرام، وكل الآفات التي تصيب المال: من الربا، وغير ذلك.

قوله: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي»: وسأل النبي ﷺ ربه أن يستر عوراته .

سواء كانت العورات الحسية: من القبل، والدبر، والآفات التي تلحق بهما.

أو العورات المعنوية: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر، وغير ذلك.

قوله: «وَأَمِنْ رَوْعَاتِي» أي: أمن مخاوفي؛ فيشمل كل ما يخافه الإنسان: من أمر دينه، أو دنياه، أو آخرته.

يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ

الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩١﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩٢﴾ [الأنفال: ٩١٠]..

قوله: «وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» أي: من أمامي.

قوله: «وَمِنْ خَلْفِي» أي: أن يأتيني عدوي من خلفي على غرة مني.

قوله: «وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي» أي: واحفظني من جهة يميني، ومن جهة

شمالتي.

قوله: «وَمِنْ فَوْقِي» أي: من جهة فوقي، وان يأتيني أمر لا أحتمله، ولا أطيقه،



ويكون فوق قدرتي، وصبري.

ويكون الحفظ من الفوق: أي من الصواعق، والبرق، ومطر العذاب، وغير ذلك. ويشمل جميع الأسلحة التي تأتي من الفوق: كالطائرات، والصواريخ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قوله: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» أي: ويتعوذ مما قد يحصل له من ضرر وغيلة من تحته: كالألغام، وما يكون في الأرض: من لدغ الحيات، والعقارب، والثعابين، وذوات السموم الأخرى، وغيرها مما يؤذي الإنسان. فهذا الحديث عظيم، فمن دعا الله **عَزَّوَجَلَّ** بهذا الدعاء العظيم، واستجاب الله **عَزَّوَجَلَّ** له دعائه هذا.

فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** سيسلمه من جميع الآفات والمصائب والمعائب الدينية، والدينية؛ التي قد تصيب الإنسان، من كل الجهات المحيطة به،

وسؤال العافية من المتعينات على كل إنسان، في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث العباس بن عبد المطلب - **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** -، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ: «سَلِ اللهُ الْعَافِيَةَ»، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهُ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهُ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

وفي الصحيحين: من طريق سالم أبي النضر، مولى عمر بن عبید الله، وكان كاتباً له، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، فَقَرَأَهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ **ﷺ** فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، أَنْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ حَظِيْبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللهُ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَعَلِّمُوا أَنْ

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في صحيح وضعيف الترمذي.

الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من طريق مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ، أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٢).

والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سنته (٣٥٥٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم

١٥٧٢ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم.

وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم في الدعاء، والخطابة، والموعظة، وجميع شأنه.

📖 قال أبو الطيب في عون المعبود (٤ / ٤٠٥):

(وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ) : أَي نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ وَمِنْحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْعِرْفَانِ بِضَمِّ الْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ أَيِ انْتِقَالِهَا مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ .
(مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ)

فَإِنْ قُلْتَ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّوَالِ وَالتَّحَوُّلِ ؟ قُلْتَ : الزَّوَالُ يُقَالُ فِي شَيْءٍ كَانَ ثَابِتًا فِي شَيْءٍ ثُمَّ فَارَقَهُ ، وَالتَّحَوُّلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ وَانْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَمَعْنَى زَوَالِ النِّعْمَةِ ذَهَابُهَا مِنْ غَيْرِ بَدَلٍ ، وَتَحَوُّلُ الْعَافِيَةِ إِبْدَالُ الصِّحَّةِ بِالْمَرَضِ وَالْغِنَى بِالْفَقْرِ ، وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْكِتَابِ وَتَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِصَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ

(وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ) : بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْمَدِّ ، وَفِي نُسْخَةٍ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ بِمَعْنَى الْبُغْتَةِ ، وَالنِّقْمَةُ بِكَسْرِ النُّونِ وَبِفَتْحِ مَعَ سُكُونِ الْقَافِ وَكَفْرَحَةِ الْمُكَافَاةِ بِالْعُقُوبَةِ وَالِانْتِقَامِ بِالْعُضْبِ وَالْعَذَابِ ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(وَجَمِيعَ سَخَطِكَ): أَيِّ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَوْ جَمِيعِ آثَارِ غَضَبِكَ . اهـ
والحمد لله رب العالمين .



الاستعاذة من غلبة الدين

١٥٧٣ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ العَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ العَاكِمُ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحْمَةً لِلَّهِ الحديث لبيان الاستعاذة من غلبة الدين وما في بابه.

وللحديث شواهد:

منها: ما جاء في صحيح الإمام البخاري رَحْمَةً لِلَّهِ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «التَّمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى خَيْرٍ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الحُلْمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

ومنها: ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^(٣). قَالَ سُفْيَانُ: «الحَدِيثُ ثَلَاثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أُدْرِي أَيُّتَهُنَّ هِيَ».

(١) أخرجه أحمد (٦٦١٨)، والنسائي (٥٤٧٥)، والحاكم (١٩٤٥)، بسند صحيح، وله شواهد في

الصحيحين. وصححه الإمام الألباني رَحْمَةً لِلَّهِ في الصحيحة (١٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ»: لأن الرجل إذا زاد دينه، وعجز عن قضائه: حدث فكذب، ووعد فأخلف.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

وقد قيل: "لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين".

وقال بعضهم: "الدين هم في الليل، ومذلة في النهار".

قوله: «وَعَلْبَةِ العُدُوِّ».

وغلبة العدو: هو بمعنى قهر الرجال، وغلبة الرجال.

ففي لفظ الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سننه: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»^(٢).

وفي سنن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٨٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح وضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح وضعيف أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكره الإمام الوادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى فِي كتابه أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٢٨٩).



قوله: «وَسَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ» فيه: الاستعاذة من شماتة الأعداء.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبراً عن هارون عليه السلام وهو يخاطب أخاه موسى عليه

السلام: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمِّتْ بِي الْأَعْدَاءَ

وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.



الدعاء باسم الله عَزَّجَلَّ الأعظم من أسباب الاستجابة

١٥٧٤ - (وَعَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،^(١) الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ»). فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشَّرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان أن الدعاء باسم الله عَزَّجَلَّ الأعظم من أسباب الاستجابة.

وفي الحديث أن أسماء الله عَزَّجَلَّ تتفاضل مع أن كلها حسنى .
واختلف أهل العلم في بيان الاسم الأعظم على أقوالاً كثيرة:

📖 قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٢٢٤-٢٢٥): وَقَدْ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ كَأَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمَا كَأَبِي حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ.

فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ.
وَسَبَبَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِمَالِكٍ؛ لِكِرَاهِيَّتِهِ أَنْ تُعَادَ سُورَةٌ أَوْ تُرَدَّدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ

(١) في المخطوط زيادة "أنت".

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٩)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٢٣٨٣)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (١٣٤١).

السُّورِ؛ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ نُقْصَانِ الْمَفْضُولِ عَنِ الْأَفْضَلِ.

وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ: عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْظَمِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ.

وَعِبَارَةٌ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ: اخْتَلَفَتِ الْأَثَارُ فِي تَعْيِينِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرٍ مِنْهَا أَنَّ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

فَكَانَهُ يَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى يَجُوزُ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى عَظِيمٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ بَنُ حِبَّانَ: الْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ، كَمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِهِ مَزِيدُ ثَوَابِ الْقَارِي.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِسْمِ الْأَعْظَمِ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى دَعَا الْعَبْدُ بِهِ مُسْتَعْرِقًا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِي فِكْرِهِ حَالْتِنْدٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَنْ تَأْتَى لَهُ ذَلِكَ اسْتُجِيبَ لَهُ. وَنُقِلَ مَعْنَى هَذَا عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَعَنِ الْجُنَيْدِ وَعَنْ غَيْرِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَلَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ. وَأَثْبَتَهُ آخَرُونَ مُعَيَّنًا وَاضْطَرَبُوا فِي ذَلِكَ وَجُمَلُهُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا:

الأوَّلُ: الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ هُوَ.

نَقَلَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكَشْفِ.

وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ عَنِ كَلَامِ مُعْظَمِ بَحْضَرَتِهِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَنْتَ قُلْتَ كَذَا، وَإِنَّمَا يَقُولُ هُوَ يَقُولُ تَأْدُبًا مَعَهُ.

الثَّانِي: اللهُ.

لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

الثَّالِثُ: اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَأَعْلَى مُسْتَنَدُهُ مَا أَخْرَجَهُ بَنُ مَاجَةَ: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: "أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَصَلَّتْ وَدَعَتْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللهُ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتَ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».

قُلْتُ: وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَفِي الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى (١).

الرَّابِعُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

لِمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَاللَّهُكُمُّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي نُسخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ.

الخَامِسُ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

أَخْرَجَ بَنُ مَاجَةَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُورٍ: الْبَقْرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطه»، قَالَ الْقَاسِمُ الرَّائِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ التَّمَسَّتْ مِنْهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ

(١) في «الزوائد»: في إسناده مقال، وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبة لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهى قلت: أبو شيبة كذبه أبو حاتم وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَقَوَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجَّ بِأَنْهَمَا يَدُلَّانِ مِنْ صِفَاتِ الْعِظَمَةِ بِالرَّبُوبِيَّةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمَا كَدَلَايَتِهِمَا.

السَّادِسُ: الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَرَدَ ذَلِكَ مَجْمُوعًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ بَنُ حِبَّانَ.

السَّابِعُ: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى: مِنْ طَرِيقِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ طِيٍّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ: "كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِينِي الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَأُرِيْتُهُ مَكْتُوبًا فِي الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ. النَّامِنُ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَ لِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ قَدْ اسْتُحِيبَ لَكَ فَسَلْ».

وَاحْتَجَّ لَهُ الْفَخْرُ بِأَنَّهُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ.

لِأَنَّ فِي الْجَلَالِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ السُّلُوبِ.

وَفِي الْإِكْرَامِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ الْإِضَافَاتِ.

التَّاسِعُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَبَنُ مَاجَةَ وَبَنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ أَرْجَحُ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

العَاشِرُ: رَبِّ رَبِّ.

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَبَنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِلَفْظِ: «اسْمُ اللَّهِ

الأكْبَرُ رَبِّ رَبِّ».

واخرج بن أبي الدنيا: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَيْتِكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَ»، رَوَاهُ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا.
الْحَادِي عَشَرَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

الثَّانِي عَشَرَ: نَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ: «هُوَ اللَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».
الثَّلَاثَ عَشَرَ: هُوَ مَخْفِيٌّ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الْمُتَقَدِّمُ لَمَّا دَعَتْ بِبَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَبِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَقَالَ لَهَا ﷺ: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».
الرَّابِعَ عَشَرَ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

نقله عياض. اهـ

✽ فالراجع من هذه الأقوال: أن الاسم الأعظم لله عَزَّجَلَّ هو اسم الله؛ لأنه اسم مختص بالله عَزَّجَلَّ، ولم يتسم به غيره، ولأنه تضاف إليه جميع الأسماء.

فنقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس وهكذا.

ولا نقول: الرحمن الرحيم الله.

ولأنه الاسم الدال على ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وذلك بالمطابقة،

والتضمن، والالتزام.

وفي حديث بريدة، وحديث أنس بن مالك، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - .



وقال النبي ﷺ: «لقد سأل الله عزَّوجلَّ باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

قوله: «سَمِعَ النَّبِيُّ - ﷺ - رَجُلًا»: لم يذكر اسم الرجل؛ فهو مبهم ولكن لا يضر ذلك؛ لأنه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكلهم عدول ثقات. والإبهام في المتن لا يضر.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا الدعاء في آخر صلاته.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: اللهم: معناه يا الله.

قوله: «بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ» أي: أقر وأعترف وأنقاد بأنك أنت الله الإله الذي يستحق أن يعبد.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أي: لا معبود بحق إلا الله عزَّوجلَّ، وغير الله عزَّوجلَّ إن عبد فعبادته باطلة.

كما قال الله عزَّوجلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٢).

قوله: «الْأَحَدُ»: الأحد والواحد: كلاهما من أسماء الله عزَّوجلَّ.

ومعناهما: المنفرد فيما يختص به: من ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات.

يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ

وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣)﴾ [الإخلاص: ١-٣].

ويقول الله عزَّوجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ (٦٥)﴾.

قوله: «الصَّمَدُ»: من أسماء الله عزَّوجلَّ الحسنى.

ومعناه: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فهم محتاجون ومفتقرون إليه.

وقيل: هو الذي لم يلد، ولم يولد، فسر.

وقيل: هو الذي لا جوف له.

وقيل: هو السيد الذي كمل في سؤدده، وكمل في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

قوله: «الَّذِي لَمْ يَلِدْ»: لكماله، ولغناه، عن خلقه سبحانه وتعالى، يقول الله **عَزَّجَلَّ**:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالِ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾
لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

فحصول الولد للمخلوق يعتبر من الكمال في حقه؛ للمحافظة على الجنس

البشري.

وأما حصول الولد في حق الخالق سبحانه وتعالى، فهو ممتنع.

فالله **عَزَّجَلَّ** هو الحي الذي لا يموت، والغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه،

ولا يلحقه نقص بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى.

قوله: «وَلَمْ يُولَدْ»: لأن الله **عَزَّجَلَّ** الخالق وما سواه مخلوق.

قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» الكفاء: هو الشبيه، والمثيل، والند، والسمي.

فالله **عَزَّجَلَّ** لا مثيل، ولا شبيه، ولا ند، ولا سمي له؛ لا في ألوهيته، ولا في ربوبيته،

ولا في أسمائه وصفاته.

قوله: "فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»"

أي: لقد سأل الله **عَزَّجَلَّ** باسمه الأعظم كما جاء مصرحًا به.



ففي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمِ دَعَا اللهُ؟ دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

والتوسل بأسماء الله عزَّ وجلَّ الحسنی، وصفاته العلاء، من أسباب استجابة الدعاء، والله الموفق .



(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٠١).

بعض أذكار الصباح

١٥٧٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»). وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (١).

أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ).

التَّشْرِيحُ

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث لبيان ما يقال في أذكار الصباح وفي أذكار المساء. وقد تقدم معنا ذكر بعض الأحاديث في أحاديث سابقة.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -»: كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «إِذَا أَصْبَحَ» أي: من بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس.

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا»»: أي: أن صباحنا بك، أنت الذي أحيتنا في هذا الوقت، وأنت الذي سخرت لنا ما نحن فيه.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٤)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨). وعند أبي داود: «وإليك النشور» في دعاء الصباح والمساء، وأما النسائي فعنده في دعاء المساء: «وإليك النشور». قال ومرة أخرى: «وإليك المصير». وأما ابن ماجه والترمذي فروايتهما للحديث من أمره - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أصبحتم فقولوا...»، أو: «إذا أصبح أحدكم فليقل: ...»، وعند الترمذي في دعاء الصباح: «وإليك المصير». وفي دعاء المساء: «وإليك النشور»! وأما ابن ماجه ففي دعاء المساء كما قال الحافظ، إلا أنه في دعاء الصباح ليس عنده: «وإليك النشور». وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٢٦٢، ٢٦٣)، والإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (١٤٠١).



قوله: «**وَبِكَ أَمْسَيْنَا**» أي: أن مساءنا بك، فأنت الذي تعين، وتحفظ.

قوله: «**وَبِكَ نَحْيَا**» أي: أنت الذي خلقتنا وأوجدتنا من العدم بعد أن لم نكن شيئاً مذكوراً.

فحياتنا كانت بك، فأنت الذي أحييتنا، وموتنا كذلك يكون بك، فأنت الذي تميتنا بأجلك الذي قدرته علينا.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]..

قوله: «**وَبِكَ نَمُوتُ**» أي: بأجلك الذي قدرته لنا للموت.

قوله: «**وَالَيْكَ النُّشُورُ**» أي: وإليك بعثنا ونشورنا من قبورنا يوم القيامة.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْجَبُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾﴾.

قوله: " **وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ; إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَالَيْكَ الْمَصِيرُ»** ".

وكثيراً من أذكار الصباح والمساء تجتمع، ويقع الخلاف في بعضها.

وقال بعض أهل العلم: فيها دقيقة.

وهي لما كان الليل محل إيواء، ونوم، ورجوع، وتقع فيه الوفاة الصغرى، جاء

النبي ﷺ بقوله: ﴿**وَالَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾.

والمصير والنشور بمعنى واحد: وهو أن المرجع والمآل يوم القيامة إلى الله

عَزَّجَلَّ، فيجازي كل عامل بعمله سبحانه وتعالى.

ولهذا ينبغي على كل مؤمن، وعاقل، وبالأخص طالب العلم أن لا يترك أذكار الصباح، والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج: من البيت، والمسجد، والحمام، وكل ما ثبت عن النبي ﷺ في الأذكار.

وكذلك الأذكار التي تقال عقب الصلوات المكتوبة؛ لما فيها من الأجور العظيمة، ولما فيها من الخير، والبركة، والدفع والحفظ للإنسان من الشرور، والبليات: من ذوات السموم، وشياطين الإنس، والجن، ثم إن فيها التأسى بالنبي ﷺ.

﴿ بيان معنى قول الله عزَّجَلَّ: (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات):

قال بعض أهل العلم: أن من حافظ على الأذكار الثابتة عن النبي ﷺ: في الصباح، المساء، وأدبار الصلوات المكتوبة، والنوم، وعند الاستيقاظ، وعند الدخول والخروج: من المسجد، والبيت، والحمام، وغيرها من الأذكار، أنه يعتبر من الذاكرين الله عزَّجَلَّ كثيراً ومن الذاكرات.

فإذا عجزنا عن ذكر الله عزَّجَلَّ وشكره في كل وقت، كما كان النبي ﷺ يذكر الله عزَّجَلَّ على كل أحيانه، فلا أقل من أن نذكر الله عزَّجَلَّ في الأوقات التي شرعت لنا.

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ [الروم: ١٧١٨]..

ولقد رأينا بركة الدعاء، وما أصابنا ما أصابنا، ووقع بنا ما وقع من النقص العلمي والعملية، أو المالي، أو الديني، إلا حين فرطنا في الدعاء.

حيث يقسو القلب، وتزداد الهموم والغموم، وتقل البركات؛ لأن المرء إذا ذكر الله عزَّجَلَّ ذكره الله عزَّجَلَّ، وإذا ذكره الله عزَّجَلَّ: أعانه، وغفر له، ووفقه لكل خير، ووقاه من كل شر وضير، وكان منصوراً على أعدائه، وكان محفوظاً من كل من يريد أن



يوقع به الشر، وكان معاناً على كل أمر يريده من أمور: الدين، أو الدنيا، أو الآخرة.

فمن ذكر الله **عَزَّجَلَّ** في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن جمع بين

ذكر الله في نفسه، وعند الملائكة؛ كان ذكر الله له في نفسه، وعند ملائكته.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «يَقُولُ اللَّهُ

تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي

نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ

ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(١).

ففي سنن الإمام ابن ماجه **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ

يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهَنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيح وضعيف ابن ماجه.

بيان جوامع الدعاء

١٥٧٦ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لبيان عظم وبركة هذا الدعاء؛ لأنه اشتمل على خيري الدنيا والآخرة.

ففي الصحيحين: من حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ، فَشَفَّاهُ»^(٢).

قوله: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وهذا معناه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له أدعية غير هذا الدعاء، ولكن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر ما يلازم هذا الدعاء؛ لما اشتمل عليه من خيري: الدنيا، والآخرة.

قوله: «رَبَّنَا» أي: يا ربنا، وأغلب أدعية القرآن أكثرها بهذا الاسم العظيم، وهو الرب.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).



ومما استنكر في حديث سرد الأسماء الحسنی فی سنن الإمام الترمذی، الذي جاء من طريق الوليد بن مسلم، أن هذا الاسم مذكورًا فيه.

قوله: «آتنا» أي: اعطنا.

قوله: «في الدنيا» أي: في الحياة الدنيا.

قوله: «حسنة».

قيل: التوحيد.

وقيل: العلم.

وقيل: العمل بالعلم.

والدعاء بقولنا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، يشمل كل خير في الدنيا، والدين.

قوله: «وفي الآخرة حسنة».

قيل: الجنة.

وقيل: النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقيل: رضوان الله عز وجل.

وهذا الدعاء أيضًا يشمل كل خير في الآخرة: من دخول الجنة، ومن رضوان الله، والنظر إلى وجهه الكريم.

قوله: «وقنا عذاب النار»: فإذا صرف الله عز وجل عن العبد عذاب النار، وسخطه،

وعقابه، فقد وقاه شر الدنيا، وشر الآخرة.

وفي سنن الإمام الترمذی رحمه الله: من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال: قال

رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن

اسْتَبَجَرَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦]..

فالنار أعظم مصيبة على أهلها الخالدين فيها: فهم لا يهنئون فيها بشراب، ولا بطعام، ولا بنوم، ولا لباس، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨]..

وزادهم على ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَتًا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ سَخَرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١١١]..

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (١٢٣).
(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

ويقول الله **عَزَّجَلَّ** : ﴿ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْغَشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيِنَةٍ ⑤ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ⑥ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦ ﴾ [الغاشية: ١-٧]..

ويقول الله **عَزَّجَلَّ** : ﴿ إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ① لِلطَّغِينِ مَثَابًا ② لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ③ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ④ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ⑤ جَرَاءً وَفَاقًا ⑥ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ⑦ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ⑧ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ⑨ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ⑩ ﴾ [النبأ: ١٣٠-٢]..

نسأل الله السلامة والعافية من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن سخط الله **عَزَّجَلَّ**، وعقابه، وعذابه.





بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم

١٥٧٧ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ -
 - يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ
 أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ
 عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا
 أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (١).
 مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث لبيان بركة هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ

يدعوه به.

قوله: «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو عبد الله بن عيس الأشعري اليماني،
 وقد تقدم معا بيان ذلك.

قوله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَدْعُو»: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي»: أي: اغفر لي وتجاوز عن ذنوبي.

وطلب المغفرة: هو ستر ما مضى، والتوفيق لما سيأتي.

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،

فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٨١٩).

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١).

قوله: «وَجَهْلِي»: يشمل كل ما فعله الإنسان عن جهل.

• وقد يراد بالجهل أمرين:

الأول: ما كان من غير علم بالحكم الشرعي.

الثاني: وقد يراد بالجهل ما كان فيه الخروج عن الطبيعة من الغضب وغير ذلك. والنبي ﷺ بعيد عن هذه الأمور.

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ ۝ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَقًّا إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٧-١٨].

قوله: «وَأِسْرَافِي فِي أَمْرِي»: وهذا يشمل الإسراف في كل شيء.

والإسراف: هو مجاوزة الحد الشرعي الذي أباحه الله عزَّ وجلَّ إلى غيره مما حرمه الله عزَّ وجلَّ.

وقد يكون الإسراف في الكلام، وإضاعة الوقت؛ إذا حصل التجاوز من العبد للحد الشرعي.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لِنِسِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرٌ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَرَهَا قِتَادَةً: لَمْ يَدْخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمَ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبُهُ، فَاَنْظُرُوا فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

صِرْتُ فَحَمًّا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - وَرَبِّي - فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتِكَ - أَوْ فَرَقُ مِنْكَ - فَمَا تَلَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ"، فَحَدَّثْتُ أَبَا عَثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ»^(١).

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: وهذا الدعاء هام جداً؛ فإن العبد لا يقتصر بالتوبة والاستغفار على ما يعلمه من الذنوب، والخطايا، والآثام. فقد يكون عنده من الذنوب، والخطايا، والآثام، ما الله **عَزَّوَجَلَّ** به عليم، وهو لا يعلم بذلك.

وقد يقع العبد في الذنوب، والمعاصي، وهو لا يعلم. ولهذا جاء في صحيح الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من حديث عائشة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** - عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهُ، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»^(٢).

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي»: فأعاد النبي ﷺ طلب المغفرة من الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يحب الإلحاح في الدعاء، ويحب من عبده التضرع بين يديه. **والجد:** هو ما يفعله الإنسان عن عمد، وقصد.

قوله: «وَهَزَلِي» الهزل: ما يفعله في المزاح، ونحو ذلك.

قوله: «وَخَطِيئِي» أي: وما فعلته عن خطأ مني.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٦).



قوله: «وَعَمْدِي» أي: وما فعله الإنسان عن تعمد وقصد، وهو بمعنى الجد.

قوله: «وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»: فعم النبي ﷺ بعد ما خص بعض الأدعية، وهذا يفيد أن التكرار في الدعاء، مرغباً فيه سواء كان بلفظه أو معناه.

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» أي: اغفر لي ما قدمت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام فيما مضى من عمري.

قوله: «وَمَا أَخَّرْتُ» أي: واغفر لي ما أخرت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام، فيما بقي لي من عمري.

قوله: «وَمَا أَسْرَرْتُ» أي: وما أسررت من الذنوب في خلوتي، ونفسي.

قوله: «وَمَا أَعْلَنْتُ» أي: في جلوتي.

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: كرر الدعاء بهذا حتى يفيدنا الإلحاح، وأن العبد ينبغي له أن يكرر مثل هذا الدعاء، الذي فيه التفويض لله عزَّ وجلَّ فيما يعلمه من ذنوب العبد، ومعاصيه؛ لأن العبد قد يذنب ويكثر من الذنوب وينسى ذلك.

قوله: «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ»: يتوسل إلى الله عزَّ وجلَّ باسمه المقدم؛ فالله عزَّ وجلَّ يقدم من شاء من عباده: بالأعمال الصالحة، والتوفيق لها، والعلم، والجاه، والمنصب، والمال، وفق حكمته البالغة.

قوله: «وَالْمُؤَخَّرُ»: ويتوسل إلى الله عزَّ وجلَّ باسمه المؤخر.

إذ أنه يؤخر من يشاء من عباده بمعصيته.

فطاعة الله عزَّ وجلَّ والحرص عليها، والمسابقة إليها، والمسارة، والمبادرة سبب من أسباب تقديم الله عزَّ وجلَّ للعبد في الدين، والدنيا، والآخرة.

ومعصية الله عزَّ وجلَّ، والذنوب، من أسباب تأخير الله عزَّ وجلَّ لعبد في الدين، والدنيا،

والآخرة، يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧).

فالتقدم من العبد: يكون بطاعة الله **عَزَّجَلَّ**: بفعل أو امره، واجتناب نواهيه .

والتأخر: يكون بمعصية الله **عَزَّجَلَّ**، والتساهل في ذلك .

قوله: «وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: وذلك لكمال علمه وقدرته، يقول الله **عَزَّجَلَّ** :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤).





الدعاء بصلاح الدين والدنيا

١٥٧٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشَّحْ

والحديث أخرجه البزار رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَفِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرِي وَفِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا بَلَاغِي، وَاجْعَلْ حَيَاتِي زِيَادَةً فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(٢).

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٧١٦): تَصَمَّنَ الدُّعَاءُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ بَلْ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى سُؤَالِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ فِي قَضَائِهِ عَلَيْهِ وَنُزُولِهِ بِهِ رَاحَةً مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ شُرُورِ الْقَبْرِ لِعُمُومِ كُلِّ شَرٍّ أَيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ. اهـ

قوله: «وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي» أي: وأصلح آخرتي التي إليها معادي يوم القيامة .

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣٨١).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٩٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٣٨).

ولا تصلح الدنيا، والآخرة؛ بمثل تقوى الله **عَزَّجَلَّ**.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْبُلُغَ فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قوله: «وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِّي فِي كُلِّ خَيْرٍ»: لأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً، فكل يوم له في أجور عظيمة، وحسنات كثيرة، وحتى يأتيه الأجل. وقد نبى النبي ﷺ أن يدعو المرء على نفسه بالموت.

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرَهُ إِلَّا خَيْرًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عبد الله بن بسرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ»^(٢).

قوله: «وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِّي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

كما جاء في الصحيحين: من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مَتَمَنِّيَا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِّي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِّي»^(٣).

والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٦٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٦٨٠).



الدعاء بالعلم النافع

١٥٧٩ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: **اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي**)^(١).
رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ).

١٥٨٠ - (وَلِلْتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: **«وَرِزْقِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»**)^(٢). وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

الشرح

قوله: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -»** كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: **«يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي»** أي: اجعل علمي ينفعني من حيث العمل به.

وهذا كقوله ﷺ: **«اللهم إني أسألك علماً نافعاً»**.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث أم سلمة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا،**

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨١٩)، والحاكم (١٨٧٩)، ويشهد له ما بعده. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٣١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣)، وفي سننه محمد بن ثابت مجهول، وموسى بن عبيدة الربذي متروك. وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ السُّنَنِ (٣٥٩٩): "صحيح دون قوله: "والحمد لله...".

وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»^(١).

ففي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: "لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(٢).

فالعلم النافع: هو العلم الذي يورث لصاحبه العمل: بالكتاب، وبالسنة النبوية. والعلم الذي لا ينفع: هو العلم الذي لا يعمل به أو المأخوذ من غير الكتاب والسنة على فهم السلف رضوان الله عليهم .

﴿ بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة: ﴾

قوله: «وَعَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي»: لأن من العلم ما لا ينفع .

فمن العلوم التي لا تنفع صاحبها، بل تضره، وربما أوصلته إلى الكفر والردة عن دينه: كعلم السحر، وعلم الشعوذة، وعلم الكهانة، والكلام، وغير ذلك من العلوم التي تتسبب لصاحبها الضرر العظيم في دينه.

﴿ بيان العلم النافع لصاحبه: ﴾

وهناك علوم تنفع صاحبها في الدنيا، والآخرة: وعلى رأسها علم التوحيد، وعلم ما يضاد التوحيد وينقصه: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر؛ حتى يحذرهما.

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).



وعلم الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، هو أصل العلوم، وهو النافع لصاحبه في الدنيا، والآخرة.

﴿ بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا: ﴾

كعلم الطب، والهندسة، والحساب، وغير ذلك من العلوم التي قد ينال بها العبد في الدنيا المنفعة، وهي في أصلها ليست مخالفة للكتاب، والسنة. وربما انتفع بها في الآخرة؛ إذا احتسب فيها الأجر، وقصد منفعة الإسلام والمسلمين .

قوله: «وَأَرْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي» فيه: أن العلم النافع رزقاً من الله عزَّوجلَّ يعطيه من شاء، يقول الله عزَّوجلَّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ .
وقد أحسن من قال:

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل

قوله: «وَلَلتُّرْمِذِيَّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.»
بل الحديث ضعيف جداً؛ في إسناده موسى بن عبيدة الربذي شديد الضعف، وشيخه محمد بن ثابت مجهول.

قوله: «وزدني علماً»: على ما تقدم .

قوله: «الحمد لله على كل حال»: إذ أن الله عزَّوجلَّ يحمد على عدله وفضله، فالإنسان المؤمن يحمد الله عزَّوجلَّ على كل حال من أحواله.

ففي سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: من حديث ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي

وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ
اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ: من حديث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا
رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢).

وحين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يحمد ربنا عَزَّوَجَلَّ .

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

قوله: «وأعوذ بك من حال أهل النار»: فهو بئس الأحوال، عذاب مستمر ولا
ينقطع، وكلما مر عليهم وقتاً زادهم الله عَزَّوَجَلَّ عذاباً إلى عذابهم.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٤)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].



(١) أخرجه أبو داود (٥٥٥٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح وضعيف ابن ماجه.

الدعاء بخيري الدنيا والآخرة

١٥٨١ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشَّرح

هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع أدعية النبي ﷺ.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»:

إذ أنه دعاء عام يشمل كل خير: في أمور الدين، والدنيا والآخرة. وسواء كان الخير في الأمور الحسية، أو المعنوية.

فالخير كله بيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه هو صاحب الفضل، والكرم، والعطاء، والإحسان. فالخير كله بيد الله عَزَّوَجَلَّ يعطيه من شاء، ويوفق له من شاء من عباده، سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وأرحم الراحمين.

زد على ذلك أن النبي ﷺ علم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تقول: "ما علمت منه، وما لم أعلم".

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) بسند صحيح، وابن حبان (٨٦٩)، والحاكم (١٩١٤)، وفي سند ابن حبان سقط. وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (١٥٤٢).

فالخير قد يعلمه بعض الناس، وبعضه قد لا يعلم، ولكن الله **عَزَّجَلَّ** بكل شيء عليم .

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

وهذا أيضًا يشمل كل الشرور والآثام الحسية، والمعنوية. سواء كانت في أمور الدين، أو الدنيا، أو الآخرة، فينبغي للمؤمن أن يستعيد بالله **عَزَّجَلَّ** من جميع الشرور . ويدخل فيه أيضًا الاستعاذة من الأمراض، والأسقام، والابتلاءات، الحسية، والمعنوية.

سواء ما كان منها بالشبهات، أو بالشهوات.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ»: وهذا تمام لما تقدم.

وفيه: دليل على أن الإنسان إذا عجز عن الدعاء بما ثبت عن النبي **ﷺ**.

فيشرع له أن يدعو بما دعاه به النبي **ﷺ** على الإجمال.

ويشرع له أن يدعو بما دعا به الصالحون من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، والتابعين، وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن في دعائهم الخير، والبركة، لما فيه من البعد عن البدع والمحدثات .

وفيه: دليل على أن النبي **ﷺ** عبد لا يعبد، ونبي لا يكذب.

وفيه: رد على الغلاة في نبينا محمد **ﷺ** من الصوفية، ومن نحنا نحوهم.

وفيه: رد على الجفاة في نبينا **ﷺ**: من اليهود، والنصارى، وسائر الكفار

والمشركين والملحدين والمجوس وغيرهم.

الذي كفروا بنبوة نبينا **ﷺ**، ولم يسلموا، أو ينقادوا لهذا الدين العظيم.



قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ».

فيه: تكرار للسؤال من الله **عَزَّجَلَّ**، وفيه الإلحاح على الله **عَزَّجَلَّ** بالدعاء.

فالجنة هي المقصد الذي يريده كل عبد صالح مؤمن بالله **عَزَّجَلَّ**، وبرسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قوله: «وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: وأسألك ما قرب إلى الجنة من

الأعمال الصالحة، سواء كانت بالقلب، أو اللسان، أو الجوارح.

فالعبادات المتعلقة باللسان: كالذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر، وتعليم العلم الشرعي، والموعظة، والتذكير، والنصح، والإرشاد، وغير ذلك

من العبادات القولية.

والعبادات المتعلقة بالجوارح: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله

عَزَّجَلَّ، والزكاة، والصدقة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران،

وبذل المعروف لكل مسلم، وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالجوارح.

والعبادات المتعلقة بالقلب: كالإخلاص، والرجاء، والخوف، والتوكل،

والخشية، والرغبة، والخضوع، والاستكانة، والتذلل، والحب، والرغبة، وغير ذلك

من العبادات القلبية.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» فيه: الاستعاذة من النار، ومن عذاب جهنم، لشدته، قال

الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٦٥] [الفرقان: ٦٥].

قوله: «وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: واستعيذ بك من الأعمال السيئة،

والذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام التي تقرب من النار وتكون سببا في

دخولها.

وعلى رأسها الشرك، والكفر بالله **عَزَّجَلَّ**، والردة عن دين الإسلام؛ فإن هذه

الأعمال تخلد صاحبها في نار جهنم.

قوله: «وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

إذ أنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى.

يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦).

ويقول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ سَبْحَنَ

اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨).

مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟

📖 قال الطيبي في شرح المشكاة (١٧٠٩ / ٥):

القضاء الأمر المقدر، في تأويل الحديث وجهان:

أحدهما: أن يراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه، ويتوقاه، فإذا وفق

للدعاء دفع الله عنه، فتكون تسميته بالقضاء علي المجاز، ويزيد توضيحه ما سئل صلى الله عليه وسلم

((أرأيت رقى نسترقها- إلي قوله: قال ((هي من قدر الله)) فقد أمر الله تعالى بالدعاء

والتداوي، مع علم الخلق بأن المقدر كائن؛ لأن حقيقة المقدر وجودا أو عدما

مخفية عنهم،

وثانيهما: أن يراد به الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء القضاء، تهوينه وتيسير الأمر

فيه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل به، ويؤيده الحديث التالي: ((إن الدعاء

ينفع مما نزل ومما لم ينزل)) أما نفعه مما نزل عليه، فصبره عليه، وتحمله له، رضاه

به، حتى لا يكون في نزوله متمنياً خلاف ما كان، وأما نفعه مما لم ينزل، فهو أن يصرفه

عنه، أو يمدد قبل النزول بتأييد من عنده، حتى تخف معه أعباء ذلك إذا نزل به.

قال أبو حامد الغزالي: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم



أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ﴾. فقدر الله تعالى الأمر وقدر سببه، وفي الدعاء من الفوائد ما ذكرنا من حضور القلب، والافتقار، وهما نهاية العبادة والمعرفة. اهـ



كفارة المجلس

١٥٨٢ - (وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١)).

الشرح

ختم المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ الْكَاتِبِ الْجَلِيلِ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ، كَمَا خَتَمَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ كِتَابَهُ الصَّحِيحَ الْجَامِعَ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي مَعْنَاهُ حَدِيثٌ عَائِشَةَ، وَأَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي بَيَانِ كِفَارَةِ الْمَجْلِسِ وَفِي بَعْضِهَا كَلَامٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَفِي سُنَنِ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ رَحْمَةُ اللَّهِ: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وَفِي سُنَنِ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ رَحْمَةُ اللَّهِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَهُ.

وَفِي سُنَنِ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ رَحْمَةُ اللَّهِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بِأَخْرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٧)، وقال الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صَحِيحٍ وَضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ: صَحِيحٌ دُونَ قَوْلِهِ: "ثَلَاثَ مَرَّاتٍ".

وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتُ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»^(١).

وفي سنن الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وخرج طرق هذه الأحاديث مع ذكر شواهدا الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر تفسير سورة الصافات.

وهكذا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر شرح على صحيح البخاري .

والأحاديث المتقدمة تدل على مشروعية المجيء بكفارة المجلس .

قوله: «كَلِمَتَانِ» أي: جملتان؛ لأن الكلمة تأتي بمعنى الجملة المفيدة.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويقال أفضل كلمة هي: لا إله إلا الله؛ لأنها كلمة التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ.

ويقال: أصدق كلمة قالها شاعر:

ألا كل شيء ما خلق الله باطل .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْدَقُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف أبي داود.

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح وضعيف النسائي، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٩٨).

كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةٌ لَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ ... وَكَأَدَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ»^(١).

قوله: «حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ» فيه: إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

فثبت ذلك على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).
فالله يُحِبُّ من عباده المؤمنين، ويُحِبُّ عباده المؤمنين، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» أي: عند النطق بهما في اللسان.

قوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» أي: عند وزن صحائف الأعمال يوم القيامة تكون في الميزان ثقيلة.

وبهذا الحديث وغيره من الأدلة احتج أهل العلم على وزن الأعمال يوم القيامة. وقد تقدم أن الميزان حقيقي توزن به الأعمال، ويوزن به العامل، وتوزن به صحائف الأعمال.

وله كفتان، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة البطاقة.

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» أي: تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص، و عيب، وما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وبحمده: لكماله المقدس من كل وجه.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

العظيم: الذي بلغ في العظمة منتهاها، فهو سبحانه وتعالى لا أعظم منه، ولا أكبر منه، ولا أجل منه، ولا أحد يوصف بصفاته سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩]..

وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١).

ويقول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢٢).

ويقول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (١٧).

ويقول الله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿١﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

ويقول الله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ:

«كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٍ مَزْرُورَةٌ

بِالدِّيْبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ

كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعُ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ

جَبَّتِهِ، وَقَالَ: " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْمَلُ " ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِائْتِنِينَ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكَبْرِ " قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشُّرْكَ قَدْ عَرَفْنَا، فَمَا الْكَبْرُ؟ قَالَ: الْكَبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لِهَمَّا شِرَاكَيْنِ حَسَنَانِ قَالَ: " لَا " قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبُسُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: الْكَبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: " لَا " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكَبْرُ؟ قَالَ: " سَفَهُ الْحَقِّ، وَعَمُصُ النَّاسِ " (١).

وفي مسلم: من حديث أبي مالك الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» (٢).

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٤)، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٨٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).



فسبحان الله: كلمة للتنزيه وبحمده: كلمة للإثبات، فيجمع في وصف الله عزَّجَلَّ

بين النفي، والإثبات، تنفى عن الله عزَّجَلَّ كل العيوب والنقائص، وتثبت له كمال .

📖 قال ابن رجب في الفتح (٣ / ٣٤٥): وقد كان النبي - ﷺ - يختم مجالسه

بكفارة المجلس، وأمر أن تختم المجالس به، وأخبر أنه إن كان المجلس لغوا كانت

كفارة له، وروي ذلك عن جماعة من الصحابة، فإذا وقع اللغو في المساجد ثم ختم

المجلس بكفارته، فهو شبيهه بالبصاق في المسجد ودفنها بعده . اهـ

وسبحانك اللهم ونحمدك لا إله إلا أنت أسئلك وأتوب إليك.
 وكان الانتهاء من التعليق على هذا الكتاب
 في السادس والعشرين من شهر شعبان
 لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة
 في مسجد الصحابة مدينة الغيضة
 فنسأل الله عَزَّجَلَّ القبول والسداد
 والحمد لله رب العالمين^(١)



(١) وكانت الانتهاء من المراجعة المفرغة في ليلة الجمعة ١/ صفر/ ١٤٤٢ هـ
 وكان الانتهاء من مراجعة كتاب هبة السلام شرح بلوغ المرام ليلة الثلاثاء ١٨/ ربيع الآخر ١٤٤٣ لله
 الحمد والمنة.



إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام

✽ قال أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

• فقد أجزت كل من حضر هذا المجلس، أو تابع هذا الدرس في مروياتي عن الحافظ ابن حجر شهاب الدين: "أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ابن حجر بن أحمد العسقلاني".

وكانت حياته: بين سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة وسنة اثنين وخمسين وثمانمائة رَحْمَةُ اللَّهِ اللهُ.

أرويه عن شيخنا العلامة المحدث محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الأتيوبي الولولي رَحْمَةُ اللَّهِ.

عن والده العلامة الجليل، والدرك النبيل، الفقيه الأصولي، علي بن آدم الأتيوبي، رَحْمَةُ اللَّهِ، يرويه عنه قراءة لكثير منه، وإجازة لباقيه.

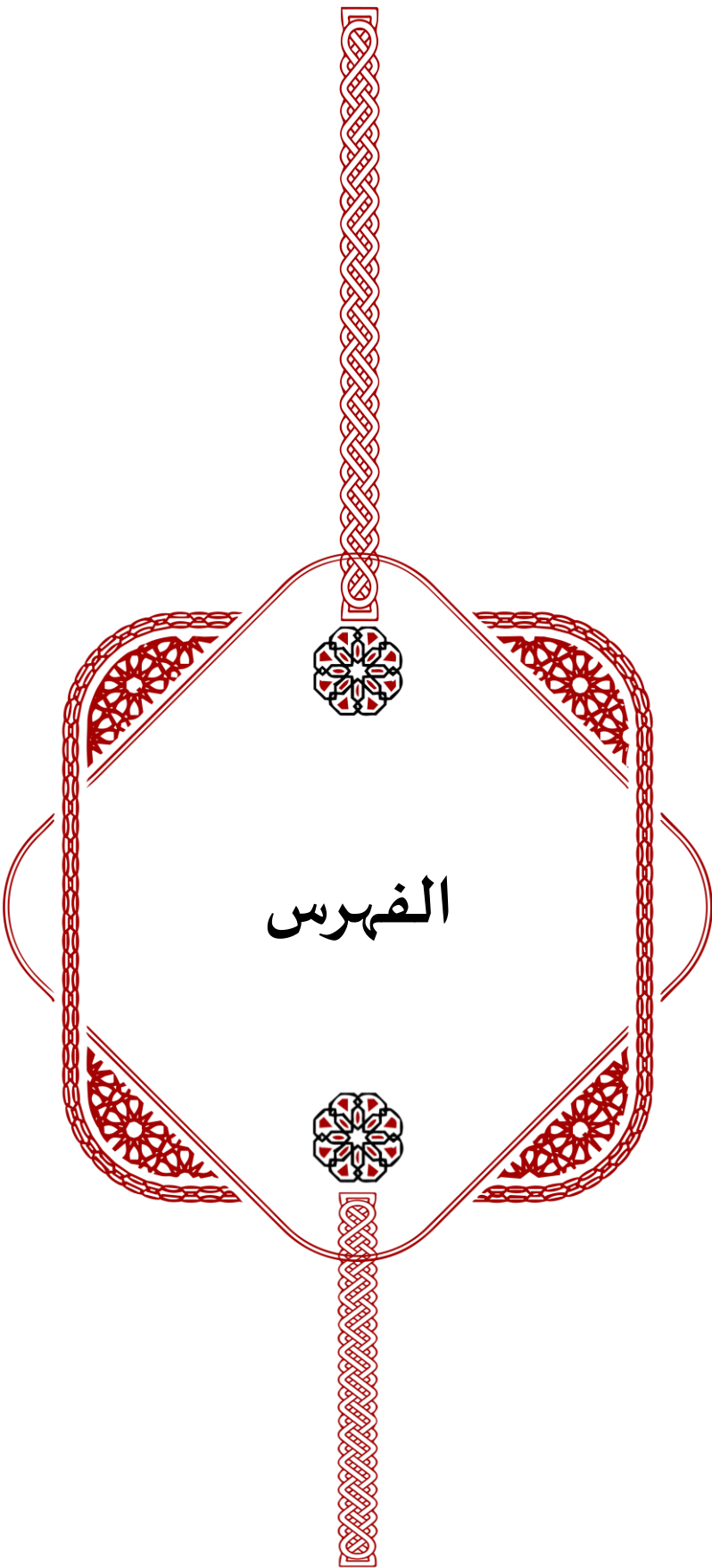
والعلامة محمد زين الثاني بن محمد ياسين، والشيخ عبد الباسط محمد بن حسن الأتيوبي البروني المناسي، والشيخ حياة بن علي الأتيوبي الدرّي، أربعتهم عن العلامة المقرئ المحدث محيي السنة، وقامع البدعة، الشيخ كبير أحمد بن عبد الرحمن الحسنّي العَدّي أبا العقيلي الدوي بلدًا، المتوفى في التاسع من الشهر الأول لعام تسعين وثلاثمائة وألف هجري، عن العلامة عبد الجليل بن يحيى الدلّتي، عن والده يحيى بن بشير الدلّتي، عن والده بشير الدلّتي، عن المفتي داود بن أبي بكر الدوّي، عن شيخه السيد سليمان بن يحيى مقبول الأهدل، عن عبد القادر ابن الخليل المدني، عن محمد بن أحمد بن سالم، عن عبد الغني وعبد الرحمن المجد، عن النجم

الغزّيّ، عن البدر، عن القاضي زكريا، وعن مؤلفها الحافظ ابن حجر العسقلاني
رَحْمَةُ اللَّهِ.

وبالله التوفيق^(١)



(١) وكان إملاء هذا السند والإجازة في ليلة السابع والعشرين من شعبان لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف، بين مغرب وعشاء من يوم الأحد الذي صيحتها يوم الاثنين، في مسجد الصحابة مدينة الغيضة في محافظة المهرة في بلاد اليمن حرسها الله وجميع بلاد المسلمين .



الفهرس

٦..... كتاب الجامع

٧..... كتاب الجامع - باب الأدب

٩..... بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم

١٣..... بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم:

١٣..... بيان أفضل صيغة للسلام:

١٤..... بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام:

١٤..... بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم:

١٥..... بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير:

١٥..... بيان أن الراكب يسلم على الماشي:

١٥..... بيان حكم إجابة الدعوة:

١٦..... بيان حكم النصيحة لمن طلبها:

١٧..... حكم تشميت العاطس

١٧..... ويحب الله عزَّوَجَلَّ العطاس ويكره التثاؤب:

١٨..... بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت:

١٨..... بيان أن من عطس فلم يحمد الله عزَّوَجَلَّ فلا يشمت:

١٩..... بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين:

١٩..... بيان حكم عيادة المريض:

٢١..... اتباع الجنائز:

بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه

٢٢.....



٢٤ بيان البر والإثم

٢٥ بيان أقسام حسن الخلق:

٢٥ بيان أن الصدق أساس البر.....

٢٦ بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله عزَّجَلَّ:

٢٦ بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي ﷺ:

٢٧ بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس:

٢٧ بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:

٢٩ بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث

٣٢ بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه

٣٤ بيان بعض آداب الأكل

٣٤ بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:

٣٤ والشاهد من الحديث:

٣٥ بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة:

٣٥ بيان أن عادة النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع:

٣٧ بيان بعض آداب السلام

٤٠ بيان حكم السَّلام حال الخطبة في الجمعة:

٤١ بيان حكم السَّلام على المُستَغَلِّ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

٤١ بيان حكم سَلامٍ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ:

٤١ بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام:

٤٣ بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام

٤٧ بيان أقسام أمة النبي ﷺ:

٤٩ بيان بعض آداب العطاس

٥١ بيان حكم من عطس ولم يحمد الله:

- ٥١ وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟
- ٥٢ بيان النهي عن الشرب قائمًا
- ٥٢ بيان حكم الشرب جالسًا:
- ٥٤ بيان بعض آداب اللبس
- ٥٤ بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال:
- ٥٥ بيان أن المتعل كالراكب:
- ٥٥ بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس:
- ٥٨ حكم الإسبال والخيلاء
- ٥٨ بيان حكم الإسبال:
- ٦٠ الرد على من استدل بحديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٦٤ بيان بعض آداب الأكل
- ٦٥ بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:
- ٦٨ بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها
- ٦٩ بيان الفرق بين الإسراف والتبذير:
- ٧١ باب البر والصلة
- ٧١ بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر:
- ٧٢ بيان أعظم البر:
- ٧٢ بيان تحريم قطيعة الأرحام:
- ٧٤ بيان عظم حق الوالدين:
- ٧٥ بيان حق النبي ﷺ:
- ٧٥ بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية:
- ٧٩ بيان فضيلة البر وصلة الأرحام
- ٨٠ بيان الجواب عن الإشكال:



- ٨٢..... بيان أن الواصل ليس بالمكافئ:.....
- ٨٤..... بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه
- ٨٤ بيان معنى الحديث:.....
- ٨٦..... بما تقع قطيعة الرحم
- ٨٨ بيان بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات
- ٨٩ الفرق بين المحرم والمكروه في اصطلاح الأصوليين :.....
- ٩٤..... بيان التشديد في إضاعة المال:.....
- ٩٧..... بيان أن رضاء الله في رضاء الوالد، وسخط الله في سخط الوالد
- ٩٧..... بيان حكم طاعة الوالد:.....
- ١٠١..... بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه ..
- ١٠٣ بيان أعظم الحقوق
- ١٠٦..... من الكبائر شتم الوالدين
- ١٠٩..... تحريم هجر المسلم فوق ثلاث
- ١١١..... بيان أن كل معروف صدقة
- ١١٣ بذل المعروف
- ١١٥..... اصطناع المعروف
- ١١٧ فضل تفريج كربات المسلمين
- ١٢٤ أجر الدلالة على الخير
- ١٢٥ المكافأة على المعروف
- ١٢٧ باب الزهد والورع
- ١٣٠ بيان أقسام العلم:.....

- ١٣٠ بيان أن تحريم ما أحل الله عزَّجَلَّ ليس من الزهد: ١٣٠
- ١٣١ بيان أن نبينا محمد ﷺ أعظم الناس زهدا وورعًا الزهاد: ١٣١
- ١٣٣ بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات ١٣٣
- ١٣٩ بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم ١٣٩
- ١٤٢ بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل ١٤٢
- ١٤٧ بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين ١٤٧
- ١٥١ بيان وجوب مراقبة الله عزَّجَلَّ في السر وفي العلن ١٥١
- ١٥٥ بيان جواز الاستعانة بالمخلوق: ١٥٥
- ١٥٧ بيان فضل الزهد في الدنيا ١٥٧
- ١٦١ بيان بعض الذين يحبهم الله عزَّجَلَّ ١٦١
- ١٦٥ بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ١٦٥
- ١٦٨ بيان النهي عن كثرة الأكل ١٦٨
- ١٧٠ بيان الحث على التوبة من كل ذنب ١٧٠
- ١٧٢ بيان شروط التوبة النصوح: ١٧٢
- ١٧٤ بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الانحراف: ١٧٤
- ١٧٤ بيان كيفية التوبة من النفاق: ١٧٤
- ١٧٤ فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي: ١٧٤
- ١٧٦ بيان فضل الصمت ١٧٦
- ١٧٧ ومما يذكر عن لقمان الحكيم رَحِمَهُ اللهُ: ١٧٧
- ١٧٨ وإذا لم يتبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟ ١٧٨
- ١٨٠ باب الرَّهْب من مساوئ الأخلاق ١٨٠
- ١٨٠ بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق: ١٨٠



- ١٨١ بيان بدء دعوة النبي ﷺ للناس:
- ١٨٢ بيان أقسام الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:
- ١٨٥ بيان أنواع مساوئ الأخلاق:
- ١٨٦ بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر
- ١٨٨ بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:
- ١٨٩ بيان أفضل علاج للحسد:
- ١٩١ بيان ذم الغضب
- ١٩٣ بيان تحريم الظلم
- ١٩٤ بيان أنواع الظلم:
- ١٩٦ بيان خطر الرياء
- ١٩٩ بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله عَزَّوَجَلَّ لصاحبه؟
- ٢٠٠ بيان علامات النفاق العملي الأصغر
- ٢٠٠ بيان أقسام النفاق:
- ٢٠٣ بيان وصف الله عَزَّوَجَلَّ بأنه: لا يخلف الميعاد.
- ٢٠٥ بيان تحريم سباب المسلم
- ٢٠٦ بيان أقسام الفسق:
- ٢٠٦ بيان سبب تسمية القتل كفرًا:
- ٢٠٩ بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين
- ٢١٠ بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ:
- ٢١٣ بيان تحريم غش المسلمين
- ٢١٦ بيان وجوب الرفق بالرعية
- ٢١٨ بيان تحريم الضرب في الوجه

- ٢١٨ وقد نهى النبي ﷺ عن الوسم في الوجه.
- ٢٢٠ التحذير من الغضب
- ٢٢٢ بيان تحريم التخوض في مال الله عزَّوجلَّ بغير حق
- ٢٢٥ بيان تحريم الظلم
- ٢٢٦ بيان معنى الظلم:
- ٢٢٧ بيان هل يجوز لله عزَّوجلَّ أن يعذب بغير ذنب؟
- ٢٢٨ بيان أن دعوة المظلوم مستجابة:
- ٢٣٠ والمظالم إن لم تؤدَّ إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.
- ٢٣٢ بيان تحريم الغيبة
- ٢٣٣ بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:
- ٢٣٥ بيان حكم النميمة:
- ٢٣٦ والقنات: هو المنام.
- ٢٣٦ والنميمة من أسباب عذاب القبر:
- ٢٣٧ بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير
- ٢٣٨ بيان حكم النجش:
- ٢٣٨ بيان الفرق بين التجسس والتجسس:
- ٢٣٨ بيان حكم التجسس والتجسس:
- ٢٣٩ بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين:
- ٢٤٠ بيان حكم التنافس:
- ٢٤٥ الاستعاذة من منكرات الأخلاق
- ٢٤٩ بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد
- ٢٥٠ بيان حكم المراء بين الأخوة:
- ٢٥٢ ذم البخل وسوء الخلق



- ٢٥٤ بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين
- ٢٥٦ بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين
- ٢٥٨ بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن
- ٢٦١ بيان حكم اللعن بالتعيين:
- ٢٦١ بيان حكم اللعن بالوصف:
- ٢٦٥ بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي
- ٢٦٥ بيان سب نبي ﷺ عن سب الأموات:
- ٢٦٦ بيان حكم السب:
- ٢٦٦ بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء:
- ٢٦٨ بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر
- ٢٦٨ بيان أن الغيبة أهون من النميمة:
- ٢٧٠ بيان فضل كف الغضب
- ٢٧٢ بيان الزجر الشديد للخب، وللبلخ، ولسوء الملكة
- ٢٧٣ بيان تحريم التجسس على المسلمين
- ٢٧٤ بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره
- ٢٧٦ بيان تحريم التعاضم، والاختيال
- ٢٧٦ وقد أمر المؤمن بالتواضع:
- ٢٧٩ بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان
- ٢٨٢ بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق
- ٢٨٢ بيان الشؤم الحقيقي:
- ٢٨٤ بيان النهي عن كثرة اللعن

- ٢٨٦..... بيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه
- ٢٨٧..... بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟
- ٢٨٩..... بيان النهي عن الكذب في المزاح
- ٢٨٩..... بيان بعض ما جاء عن النبي ﷺ في مزاحه وهو حق
- ٢٩٣..... بيان كفارة الغيبة
- ٢٩٥..... بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين
- ٢٩٧..... باب الترغيب في مكارم الأخلاق
- ٢٩٨..... الأمر بلزوم الصدق
- ٢٩٩..... بيان أعظم الصدق:
- ٣٠٢..... بيان أن سوء الظن أكذب الحديث
- ٣٠٣..... بيان حق الطريق
- ٣٠٦..... بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة
- ٣٠٩..... بيان فضل حسن الخلق
- ٣١٠..... بيان الموزون يوم القيامة:
- ٣١٢..... بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:
- ٣١٣..... بيان من أنكر الميزان:
- ٣١٤..... بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان
- ٣١٧..... بيان سوء قلة الحياء
- ٣١٨..... بيان قوي الإيمان من ضعفه
- ٣١٨..... بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:
- ٣٢٠..... بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن:
- ٣٢٠..... بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب:



- ٣٢١..... بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان: ٤٥
- ٣٢٥..... الحث على التواضع ٤٥
- ٣٢٦..... بيان أنواع التواضع: ٤٥
- ٣٢٦..... والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة: ٤٥
- ٣٢٧..... بيان أن الجزاء من جنس العمل: ٤٥
- ٣٢٧..... بيان معنى التواضع: ٤٥
- ٣٣١..... فضيلة من رد عن عرض المسلم ٤٥
- ٣٣٣..... فضل الصدقة ٤٥
- ٣٣٣..... بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين: ٤٥
- ٣٣٤..... بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله عَزَّوَجَلَّ عَزًّا: ٤٥
- فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام ٤٥
- ٣٣٦..... ٤٥
- ٣٤٠..... الدين النصيحة ٤٥
- ٣٤١..... بيان أن النصيحة لها عام، وخاص: ٤٥
- ٣٤٥..... فضل التقوى وحسن الخلق ٤٥
- ٣٤٦..... وحسن الخلق كما سبق قسمين: ٤٥
- ٣٤٧..... بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس ٤٥
- ٣٤٨..... بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن ٤٥
- ٣٤٩..... بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم ٤٥
- ٣٥٢..... الدعاء بحسن الخلق ٤٥
- ٣٥٣..... وكما كان النبي ﷺ في أحسن خلقه، فقد كان أيضًا أحسن الناس ٤٥
- ٣٥٤..... بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقته: ٤٥

- ٣٥٦ باب الذكر والدعاء
- ٣٥٦ بيان الفرق بين الذكر والدعاء:
- ٣٥٧ بيان أقسام الذكر:
- ٣٥٧ • الأول: الذكر والدعاء المطلق.
- ٣٥٧ • الثاني: الذكر والدعاء المقيد.
- ٣٥٨ بيان أوقات الاستجابة:
- ٣٦٤ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:
- ٣٦٥ بيان بعض موانع استجابة الدعاء:
- ٣٦٧ بيان تعيين النطق بالذكر
- ٣٦٨ بيان أقسام معية الله عزَّوجلَّ لعباده:
- ٣٦٩ بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله عزَّوجلَّ
- ٣٧٢ بيان فضل ذكر الله عزَّوجلَّ
- ٣٧٥ بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:
- ٣٧٦ ذم مجالس الغفلة
- ٣٧٨ والصلاة على النبي ﷺ سبب لصلاة الله عزَّوجلَّ على العبد عشرة مرات.
- ٣٧٨ بيان معنى صلاة الله عزَّوجلَّ على عبده:
- ٣٨١ بيان فضل التهليل
- ٣٨٢ بيان أن حمد الله عزَّوجلَّ يكون على أمرين:
- ٣٨٥ بيان فضل التسبيح
- ٣٨٥ بيان بعض الأذكار المطلقة:
- ٣٩٠ بيان فضل ذكر الله عزَّوجلَّ المضاعف
- ٣٩٤ بيان الباقيات الصالحات



- ٣٩٨ بيان أحب الكلام إلى الله عَزَّوَجَلَّ
- ٤٠٢ بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة
- ٤٠٤ الدعاء هو العبادة
- ٤٠٤ بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:
- ٤٠٦ بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد
- ٤٠٧ بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء
- ٤٠٩ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:
- ٤١٠ بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء
- ٤١١ بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:
- ٤١٢ بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ
- ٤١٥ بيان سيد الاستغفار
- ٤١٩ بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار
- ٤١٩ بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:
- ٤٢٦ بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم
- ٤٢٨ الاستعاذة من غلبة الدين
- ٤٣١ الدعاء باسم الله عَزَّوَجَلَّ الأعظم من أسباب الاستجابة
- ٤٣٩ بعض أذكار الصباح
- ٤٤١ بيان معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: (الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات):
- ٤٤٣ بيان جوامع الدعاء
- ٤٤٧ بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم
- ٤٥٢ الدعاء بصلاح الدين والدنيا

- ٤٥٤ الدعاء بالعلم النافع
- ٤٥٥ بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:
- ٤٥٥ بيان العلم النافع لصاحبه:
- ٤٥٦ بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:
- ٤٥٨ الدعاء بخيري الدنيا والآخرة
- ٤٦١ مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟
- ٤٦٣ كفارة المجلس
- ٤٧٠ إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام
- ٤٧٢ الفهرس**
- ٤٧٣ الفهرس